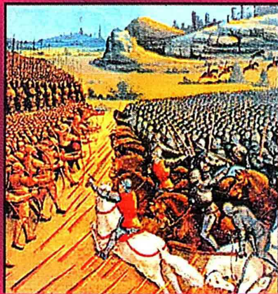
بيل فاوست

HOW TO LOSE A BATTLE

كَيْفَ تَخسرُ معرَكَةً

أخطاءُ الجنرالاتِ عبْرَ التاَّريخِ



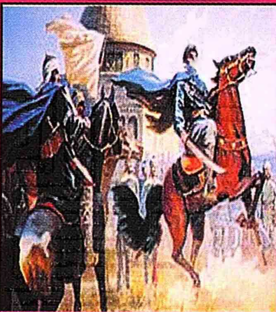






ترجمة

هشام عبد الحميد



1980
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

خِطَطٌ وتكتيكاتٌ عسكريةٌ كارثيةٌ أسْقطَتَ أصحابَها

بيل فاوست

كَيْفَ تَخْسَرُ مَعْرَكَةً
أخطاءُ الجنرالاتِ عبرَ التاريخِ

خطط وتكتيكات عسكرية كارثية أسقطت أصحابها

ترجمة
هشام عبد الحميد نور



بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

فاوست - بيل

كيف تخسر معركة أخطاء الجنرالات عبر التاريخ

تأليف: بيل فاوست ترجمة: هشام عبدالحميد - القاهرة: دار الكتاب العربى ٢٠١٧

دار الكتاب العربى 2017

285 ص ؛ 24 سم .

تدمك: 3-971-376-977-978

١- المعارك ٢- العالم - تاريخ

(ا) عبدالحميد، هشام (مترجم) (ب) العنوان

اسم الكتاب: كيف تخسر معركة أخطاء الجنرالات عبر التاريخ

تأليف: بيل فاوست

ترجمة: هشام عبدالحميد نور

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبدالرءوف سعد

تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار الكتاب العربى

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٥٠٣ / ٢٠١٧

الترقيم الدولى: 3-971-376-977-978



سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: 2235401 ص:ب 34825

مصر - القاهرة - 52 شارع عبدالخالق ثروت - شقة 11 تليفون: 23916122 - فاكس: 23933671

لبنان - تليفون: 05/434186 - 652241 / 03 - ص: ب 3043 الشويفات

darelkitab@yahoo.com - daralwaled@yahoo.com

www.darketab.com http://www.facebook.com/groups/darketab

http://twitter.com/darelkitab http://www.youtube.com/darelkitab

تطلب منشوراتنا من دور النشر والمكتبات التالية

البلد	أسماء المكتبات
مصر	دار الكتاب العربي: 25 شارع عبدالخالق ثروت (القاهرة) - مكتبات الشروق - مكتبات ديوان شركة الشرق للمكتبات - مكتبات مؤسسة الأهرام - مكتبات أخبار اليوم - مكتبة منشأة المعارف (الإسكندرية) - مكتبات دار الفاروق (هايبر 6 أكتوبر) - مكتبات (أ) - مكتبة الكتب خان - مكتبة الخياط (الاسكندرية) - مكتبة دار الحديث (أسوان) - كتابيكو
ليبيا	طرابلس: المكتبة العلمية - المكتبة العربية - مكتبة السلام - دار الوليد - دار المعرفة - مكتبة 17 فبراير (بنغازي) - دار الجيل (بنغازي) - مكتبة الشعب (مصراته)
تونس	إداريات ومعارف سوسة - شركة كتبكم تونس - المركز التونسي للكتاب - دار المعرفة - مكتبة تونس - دار الجيل - مكتبة الكتاب - سو بيس - مكتبة نومام
الجزائر	دار العزة والكرامة للنشر والتوزيع (وهران) - دار الأنيس (الجزائر العاصمة) وسائر فروعها ومكتباتها بالجزائر
المغرب	الدار العالمية - دار الإنماء الثقافي - دار الثقافة - دار الأمان - مكتبة الألفية الثالثة- وراقة المبادرة - دار إحياء العلوم الزاهرة - الناشر الأطلسي - وراقة الجنوب - مكتبة فرنسا- مكتبة باريس
السعودية	مكتبات جرير - مكتبات العبيكان - مكتبات تهامة - مكتبات الرشد - دار الوراق - مكتبات الشواف- مكتبة المتنبي (الدمام) - كنوز المعرفة (جدة) - روائع المعرفة (جدة) - المكتبة التراثية
الإمارات	مكتبة زين المعاني (دبي) - مكتبات دبي للتوزيع - المكتبة التجارية (العين) - مكتبات جرير- البرج ميديا للنشر والتوزيع (أبو ظبي)
الكويت	مكتبات ذات السلاسل - دار الفكر الحديث - مكتبة العجيري - مكتبة الرسالة - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف - مكتبات جرير - دار أفاق
سلطنة عمان	مسقط: مكتبات جرير - أحمد ناصيف 0096892339307
البحرين	المكتبة الوطنية (المنامة) - مكتبات جرير
العراق	دار الكتب العلمية (بغداد) - دار المدى للعلوم والثقافة (أربيل) - دار التفسير (أربيل) - مكتبة هورمان (أربيل) - مكتبة برايتي (أربيل) - المكتبة القانونية - مكتبة النهضة (بغداد)- مكتبة السنجري (الموصل) - دارالزمان (أدهوك) - مؤسسة المصباح (بغداد)- مكتبة المعرفة (باب المعظم)
الأردن	مكتبة دنديس - دار أسامة - مكتبة الفرسان - دار صفحات - كشك الثقافة العربية حسن أبو علي - دار جملون
فلسطين	مكتبة دنديس (الخليل) - مكتبة القدس (القدس الشريف) - دار العماد للنشر (الجليل) - دار الجندي (القدس)
السودان	مكتبات القاضي (الخرطوم - أم درمان) - مكتبة الدار البيضاء (أم درمان) - وادي النيل للتنمية البشرية (الخرطوم)
لبنان	شركة الشرق الأوسط - النيل والفرات كوم

HOW TO LOSE A BATTLE

FOOLISH PLANS AND GREAT MILITARY BLUNDERS

EDITED BY

BILL FAWCETT

مقدمة الناشر

فى ساحات المعارك تتقابل الجيوش ، ويحتدم القتال ، ثم ينتهي الأمر بتذوق الفائز حلاوة النصر ، وتجرع الخاسر مرارة الهزيمة .

وما أن تضع الحرب أوزارها يبدأ الجميع مراجعة ما حدث ، وتحليل ما جرى ، للوقوف على أسباب انتصار طرف وهزيمة آخر.

وهذا الكتاب لمؤلفه الشهير بيل فاوست يركز على تحليل أسباب الهزيمة فى عدد من معارك التاريخ الكبرى ، ومن خلالها يبين لنا الكيفية التي يمكن للقائد من خلالها فقدان سيطرة جيشه على الأمور فى ساحة القتال ، فتكون الهزيمة بانتظاره .

ونكتشف أثناء قراءتنا لهذا الكتاب كيف يخطئ القادة العسكريون عند وضع خططهم وتكتيكاتهم وتحركاتهم ، وتجاهلهم لتفصيلات مهمة وحاسمة، وإغفالهم مواطنَ القوة والضعف سواء فى جيوشهم ، أو فى جيوش العدو .

كما سنرى أيضا كيف يلعب سوء التقدير ، أو الغطرسة ، أو الثقة المفرطة فى النفس دورًا خطيرًا فى المعارك باعتباره عاملًا رئيسيًّا فى الهزيمة .

وسنرى أيضا كيف أن غياب القدرة على استخلاص المعلومات اللازمة لإنجاح الخطط يؤدي إلى فشلها الذريع ، كما يؤدي تجاهل التحذيرات الاستخباراتية إلى كوارث عسكرية مؤلمة .

ومن بين الأخطاء التي تجعل الجيوش تخسر معاركها – كما سنرى فى الكتاب – استهانة القادة بآراء ونصائح ضباطهم ، وانفرادهم وحدهم بالقرارات .

ونخلص من الكتاب أن القادة عندما يفتقرون الكفاءة والذكاء والحكمة عادة ما تكون الهزيمة بانتظار الجيوش التي يتولون قيادتها .

هذا الكتاب محاولة جادة وهادفة لتقديم رؤية شاملة لضمان النصر من خلال معرفة أسباب الهزيمة .

وليد ناصيف

(1)

معركة أربيل .. سر هزيمة داريوس الثالث والانتصار الساحق للإسكندر الأكبر !

فى القرن الرابع قبل الميلاد كانت هناك قوة عالمية حقيقية واحدة فقط "الإمبراطورية الفارسية". وقد غزت تلك الإمبراطورية بالفعل كل المدن اليونانية على طول الشاطئ الشرقي لبحر إيجة. وعندما تجرأت أثينا على الاشتراك فى الثورة التي قامت بها إحدى المدن اليونانية سابقا، رأى الأباطرة الفرس أنه ليس لديهم أي خيار سوى غزو بلاد اليونان بالكامل. وقد حاولوا مرتين، ولكن لدهشة دول المدن اليونانية، فشلوا. وفي نهاية المطاف توحدت العديد من المدن المنقسمة تحت السيطرة العسكرية لفيليب المقدوني. وقد رأى ابنه "الإسكندر" أنه من واجبه المقدس حماية كل بلاد اليونان. وكان فتح الإمبراطورية الفارسية على يد "الإسكندر الأكبر" إنجازًا مذهلًا، وليس هناك شك فى براعته فى القيادة أو الفطنة التنظيمية لوالد الإسكندر "فيليب". كان نظام الإمداد لديه وحده يتفوق بقرون على أي نظام آخر.

وصلت تعزيزاتٌ من القوات المقدونية للإسكندر ، بينما كان جاهزا لعبور الحدود إلى الهند. وكان الفتح مذهلا أكثر عند المقارنة بين عدد السكان النسبي والثروة فى بلاد اليونان ومقدونيا كلها وبين مثيلاتها فى الإمبراطورية الفارسية التي كان يحكمها داريوس الثالث: كانت ثروات بلاد فارس تزيد عشر مرات على الأقل عن ما يملكه الإسكندر. والأسوأ من ذلك، كانت اليونان فقيرة، فى حين كان اقتصاد بلاد فارس غنيًّا ومزدهرًا . ومع القليل من العمل فى الوطن، وجد العديد من اليونانيين أنه من الضروري توظيف أنفسهم كمرتزقة، فى كثير من الأحيان لداريوس.

وبمقاييس العصر الحديث، فإن غزو الإسكندر للإمبراطورية الفارسية يعادل غزو كندا للولايات المتحدة، ولكن فقط عند القدرة على نقل الجنود عبر الجسور قرب ديترويت. فكيف فاز الإسكندر وخسر داريوس؟ . كان لدى الملك المقدوني ثلاث ميزات صنعت كل الفرق. الأولى: هى أنه ورث حقا آلة عسكرية مبتكرة من الدرجة الأولى من عبقرية عسكرية وسياسية أخرى، والده فيليب. وكانت الميزة الثانية هي الرجال تحت قيادته. كانت القوات المحمولة وقوات المشاة اليونانية على حد سواء أفضل تسليحا، وأفضل تدريبا، وغالبا ما كانت أفضل تموينا من أية قوة التقوا بها.

وتم تسليح الكتائب، والتي كانت غالبا عبارة عن تشكيلات ضخمة بعمق ستة عشر رجلا، بالساريسا ، وهي رماح ذات رأس معدنية ويبلغ طولها ثمانية عشر قدما. وقد تفوقت على أي

سلاح واجهوه، حتى الرماح التي يبلغ طولها اثني عشر قدما والمسلح بها المرتزقة اليونانيون.

وقد اعترف داريوس وأسلافه بتفوق مشاة اليونانية (رجل لرجل)، والذين جعلوا من كتائب المرتزقة اليونانية عنصرا أساسيا فى جميع الجيوش التي شكلوها. ومن المثير للاهتمام، وبسبب الغيب فى الإسكندر، تمكن داريوس الثالث من تجنيد عدة آلاف من اليونانيين للقتال فى جانبه فى أسوس فقط قبل عام مضى. وكان الجنود اليونانيون التابعون للإسكندر لا يزالون متفوقين فى مجال التدريب، والأسلحة، والجاهزية. وكانت الميزة النهائية لدى الإسكندر هو الإسكندر نفسه. وهو لم يكن فقط تكتيكيا واستراتيجيا رائعا، ولكنه كان يتمتع أيضا بكاريزما خاصة وشجاعة.

كان داريوس الثالث يقاتل للاحتفاظ بعرشه، وبعد خسارته أمام الإسكندر قبل عام فى أسوس، كان الإمبراطور الفارسي يحتاج ليثبت بأنه قادر على الدفاع عن إمبراطوريته. ولم يكن داريوس الثالث بأي حال من الأحوال عديم الخبرة أو غبيًّا. وفي الواقع، تمكن من اختيار الأرض التي ستدور عليها رحى هذه المعركة الحاسمة، واستغرق عدة أيام لتجهيزها. وكان جيشه لا يقل عن ثلاثة أضعاف حجم جيش الإسكندر، وكانت لديه أسلحة غريبة، مثل الفيلة والعربات ذات العجلات المزودة بشفرات حادة، وهي لم تكن متوفرة لدى الجيش المقدوني الغازي. وفي سلاح الفرسان، كان لدى داريوس ما يقرب من خمسة أضعاف عدد الفرسان تحت قيادة الإسكندر. وكان العديد من الفرسان التابعين لداريوس مدرعين بدروع أثقل أيضا، وكانت رؤوسهم حتى أخمص قدميهم مغطاة بدروع حرشفية، وكانوا مسلحين بالرماح. لذلك دارت المعركة فى المكان الذي اختاره داريوس الثالث، وهو الميدان الذي عبده لمركباته، بالقرب من عاصمته، وأخذ الخطوة الأولى، لذلك، من الناحية النظرية، كانت له المبادرة. وقد فعل داريوس كل شيء لازم تقريبا لضمان الفوز، ولكن كل هذا لم يمكنه من التغلب على ما اتضح أنه "خلل مدمر"، والذي أفقده المعركة وإمبراطوريته معا.

وبمجرد اقترابهم من المكان الذي كان ينتظر فيه جيش داريوس بالقرب من مدينة أربيل، تحرك المقدونيون بحذر على بعد أميال قليلة من الجيش الفارسي، والذي كان يقف على استعداد للقائهم. وقد وصلوا تماما عند غروب الشمس. وبدلا من التسرع فى المعركة، خيموا واستراحوا. وكان كل شخص يوناني يعرف أنهم كانوا يفوقونهم عددًا وعدة وأنهم بعيدون

جدا عن الوطن. وإذا هزموا، فإن أقرب ملاذ آمن لهم كان يقع على بعد أكثر من ألف ميل. وهذا تسبب فى انهيار روحهم المعنوية، ولكن جنبا إلى جنب مع إيمانهم بقائدهم، فإن الوضع ولد عزيمة كبيرة بين رجال الإسكندر. وفي المقابل، قام داريوس الثالث بجمع قوات من جميع أنحاء الإمبراطورية، بما فى ذلك سلاح الفرسان الهندي والرماة من الجبال من ما يعرف اليوم باسم "أفغانستان".

وهم لم يكونوا يتحدثون نفس اللغة، ومعظمهم لم ير حتى داريوس الثالث. وظهر أول مظهر من مظاهر الخلل العظيمة لدى داريوس مع اقتراب الجيش اليوناني. كان داريوس جالسا فى معسكره على بعد أقل من سبعة أميال من جيش الإسكندر وكان بصحبته جيش قد تمتع باستراحة نسبيا وعلى استعداد للمعركة، وعلى الرغم من أن جيش خصمه كان منهكا من السير الشاق لعدة أيام، فهو لم يفعل أي شيء. وبدلا من التحرك لمهاجمة معسكر خصمه، ترك داريوس للجيش اليوناني ثلاثة أيام كاملة للتعافي من المسيرة الشاقة. ويمكنكم أن تتخيلوا أن الإمبراطور الفارسي رأى أن الفائدة من القتال فى ساحة المعركة الكبيرة والممهدة والتي أعدها لهذا الأمر تفوقت على تكتيك ضرب عدوه عندما كانوا منهكين. وأيا كان السبب، من خلال عدم حتى إرسال جزء من جيشه لمضايقة اليونانيين، تخلى داريوس عن زمام المبادرة الاستراتيجية. وفي الواقع فقد ترك جيشه الأكبر عددا وعدة لانتظار قدوم اليونانيين لهم.

وأخيرا، فى اليوم الثالث بعد وصوله، شكل اليونانيون صفوفهم وساروا على مجموعة من التلال والتي وفرت لكل رجل تقريبا نظرة فاحصة على العدد الضخم للجنود المحتشدة ضدهم. وبعد فحص الجيش الفارسي، اتخذ الإسكندر قرارا محفوفا بالمخاطر وهو الانسحاب إلى معسكره مرة أخرى. وربما يكون هذا قد أثر سلبًا على معنويات رجاله، والذين هم الآن على علم بمدى سوء أنهم كانوا أقل عددا. ويبدو أن القرار كان صائبا، ربما بسبب عدم وجود سجل لليونانيين بفقدانهم الثقة فى أنفسهم.. وعاد الفرس أيضا إلى معسكرهم، وظلوا على أهبة على استعداد ليوم طويل رابع فى انتظار هجوم الإسكندر.

ومع ذلك، كانت الليلة التي سبقت المعركة صعبة للغاية على كل يوناني فى جيش الإسكندر، فضلا عن القائد نفسه. وإحدى الطرق الكلاسيكية للقوة الأصغر لهزيمة القوة الأكبر هو مهاجمتها ليلا. وكان الارتباك وعدم وجود رقابة كفيلا بتمكين القوة الأدنى لتعطيل وتشتيت

خصومهم. وقيل إن هذا كان من اقتراح بارمينيون، ثاني قائد يثق فيه الإسكندر. ولكن بثقة ذكر الملك المقدوني ببساطة أنه لن "يسرق" إمبراطورية من خلال مثل هذا النصر. وصدرت أوامر للبصاصين بالخروج وتمكن الجيش اليوناني من الاستراحة لليلة أخرى. وبقي الإسكندر مستيقظا حتى وضع خطة، ثم قيل إنه نام بسلام، ثم أيقظه جنرالاته بعد فترة طويلة من شروق الشمس.

وكان الإمبراطور الفارسي على بينة من احتمال وقوع هجوم فى الليل أيضا. وكان رد فعله بتوجيه أوامر لجيشه بالوقوف حاملين السلاح طوال الليل. وفقدان الأعصاب هذا يعني أنه بحلول الوقت الذي ستبدأ فيه المعركة، فسيكون الرجال والخيول مستيقظين بالفعل وحاملين دروعهم لما يقرب من أربع وعشرين ساعة. قارن هذا مع القيادة طوال الليل ومن ثم المنافسة كخط وسط فى إحدى مباريات كرة القدم الأميركية. وقبل أن يطير السهم الأول فى أربيل، كان الجانب الفارسي متعبا بالفعل. ولم يفشل داريوس فقط فى مضايقة الجيش اليوناني عندما كان منهكًا من السير، ولكن الآن خوفه من هجوم ليلي قد جعل الوضع ينقلب، ثم واجه الجيش اليوناني الذي استراح جيدا جيش الفرس المنهك تماما.

وقد بدا أن داريوس، الذي كان جيشه مستيقظا منذ الليلة السابقة، كان ينتظر بدون تحرك بينما تشكل الجيش اليوناني وساروا على أرض المعركة التي اختارها. وهو قد اختار المنطقة وأعدها بعناية لذلك كانت ممهدة وليس بها أية مخاطر خفية لمركباته، أو الفيلة، أو الفرسان. وكان جيشه، وإن كان متعبا من الوقوف بالأسلحة طوال اليوم، فى المكان. وكان عدد الجيش الفارسي يتفوق بشكل هائل، إن لم يكن فى الجودة، عن جيشه. وفي هذه المرحلة، بدا كل شيء تقريبا حسبما يريد داريوس. ولكن كان هذا المظهر بالتأكيد خادعا.

سار الإسكندر بجيشه فى "خط منحرف"، أي مع جانب واحد أطول من الجانب الآخر. وكان الجانب الأيسر من الخط أقصر بكثير من الجانب الأيمن للجيش الفارسي (تم وصف كل جانب كأنك تنظر من وسط هذا الجانب). لذلك كان الجانب الأيسر للإسكندر يواجه الجانب الأيمن لداريوس. ولم يصدر داريوس أوامره للجانب الأيمن الأطول والأكبر بمهاجمة وحصار الجانب الأيسر الأقصر من الجيش اليوناني. وبدلا من ذلك، ظل ينتظر. ثم واصل الإسكندر مد خطوطه حتى على نطاق أوسع (لمواجهة الجانب الأيمن من جيش داريوس)،

حتى إنه انحرف بمقدمة جيشه مما هدد بتحويل المعركة برمتها فى ساحة المعركة التي ضحى داريوس الثالث كثيرا من أجلها للقتال عليها.

وكان الجيش الفارسي كبيرًا جدًّا ويصعب الأمر بتحويل اتجاهه بسهولة كرد فعل. ولمنع تحرك اليونانيين، اختار داريوس تقليل القوات فى الوسط لتمديد خطه وإرسالهم لتعزيز الجانب الأيمن الطويل، بدلا من نقل جيشه بأكمله. وأخيرا تصرف داريوس، ربما لوقف تحول جيش الإسكندر. أمر الإمبراطور الفارسي الكثير من الفرسان فى الجناح الأيسر بمهاجمة ووقف تحرك جيش الإسكندر. وكرد فعل على هذا الهجوم الفارسي الجديد، شن مينداس، قائد الجناح الأيسر اليوناني، هجوما مضادا على رأس قوة أصغر بكثير من الفرسان. وقد توقف هؤلاء الفرسان فجأة على مسافة قصيرة نوعا مًّا من الفرس المهاجمين ويبدو أنهم التفوا وفروا.

ويمكن للفرسان المدربين الحفاظ على تشكيلهم فى أية وتيرة تقريبا طالما بذلوا جهدا للبقاء معا. ولكن إذا كنت تتابع عدوا فارا، فإن كل فارس يحث دابته على السير بأقصى سرعة ويتم فقدان التشكيل. ويبدو أن ذلك حدث عندما تفرقت الوحدات الفارسية لمتابعة الفرسان اليونانيين "الفارين". ثم، كما هو مخطط له، عاد الفرسان اليونانيون بقيادة ميندا‌س مرة أخرى، وساروا من خلال الممرات التي خلفتها قوة كبيرة من المشاة الذين اختفوا وراء فرسانه. ثم قامت هذه الكتائب بغلق صفوفها.

وقد تلقى الفرسان الفرس غير المنظمين، وبالتالي كانوا أكثر ضعفا، بوابل غير متوقَّع من الرماح. وبشجاعة، ألقى الفرسان الفرس أنفسهم على الكتائب مرارا وتكرارا. وكان عمق المشاة التابعين للإسكندر 4-6 صفوف فقط، أي أقل عمقا بكثير من التشكيل التقليدي الذي يتكون من ستة عشر رجلا، لذلك بدا سهل المنال. ثم أتت المزيد من الوحدات الفارسية، من الفرسان والمشاة على حد سواء، على أمل اختراق خط اليونانيين الرقيق. ولكن عدد اليونانيين تحت قيادة بارمينيون كان قليلا. وقام الفرسان تحت قيادة ميندا‌س بإعادة تشكيل صفوفهم وهاجموا لحماية جناحيِّ المشاة، وتوقفت معظم الحركة. وكان الجناح الأيسر لليونانيين مشكلاً بينما كان الجناح الأيمن المعزز لجيش داريوس قد تفرق تماما.

وكرد رد فعل على رؤية جناحه الأيمن مقيدًا ويحرز تقدما ضئيلا، أطلق داريوس مركباته والفيلة. وتحركت المركبات الأسرع بسرعة ساحة المعركة الممهدة، وكانت الشفرات على

عجلاتها تومض فى الشمس فى الصباح. وكانت المركبات تسقط بالفعل لأن الخيول التي كانت تجرها كانت منهكة للغاية؛ لذلك ثبت فى هذه الحالة أن الرماح المقدونية كانت تسقط الخيول التي تجر المركبات تقريبا قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى الكتائب. ثم وصلت الفيلة، ولكن، بحذر، لأن اليونانيين كانوا جاهزين لها وفتحوا مسارات للفيلة المرعوبة حتى تمر من خلالها. وبعد أن شعرت بالرعب من الرماح والسهام التي تنهال عليها، هربت الفيلة ناحية اليمين وتركت جيش الإسكندر بأكمله، لا ضرر ولا ضرار.

ثم أمر داريوس أحد جنرالاته بالتقدم، لدعم جناحه الأيمن. وسرعان ما اشتبك بارمينيون بالجناح الأيسر اليوناني مع الجناح الأيمن الفارسي، وقاتل مرة أخرى ضد قوة أكبر منه بكثير حتى وصل إلى طريق مسدود. وعندما تقدم الجناح الأيمن المقدوني، فقد خلف فجوة حيث إنهم انضموا مع جناحهم الأوسط. وبعد أن رأوا هذه الفجوة، تقدمت وحدة كبيرة من الفرسان الهنود. ولكن حتى هؤلاء الفرسان قد اشتبكوا بنفس السرعة وهُزموا من قبل الكتائب اليونانية التي كانت متمركزة فى صفوف الاحتياط وراء الجيش، ثم توقفوا. وفي وقت لاحق تمكنت وحدة أخرى من الفرسان الفرس من شق طريقها نحو جناح واحد، وجهزوا المعسكر لأسرة داريوس، والذين كانوا دوما يسافرون معه ولاقوا معاملة حسنة من قبل الإسكندر منذ القبض عليهم قبل عام فى أسوس. وتم صد هؤلاء الفرسان من قبل المشاة الخفيفة التي تركوا فى المعسكر، ولم يكن لهم تأثير يذكر على المعركة.

وفى هذه المرحلة، كان كلا جناحيّ جيش الإسكندر تحت ضغط هائل. وكانت أعداد جنود العدو تفوق أعدادهم بشدة، وقاتل كلا الجناحين واستقروا فى أماكنهم ولم يعودوا يتقدمون. ومع صعوبة الاشتباك مع الفرس، فقد أصيب اليونانيون والمقدونيون بالتعب، مع عدم وجود جنود احتياط ليأخذوا أماكنهم. وكانت الإستراتيجية، التي استخدمها داريوس بسحق جناحي هذا الجيش الأصغر، صائبة وناجعة لعدة مرات. وكانت ناجعة تقريبا هذه المرة. ولكن في جهوده الرامية إلى تدمير كلا جناحي الجيش المقدوني، كان داريوس يرسل باستمرار وحدات بعيدا عن المركز، حيث كان واقفا، لتعزيز كلا الهجومين. وعند هذه النقطة، ومع فهم خصمه، قاد الإسكندر آخر كتائبه غير المشتبكة وأفضل فرسانه، بما فى ذلك حرسه، ورفاقه من النخبة، لشن هجوم شامل ضد مركز الخط الفارسي.

وبعد أن شكلوا أنفسهم فى فيلق عملاق يتكون من كل من الفرسان والمشاة، مع تواجد الإسكندر ورفاقه فى هذه النقطة، فقد سحقتهم بكتلة ضخمة من المشاة الفرس فى الوسط وبدءوا فى شق طريقهم من خلالهم إلى حيث كان يجلس داريوس نفسه على عرشه. وأحاط به الرفاق، وتحينوا الفرصة لأختراق المكان حيث كان يجلس الإمبراطور الفارسي وجنرالاته. وبعد أن قامت الكتائب المقدونية المرافقة للرفاق بدفع المشاة الفرس الأقل تدرعا والذين يفوقونهم عددا، كانت هناك فرصة جيدة لحصار داريوس بين الرفاق والمشاة اليونانيين.

وتشكلت المشاة النخبة، ثلاثة آلاف من الحرس الملكي، أو "الخالدون"، واستعدوا للهجوم على الرفاق، ولكنهم تراجعوا بعد دقائق معدودة من القتال العنيف. وكما كان قبل عام عندما تعرض للضغط بشدة، لاذ داريوس الثالث، إمبراطور أكبر إمبراطورية فى العالم، بالفرار. وبالكاد حسم أمر المعركة، ناهيك عن الخسائر، ولكن مع رؤية نفسه فى خطر، ركض داريوس وكان الفرسان اليونانيون وراءه وعلى مقربة منه. وتوقف الإسكندر عن مطاردة داريوس لإنقاذ بارمينيون وجناحه الأيسر من أن يسحقوا. فى كل نقطة، كان الضغط شديدًا على الخط اليوناني الأرق وكان من الصعب عليهم الصمود. ولكن عندما انتشرت الأخبار خلال صفوف الفرس الذين تركهم داريوس وراءه، بدأت وحدات من الجيش تنسحب أو ببساطة تتفكك. وبشكل مثير للدهشة، واصل داريوس الهرب، على الرغم من أنه سرعان ما تمكن من جمع ثلاثين ألفًا من المشاة تقريبا حوله والذين كان يتعين عليهم القتال. وكان هؤلاء الثلاثون ألفا هم أكبر عدد ممكن من المشاة والذين بدأ بهم الإسكندر. لذلك، مع فقدان أعصابه، خسر داريوس الثالث أيضا إمبراطوريته. واستمر داريوس فى الفرار، وسرعان ما تبخر ما تبقى من جيشه. وبعد عدة أسابيع قتل على يد جنرالاته.

لماذا خسر داريوس الثالث؟ قد خاض المعركة فى المكان الذي اختاره وكيفما أراد (على الأقل فى البداية)، وكان لديه تفوق هائل فى الأعداد. ولكن الإسكندر أسس خطته على حقيقة واحدة: عندما قاتلوا قبل عام فى أسوس، حُسم الصراع عندما فر داريوس الثالث من ساحة المعركة. ببساطة، يبدو أن الإمبراطور الفارسي كان غير قادر على مواجهة خطر شخصي. خسر داريوس الثالث معركتين وأكبر إمبراطورية فى العالم لأنه كان جبانا.

(2)

قرطاج وروما ومعركة كاناي ..
كيف استغل هانيبال غباء الرومان ؟!

يستغرق الأمر الكثير من الوقت لإبراز معركة حربية بعينها من بين كل معارك التاريخ القديم ، لكونها مثالا صارخا لألفي سنة من كارثة شاملة وكاملة. هذه المعركة - بلا منازع - هى معركة كاناي، التي جرت أثناء الحرب البونيقية بين جيوش روما وقرطاج، . وكان ذبح الجيش الأكبر والأفضل تجهيزا فى روما حتى الآن فى هذه المعركة نتيجة لعدة عوامل، بما فى ذلك بعض الجهل والأفكار البالية ، من قبَل القائد الروماني، حيث اجتمعت كل العوامل ، لجعل هذا اللقاء واحدًا من أكبر الهزائم بسبب الغباء فى التاريخ. وحتى مع القياس بالكوارث العسكرية الرومانية فى معركة كارهاي وتويتوبورغ، فإن معركة كاناي لم تكن فقط المعركة الأكثر فشلا ، ولكنها جعلت روما تقترب أيضا من الدمار أكثر من أية خسارة أخرى فى تاريخ الإمبراطورية.

وبحلول وقت المعركة فى عام 216 قبل الميلاد ، كان هانيبال (قائد قرطاج التاريخي والذي ينادَى أيضا بـ "هنيبعل") ، قد عبر بالفعل جبال الألب، واكتسب حلفاءَ بين الإغريق، ودمر جيشا رومانيا واحدًا بأكمله فى تريبيا ، فى عام 218 قبل الميلاد. (تذكر، أن السنوات قبل الميلاد تعد تنازليا لذا فإن عام 218 قبل الميلاد هو يسبق 216 قبل الميلاد بعامين. وفي تلك الفترة، كان التأريخ محليا أكثر، وتم تسجيل معظم التواريخ بمثابة شيء من هذا القبيل "العام الرابع لحكم بيروس". وفرض التقويم الميلادي/قبل الميلاد على جميع التواريخ فقط فى التاريخ الحديث، من أجل تزويد المؤرخين بالأساس المشترك للتأريخ).

وبمجرد وصول القائد القرطاجي فيما نسميه الآن شمال إيطاليا ، كان قادرا على إضافة الآلاف من المحاربين المحليين للقوات الأسبانية والنوميدية التي نجت من مسيرة من أسبانيا وعبر جبال الألب. وكانت هذه المنطقة قد غزيت فقط فى الآونة الأخيرة من قبل روما وكانت لا تزال مضطربة تحت حكمهم. ثم هزم هانيبال أحد الجيوش الرومانية الكبيرة فى تريبيا ، حيث استخدم تكتيكات مماثلة لتلك التي استخدمها فى معركة كاناي بعد سنتين، لذلك لم يفاجأ أي قائد روماني برؤيتهم مرة أخرى. ثم قام هانيبال بتهديد العديد من المدن المتحالفة مع روما على أمل عقيم بأنهم سينضمون لجانبه. ثم عاد القرطاجي إلى الشمال إلى مخيم فى الأراضي الغالية الواقعة إلى الجنوب من جبال الألب. ومع عدم قدرته على هزيمة الرومان، فقد كان هانيبال لا يزال بحاجة لاستمرار تشكيل تهديد بحيث لا تتمكن روما من تعبئة الجيوش

لمهاجمة قرطاجة أو أسبانيا. لذلك انتظر هو وجيشه. وبعد عامين أصبح الترحيب بهانيبال فى البلدان الغالية الصديقة ضئيلا، ويرجع ذلك أساسا إلى آثار تغذية جيش يتكون مما يقرب من أربعين ألف رجل. ونقص الطعام، والتضخم، والنهب فى بعض الأحيان من قبل جنوده قد أخذ مأخذه منهم. وبسبب الضغط المتزايد من الغال حيث كان يخيم فى أراضي القادة، تعين على القرطاجي بدء التحرك بجيشه فى أقرب وقت ممكن. وهذا يعني أنهم بدءوا يهددون روما وحلفاءها فى وقت سابق فى فصل الربيع أكثر من المعتاد. ولكن خلال العامين المنقضيين، ضاعفت روما حجم جيشها، لذلك هم كانوا مشتاقين جدا للمعركة، حيث كان القناصل متأكدين من هزيمتهم لهانيبال. وكانت روما كلها متحمسة للمعركة، وأيضا، فقد تبين ثقتهم المفرطة بأنفسهم.

ولتفهم لماذا خسرت روما فى كاناي، فيجب عليك أن تفهم طبيعة الجيش الروماني فى القرن الثالث قبل الميلاد. كان الفيلق الروماني المرن والجاهز والذي كان يُعرف بلا شك بأنه أفضل جيش فى العالم لأربعمائة عام، لا يزال متأخرًا بأكثر من قرن من الزمان. وكان الجيش الروماني فى هذا الوقت يتألف من جامعي الضرائب من المواطنين، وحيث إنه كان يتعين على كل شخص توريد معداته، فقد كان الأغنياء فقط هم من يمكنهم تحمل الانضمام لسلاح الفرسان. وأدى ذلك إلى جعل الوحدات المحمولة صغيرة وغير منظمة للغاية. ومن الصعب دائما أن نقول للأغنياء والأشخاص المهمين بالتشكيل وطاعة الأوامر. وفي المقابل، كان سلاح الفرسان التابع لهانيبال ذراعه الأقوى، حيث جند فيه الفرسان الأفارقة والأسبان ذوي المهارة والخبرة العالية.

وقد تم استبدال السيوف القصيرة والبيلا (قاذفة الرماح) قبل هذا الوقت بالرماح كسلاح أساسي للمشاة الرومان. ومع ذلك كان بعض الترياري، الخط الخلفي المشكل من القوات الأكثر خبرة، ما زالوا يحملون فى بعض الأحيان رماحًا طويلة. والأهم من ذلك، كانت التشكيلات المرنة الأصغر لا تزال تتطور، ولم تكن المهارات القيادية لقيادة مثل هذه التشكيلات ببساطة لم تتطور بعد. وقبل معركتي كاناي وتريبيا، كانت الجيوش الرومانية تفوز بالمعركة عادة عن طريق سحق خصومهم ببساطة. وأدى ذلك إلى الثقة المفرطة والشعور أن الخسارة من جانب واحد فى تريبيا كانت مجرد صدفة. ولكن بعد عامين فى تريبيا، كانت روما قد

خسرت أيضا معظم جنودها وقادتها المحنكين. وكان الجيش الجديد أكبر، ومجهز تجهيزا جيدا، ويتمتع بالثقة، ولكنه كان عديم الخبرة فى كل مستوى تقريبا. وكان الجيش الروماني فى عام 216 قبل الميلاد مجردَ مطرقة، ولم يكن سيفا بعدُ.

وأظهرت قيادة جيشهم الجذور اليونانية من روما. وعندما كانت تتعرض للتهديد أو فى حالة حرب، كانت دول المدن اليونانية تعين ديكتاتورا لعدة قرون. وقد أعطوا هذا الرجل الصلاحية الكلية لإدارة الأزمة، بما فى ذلك قيادة الجيش والحكومة. ولكن فى كثير من الأحيان عشق هؤلاء الطغاة السلطة التي منحتهم إياها الأمة، وكثيرا ما أعلنوا حالة الطوارئ، وسيطرتهم شبه المطلقة على المدينة، ليستمروا فى مناصبهم لسنوات. وفي حين كان من المفترض أن يستمروا فقط لفترة محدودة، عادة سنة واحدة، كانت هناك مشكلة طفيفة حول إبلاغ الرجل الذي قال للرجل الذي كان يسيطر على الجيش، والبحرية، والاقتصاد، والبيروقراطيين أن الوقت قد حان للتخلي عن هذه السلطة. والكثيرون لم يفعلوا، حتى فى معقلَ الديمقراطية "أثينا". ونتيجة لهذه المشكلة، تطور نظام فى روما حيث كان مجلس الشيوخ ينتخب كل عام رجلين، وليس رجلا واحدا، ويسميهما القناصلين، اللذين لم ينشقا عن سيطرة الجيش. وعندما كان كل منهما يعمل بشكل منفصل، كان كل واحد منهما يسيطر على الفيالق التي كانت معه. وعندما كانا يعملان معا، فقد كانا متساويين، ويتبادلان القيادة بالتناوب يوميا. وفي بعض الأحيان أدى هذا لارتباك فى القيادة بشكل واضح. ولكن عندما لم يفعل ذلك، كما فى معركة كاناي، مهد الطريق لكارثة.

كان القنصلان اللذان يقودان الجيش الروماني فى معركة كاناي هما ل. أميليوس باولوس و س. ترينتيوس فارو. وكان أميليوس باولوس جنديًا محنكًا . أما فارو فقد كان سياسيًّا يتوق إلى المجد العسكري لتعزيز مكانته فى مجلس الشيوخ. وكان فارو بلا خبرة عسكرية على أي مستوى. ومع ذلك، تعاون الرجلان، ولبعض الوقت كان أميليوس باولوس قادرا على ضبط شهوة فارو للمجد. وكان أميليوس باولوس غير مستعد لمواجهة جيش هانيبال على أرض معركة مسطحة، والتي فضلها فرسان قرطاجة الأكثر عددا وخبرة؛ لذلك قاوم الجنود المحنكون الرغبة فى محاربة هانيبال عندما عرض هذا الجيش الأصغر على القائد الروماني القتال عدة مرات.

وفيما بينهما، كان القنصلان يقودان أكثر من خمسين ألف جندي روماني، وفي المقابل كان هانيبال يقود أربعين ألف جندي، نصفهم من الغال والسكان المحليين الآخرين غير الموثوق بهم. ولأسابيع، انتظر الجيشان على بعد أميال قليلة من بعضهما البعض، وكان الرومان يتمركزون على التلال بينما كان القرطاجيون يتمركزون فى سهل نهر مستوى تحتهم. واستمر أميليوس باولوس فى رفض الانجرار إلى معركة كانت ساحتها من اختيار هانيبال والذي أغضب فارو. ومنذ الخسارة فى تريبيا، كان الجيش الروماني تحت قيادة فابيوس. وشعر بأن الفيالق الرومانية التي أعيد بناؤها (رجل لرجل)، قد كانت أقل فى مستواها من جيش هانيبال. وبسبب هذا، قضى فابيوس آخر عامين فى الاستظلال بالقرطاجيين دون إشراكهم مباشرة. وجزء كبير من مجلس الشيوخ لم تعجبهم أبدا هذه الاستراتيجية، بما فى ذلك السيناتور فارو، وصرخ فى وجه أميليوس لتجنب المعركة حتى ولو كانت لروما تمتلك جيشًا أكبر.

ومن المثير للاهتمام، على الرغم من أن جيشه كان مشهورا بالنسبة لهم، فقد بينت السجلات عدم وجود فيلة متبقية مع جيش هانيبال فى هذا الوقت، وهكذا لم تشارك أي فيلة فى معركة كاناي. وهم لم يكونوا بحاجة إليها.

وبعد أن أمضى أميليوس يومه كقائد على المرتفعات القريبة حيث كانوا فى مأمن من الفرسان القرطاجيين المتفوقين عليهم بكثير، أتى دور فارو للقيادة. قرر إجبار القنصل الآخر على القتال. وقاد فارو الجيش الروماني بأكمله وصولا إلى السهول المجاورة لنهر أوفيدوس (الذي يسمى الآن أوفانتو). وهبط الليل وعسكر الرومان على السهل. وفي اليوم التالي جاء دور أميليوس للقيادة، ومع جيشه المنتشر بالكامل بالقرب من النهر، كان من المستحيل الانسحاب. وبدأ فارو المعركة، والتي كانت ستجري فى التضاريس التي يفضلها هانيبال وفرسانه.

ولتعظيم أثر أعدادهم المتفوقة، تشكل الرومان فى شكل عمود ضخم، أعمق من عرضه، واستعدوا لسحق مركز الجيش القرطاجي. وإذا حاول القرطاجيون مواجهة هذا بالطريقة التقليدية بوضع أفضل وحداتهم فى المركز كذلك، فإن الاستراتيجية تكون قد نجحت. ولكن هانيبال استغل الفرسان النوميديين الأخفاء المتعددين، الحلفاء من أفريقيا، للكشف عن حقيقة أنه أعاد تنظيم تشكيلاته. ولم يكن التغيير مفاجئا للرومان، حيث إنه استخدم تشكيلاً مماثلاً لإلحاق الهزيمة بهم فى تريبيا قبل عامين، ولكن يبدو أنه لم يتوقع أحد أنه

سيفعل ذلك مرة أخرى. وضع القرطاجي أفضل قواته المدرعة والمدربين، وكان معظمهم فيما يعرف اليوم بـ"أسبانيا"، على كلا الجناحين. على الأطراف البعيدة لخطه، مقابل الفرسان الرومان الأضعف، كان يتمركز فرسان هانيبال، الذين تم تدريبهم على نحو أفضل، ويحملون دروعا أثقل، وأكثر عددا من الفرسان الرومان النبلاء. وهذا ترك الجنود الغال الكثيرين ولكن الأقل تدريبا وتسليحا فى مواجهة العمود الروماني. وبمجرد أن انتهى هانيبال من تنظيم جيشه، ودون وجود وقت لدى الرومان للرد على كيفية وضع قواته الآن، سحب القرطاجي قواته الخفيفة وأعادهم إلى صفوف الاحتياط وهرع الغاليون إلى الأمام. وبدأت المعركة.

كما عادت المشاة الخفيفة الرومانية، الفيليتز، وتحطمت المشاة الرومانية المتفوقة على يد الغال فى مركز خط هانيبال. وتركت خطة الرومان لجعل العمود الخاص بهم أعمق، من أجل إعطائهم تأثيرا أكبر ووضع المزيد من الضغوط على الجبهة، الأجنحة مفتوحة. وكانت خطة أميليوس وفارو هي لسحق الجناح الأيمن من خلال مركز القرطاجي، ثم التحول فى كلا الاتجاهين لتطويق كلا الجناحين.

وكانت أجنحة الجيش الروماني، التي تتقدم الآن فى عمودها الطويل، ستكون محمية من قبل فرسانهم. ولم يكن أحد يتوقع أن يهزم الفرسان الرومان الفرسان الأفارقة، ولكن فقط توقع الجميع أنهم سيصمدون لفترة أطول بما يكفي لكسر المركز. وبدلا من ذلك، انهار الفرسان الرومان على الفور تقريبا، وفروا من المعركة نحو معسكرهم فى التلال، ومعظمهم لم يبق هناك. وطارد الفرسان النوميديين الأخفاء الفرسان الرومان. وعاد الفرسان الأسبان والسلتيك المدرعون، بعد مطاردة قصيرة، إلى الوراء نحو معركة المشاة. وتأرجحت السيوف الطويلة ضد الدروع الرومانية الكبيرة دون تأثير يذكر. وفي الوقت نفسه، توغلت السيوف القصيرة للكتائب المشكلة بشكل أكثر إحكاما وراء جدار الدروع الرومانية لذبح المشاة الغال المدرعين بدروع أخف أمام عمودهم الضخم. واندفعت الفيالق الرومانية قدما فى كتلتها السميكة، وظلوا يضغطون باستمرار على الغال لإرجاعهم للخلف. وتم فصل المشاة الرومان الآن من الفرسان الفارين، والمشاة الخفيفة أيضا، والذين كان يطاردهم الفرسان القرطاجيون. وتجاهلت قوات المشاة الرومانية هذه النكسات واندفعت إلى الأمام. واستمر الغال فى التراجع على مضض، وبدأ تشكيلهم ينهار. وبعد بعض الوقت، كانت النتيجة الحتمية للمبارزة غير

المنتظمة أن الغال أُرغموا على التراجع. وواصلت قوات المشاة الرومانية التقدم ببطء على جثث القتلى أو المحتضرين من الغال.

كان فقط فى هذه المرحلة أن هانيبال أخيرا أشرك أفضل المشاة لديه فى المعركة. ولم يستخدمهم لتعزيز مركز الخط القرطاجي المنهار، والذين تراجعوا وانهاروا، وإنما استخدمهم ضد جانبيّ العمود الروماني الثقيل. وتوقف الزحف الروماني حيث تحول الرجال للتعامل مع التهديد الجديد على كلا الجناحين. وفجأة، وجد الرومان أنفسهم محاصرين من ثلاث جهات، ولكن مع هذا التشكيل الواسع والعميق فإن معظم الرجال كانوا بعيدين جدا عن رفاقهم للقتال. وكان العمود السميك والعميق يعني أن أقل من عشرة فى المئة منهم، والموجودين فى الخارج، يمكن أن يقاتلوا فى الواقع.

وكان الجنود والضباط الرومان عديمو الخبرة غير قادرين على تغيير التشكيلات فى وسط المعركة، لذا فقد اندفعوا بشكل أكثر صعوبة. وكان الأمل على ما يبدو هو سحق الغال قبل أن تحقق هجمتا الجناح أي تأثير. وكان هذا أسوأ قرار اتخذوه، لأن الاستمرار فى الاندفاع إلى الأمام دمر الجيش.

وقد رأى هانيبال ، بعد أن عاد شخصيا من القتال، الرومان وهم يواصلون التقدم إلى الأمام، فأرسل مشاته الخفيفة وراء التشكيل الروماني المعبَّأ بإحكام. ولحسن الحظ بالنسبة لهانيبال، عاد الفرسان ذوو الدروع الثقيلة أيضا فى هذه النقطة، وهاجموا الجزء الخلفي من العمود الروماني. واضطر التيراري، الخط الخلفي من الجيش الروماني، للتحول ومواجهة الفرسان. وهذا أوقف تقدم الجيش بأكمله إلى الأمام. وكان الجيش الروماني محاصرًا، وتمركز معظم رجاله فى الوسط وكانوا غير قادرين على القتال، وتفرقت أعدادهم المتفوقة وحوصر كل واحد منهم. وما أعقب ذلك كان الذبح. ومن بين أكثر من خمسين ألف رجل والذين نزلوا من التلال تحت قيادة فارو، أقل من عشرة آلاف رجل، فربما أقل من ثلاثة آلاف رجل قد نجوا.

فكيف خسر الرومان هذه المعركة؟! لقد بدأت المعركة بطريقة سمحت لفارو، وهو سياسي بلا خبرة عسكرية وأجندة شخصية، لقيادة الجيش الميداني الرئيسي الوحيد لروما. وبالإضافة إلى ذلك، فقد خاضوا معركة على أرض كانت تعمل بالتأكيد لصالح هانيبال، مما

سمح لفرسانه باستخدامها كاملة لصالحهم. وبالإضافة إلى ذلك، اختاروا أسوأ تشكيل ممكن مع أفضل مشاة وبأعداد أكبر. ولم تكن هناك تكتيكات، ولا أية براعة فى التحركات الرومانية بمجرد بدء المعركة. وهم تشكلوا ببساطة فيما يشبه كتيبة عملاقة ودفعوها قدما، مما سمح لجيش أصغر بتطويقهم تماما.

وقد نجت روما ، مما أدهش هانيبال ، وأظهر فارو فى الواقع قدرا كبيرا من الشجاعة والتواجد خلال الأيام القليلة التالية بينما كان يقوم بتجميع بقايا جيشه. ثم، فى عام 204 قبل الميلاد، هزم جيش سكيبيو الأفريقي وجيش روماني آخر هؤلاء الجنود الأفارقة والأسبان المخضرمين الذين حاصروا الرومان فى معركة كاناي بالقرب من قرطاجة نفسها. واستسلمت مدينة وإمبراطورية قرطاجة وانتهت الحرب البونيقية الثانية.

وليس هناك شك فى أن هانيبال كان عبقريا، وربما أحد أعظم القادة العسكريين فى التاريخ. ولكن فى كاناي كان لديه الكثير من المساعدة. كان هناك انقسام فى القيادة وهو ما ليس له معنى عسكري، وهذا وضع قائدًا عديم الخبرة فى السلطة والذي استخدم تكتيكات ضعيفة. ثم ضمنت حركة فارو فى الوادي أن سيقاتلوا فى الساحة والتضاريس التي اختارها الخصم. وأي خطأ من هذه الأخطاء الخاصة بالقيادة قد تتسبب فى خسران معركة. وأخيرا، لا يبدو أن فارو ولا أيًّا من القادة الرومان قد ردوا بأي وسيلة للتغيير فى تشكيل أو هجمات الجناح القرطاجي. وهذه الأخطاء معا قد خلقت ما قد يكون أسوأ هزيمة عسكرية من جانب واحد في التاريخ كله.

(3)

كراسوس ومعركة كارهاي ..
ثمن تجاهل نصيحة يوليوس قيصر !

هناك القليل من الشك حول الدوافع التي ساقت ماركوس كراسوس إلى واحدة من أسوأ الهزائم فى التاريخ الروماني. هو كان أحد الثلاثي، ثلاثة قادة متساوين والذين حكموا روما معا. وكان العضوان الآخران هما غايوس يوليوس قيصر وغنايوس بومبيوس (بومبي)، والمعروف بالفعل من انتصاراته العسكرية العديدة باسم "ماغنوس الأكبر". وكان كراسوس أغنى رجل فى روما، والتي كانت أغنى مدينة فى العالم. ولكن الأهم من الثروة، كان الرومان يقدرون القوة والهيبة. ولم يرغب مجلس الشيوخ ولا زملاؤه أعضاء الحكومة الثلاثية فى الحرب مع فرثيا، والتي تقع غالبًا فى تركيا فى الوقت الحاضر. وكانت هناك معاهدة حياد بين البلدين، وقد نمت فرثيا كمنطقة كبيرة ولكنها لم تشكل تهديدًا حقيقيًا لروما نفسها. لكن كراسوس، حتى بعد أن قاد الفيالق التي هزمت ثورة العبيد بقيادة سبارتاكوس، كان يكره أن يتواجد فى ظل كل من قيصر وبومبي. لذا جمع جيشا كبيرا وانطلقوا لغزو فرثيا.

وقد بدا أن الجيش الذي شكله كراسوس، على الورق، قادر على إرباك فرثيا. كان لدى ماركوس كراسوس سبعة فيالق (ربما عشرون ألفًا من أفضل المشاة فى العالم)، وألف من الغال، وثلاثة آلاف من الفرسان الآسيويين المسلحين تسليحًا خفيفًا بالرماح. وقبل مغادرته، انضم إليه ستة آلاف فارس إضافي مدرعون بدروع خفيفة بقيادة الحليف الروماني أرتابازوس، ملك أرمينيا. وكانت هذه القوة أكبر مرتين من مجموع قوات الفرثيين. وكان هناك اختلاف رئيسي واحد. فى حين كانت القوة الرومانية فى المقام الأول عبارة عن جيش من المشاة مع فرسان مسلحين تسليحًا خفيفًا يدعمونه، كانت جيوش الفرثيين تضم الكاتافراكت، الفرسان المدرعين بدروع ثقيلة مثل فرسان القرون الوسطى، والذين يمتطون ظهور الخيل المحمية أيضا بدروع (وتسمى الباردينج). وكان الجزء الأكبر من جيش الفرثيين يتألف من الرماة الذين يمتطون ظهور الخيل. وتم تجهيز هؤلاء الرماة الذين يمتطون ظهور الخيل بقوس مركب، وهو قوس يطلق السهام أبعد وأقوى من أي قوس آخر- كان قويا بما فيه الكفاية، حتى إن الرومان أصيبوا بذعر شديد، لاختراق حتى الدروع التي كانت ترتديها الفيالق.

وبعد أن جعلت هزيمته لسبارتاكوس منه عبقرية عسكرية على نفس مستوى قيصر وبومبي، شرع كراسوس فى تجاهل مشورة ليس فقط حلفائه المحليين، ولكن حتى رؤساء الكهنة، الذين كانوا جزءا لا يتجزأ من كل جيش روماني.

وكان أول قرار سيء لكراسوس هو مواصلة حرب لا داعىَ لها، ولكن خطأه الأكبر كان كيف استمر فيها. ويبدو أن الجميع قد نصحوه بالذهاب مع مشاته إلى فرثيا عبر سلسلة من الجبال والتلال. وهذا كان سيضع الفرسان الفرثيين فى وضع غير جيد، حيث لا يمكنهم تشكيل صفوفهم ولا القتال بشكل فعال. ولكن الرغبة فى المجد السريع يبدو أنها أعمت ماركوس كراسوس عن مخاطر اتخاذ مسار أسرع عبر أودية نهرية مسطحة فى بلاد ما بين النهرين. والذي شجع رغبته للقيام هو القائد المحلي لأحد الممالك على حدود فرثيا، الزعيم أريمانيس. وقد "عزز" أريمانيس الرومان مع ما يقرب من ستة آلاف من الفرسان التابعين له شخصيا. كما أن النبيل المحلي أكد لكراسوس أن جيش الفرثيين تعرض للهزيمة بالفعل، وتراجع لمجرد إشاعة أن القائد الروماني كان قادما. وبدون معرفة كراسوس، كان أريمانيس متحالفا فى الواقع مع الفرثيين، وعندما جاء وقت الحسم، لم يتواجد هو ولا فرسانه. وقد عززت رغبة كراسوس لاتخاذ هذا الطريق الصحراوي حقيقة أنه سيكون قادرا على إضافة بضعة آلاف من الرجال لجيشه من خلال انتشالهم من حاميات القلعة المجاورة والتي تقع على طول الطريق الذي اختاره- الحاميات وضعت هناك لأن التضاريس جعلت من الطريق واضحا لسلاح الفرسان الفرثيين لغزوه.

ومع اقتناعه بأنه يتعين عليه الذهاب إلى فرثيا بسرعة قبل أن يهرب جيش الفرثيين بالكامل، آخذين معهم سعيه للمجد العسكري، أمر كراسوس الجيش الروماني بالتحرك إلى الأرض المثالية لسلاح الفرسان – الأرض التي كانت أيضا أسوأ أرض تواجه فيها مشاته قوة محمولة.

وعندما بدأت الحملة، شعر كراسوس أنه قد أثبت عبقريته العسكرية مرة أخرى. وكان عبور النهر للوصول إلى أرض الأعداء صعبا دائما، ولكن باستخدام غطاء من عاصفة رعدية كبيرة، كان كراسوس قادرا على عبور النهر الذي يفصل حدود فرثيا دون معارضة واحتلال بلدة تيوجاما الصغيرة. وقد أثبت ذكاءه، لنفسه على الأقل، ولكن كراسوس لم يتخذ أي قرار جيد آخر بعد ذلك.

وفي رد فعله على خرق المعاهدة بغزو الرومان، أخذ ملك الفرثيين، أورودس الثاني، نصف جيشه متجها إلى أرمينيا لمعاقبة أرتابازوس بسبب مساعدته للرومان. وبقي النصف الآخر من

جيش الفرثيين فى الخلف تحت قيادة نبيل يدعى سورينا، وغالبا ما كان يدعى سورين فقط، والذي كان أيضا رئيس إحدى العشائر السبع التي كانت تتقاسم السيطرة فى فرثيا. وكان يرافق سورين أقل من ثلاثة آلاف من الكاتافراكت مع الآلاف من الرماة على ظهور الخيل. ومن المرجح أن سورين كان ببساطة يخطط لإبطاء الجيش الروماني من أجل كسب الوقت لأورودس الثاني لدفع أرمينيا من الحرب وإعادة توحيد الجيش بأكمله للمعركة النهائية ضد الرومان.

لذلك عسكر الجيش الروماني بالقرب من أحد الأنهار فى الصحراء، وكانوا يحتاجون فقط لاتباع هذا النهر نفسه للوصول فى نهاية المطاف لعاصمتي فرثيا. ولكن بدلا من اتباع النهر المتعرج وضياع بضعة أسابيع إضافية للوصول إلى العاصمة، اقتنع كراسوس برأي آريمانيس باتخاذ الطريق "الأسرع" عبر البلاد. وقيل له إن هذا من شأنه أن يمكنه من الوصول إلى عواصم الفرثيين قبل أن يتم إرسال التعزيزات لهم. وجميع ضباط كراسوس نصحوه بعدم فعل هذا، ولكنه أمرهم بالسير. وفي البداية سارت الأمور بشكل جيد؛ كانت الأرض التي تقع بالقرب من النهر خصبة وخضراء، وكانت الآبار كثيرة. ولكن بمجرد دخولهم، تحولت الأرض إلى صحراء جدباء. وبعد إقناع كراسوس بالذهاب إلى هذه الأرض القاحلة بسرعة أكبر، أخذ آريمانيس قواته بالكامل بعيدا، واعدا بتعطيل "تراجع" الفرثيين- يفترض تأخيرهم حتى يتمكن الرومان من المعركة، ولكن من المرجح فقط السخرية والحصول على مكافآته.

وبعد ذلك تلقى القائد الروماني رسالة من أرتابازوس يقول فيها : إنه لا يمكنه إرسال بقية الجيش كما وعد. وقام أوردس الثاني بغزو أرمينيا وكانت هناك حاجة لجميع قوات أرتابازوس للدفاع عن بلده. ولكن هذا لم يجعل كراسوس يتردد. وكل ما أراده هو انتصار سريع ومجيد، بحيث كان هذا كل ما يفكر فيه. ومع عدم الجدال من قبل الرجل الثاني فى القيادة، استطاع كاسيوس، الذي قدم فى وقت لاحق فى أبشع قصة لشكسبير، التأثير على عضو الحكومة الثلاثية.

وبعد المزيد من أيام العطش وصل الرومان لمدينة كارهاي. وبالقرب منها كان يعسكر نصف جيش الفرثيين الذين ظلوا فى الخلف مع قائدهم سورين. تحول كراسوس الآن من عنيد فى القيادة إلى غير حاسم. فى البداية، أمر بتشكيل خطٍّ مع الفرسان فى كل جانب، وكان

هذا هو التشكيل التقليدي الروماني للهجوم. ولكن عندما اجتاح الفرسان الفرثيون المسلحون تسليحا خفيفا بسهولة جميع أنحاء الجناحين، أمر الجيش بأكمله بالتحرك إلى ساحة واسعة. وربما كان هذا التغيير ضروريا، ولكن الساحة كانت تعني أن الجيش كله كان قادرا بالكاد على التحرك.

وقيل : إن سورين قد جهز الكاتافراكت لديه لشن هجوم ضخم. وقبل أن يبدأ، رأى عمق الخط الروماني وأعدادهم، وأمر الفرسان المسلحين بأسلحة ثقيلة بالاستعداد، مما شكل تهديدا مستمرا وجعل الجيش الروماني يبقى فى ميدانه. وبدلا من الهجوم على الميدان، أمر سورين الرماة على ظهر الخيل ببدء الهجوم على القوة الرومانية الثابتة. وكانت مفاجأة غير سارة للرومان أن أسهم الفرثيين كانت قوية بما فيه الكفاية حتى إنها اخترقت دروع الجنود. وبعد قصف مكثف، توقف الهجوم وهدأ الرومان، عندما علموا أن الفارس الواحد لا يمكن أن يحمل سوى عدد محدود من الأسهم. ولكن فرحتهم لم تدم طويلا، حيث جلب سورين الإبل التي تحمل عشرات الآلاف من الأسهم الإضافية، وبدأت عاصفة أخرى من الأسهم، واستمرت لساعات.

وعندما ظهرت قوة كبيرة من الفرثيين فى الجزء الخلفي من الميدان الروماني، أمر كراسوس ابنه "بوبليوس" بأخذ الفرسان الغال، وهم أفضل فرسانه، وخمسمائة من الرماة المشاة، وسبعة أفواج من المشاة لإبعاد وتدمير قوة الفرثيين الأصغر. وبدا أن هذه القوة كانت تتألف معظمها من الرماة غير المدرعين على ظهور الخيل. وفر الرماة الفرثيون وطاردهم بوبليوس. وعندما كانت كلتا القوتين على مسافة من المعركة الرئيسية، تحول الفرثيون وهجموا على الرومان مع رفاقهم من الكاتافراكت، فى حين هجم كلا الجناحين الرومانيين بغتة من قبل الرماة على ظهور الخيل. تقدم الغال إلى الأمام لمواجهة الفرسان الفرثيين المسلحين بأسلحة ثقيلة، واكتشفوا أن رماحهم لا يمكن أن تخترق دروع الكاتافراكت. وفي حالة من اليأس شرعوا فى انتزاع رماح الفرثيين المدرعين بدروع ثقيلة، وسحبوا كلاً من الجنود الغال والفرثيين على الأرض. وسرعان ما جرب الغال والمشاة الخفيفة محاولة أخرى يائسة لوقف الفرسان المدرعين. وقد ارتموا تحت خيول الكاتافراكت لطعنها حيث إنهم لم يكونوا محميين. وكان هذا أيضا هجوما أشبه بالانتحار. ومع تفاقم الوضع، أرسل بوبليوس يائسا لوالده طالبا منه التعزيزات.

وقبل أن تمر فترة طويلة، كان معظم الغال المتبقين يسيرون على أقدامهم، وانهار كلا الجناحين الرومانيين تحت وابل من السهام. وأمر بوبليوس القوة بالكامل بالتراجع وإعادة تشكيل نفسها على تلة صغيرة. وخلال تواجدهم فى كل اتجاه، فإنهم سرعان ما أعاقوا الكاتافراكت. وكانت المشكلة أن أجمة كثيفة من الرجال الذين غطوا تلة واحدة قد خلقت هدفا مثاليا تقريبا للرماة على ظهور الخيل. وعندما رأى رجاله يتساقطون من حوله، أصبح من الواضح عدم حضور أية مساعدة وانتحر ابن كراسوس. وهو قد اختار الطريقة التقليدية وأمر حامل درعه بطعنه. وبعد وفاة بوبليوس، استسلم من بقي منهم. الناجون وبلغ عدد الناجين أقل من خمسمائة من إجمالي قوة كانت تتألف من أربعة آلاف والذين كانوا قد تحركوا قبل بضع ساعات فقط.

وخلال ذبح قوة بوبليوس، كان كراسوس يقوم بتغيير تشكيلاته. ومع انتهاء الضغط على الجزء الخلفي من ميدان الرومان، وكان جميع الفرسان الفرثيين يذبحون جنود بوبليوس، أمر كراسوس بالعودة إلى تشكيل الهجوم. وعندما تلقى رسالة تخبره بمحنة ابنه، أمر كراسوس الجيش بأكمله بالتقدم. وقد ضرب الكاتافراكت مقدمة الجيش وأمطروهم بوابل من الأسهم. وتوقف الهجوم تقريبا بمجرد أن بدأ.

وفى هذه المرحلة، اتفق جميع الناجين على أن كراسوس ببساطة قد فقد المعركة. وقد ذُعر بجنون. وفي حين كان لا يزال قائدا لجيش لا يقل عن ضعفي خصومه من الفرثيين، فقد الأمل. وبعد رؤية هذا الوضع، تولى القائدان الباقيان على قيد الحياة، كاسيوس وأوكتافيوس، قيادة الجيش. وأمروا بالرجوع برفق إلى مدينة كارهاي التي تقع على بعد بضعة أميال. وبعد أن رؤوا الجيش يتراجع، فقد انطلق جميع الفرسان الرومان المتبقين تقريبا، وكانوا من الفرسان المسلحين بأسلحة خفيفة ومعظمهم من المجندين محليا. وتوقفوا لفترة طويلة بما يكفي لنشر الشائعات فى كارهاي بحدوث كارثة لجميع الرومان، مما أحدث الذعر فى المدينة. وبما أنهم كانوا مشاركين فى تراجع القتال فى كارهاي، فقد اضطر الرومان إلى ترك جرحاهم حيث سقطوا. ويذكر بلوتارخ أن أربعة آلاف من الجرحى قد قُتلوا على يد الفرثيين فى فجر الليلة التالية. وعندما خيم الظلام أخيرا، واصل الرومان التراجع حيث تباطأ الوابل المستمر من السهام.

وحتى فى الليل، كان الجيش الروماني لا يزال محاصرا وكان يتعرض للهجوم فى بعض الأحيان من قبل الفرسان الفرثيين الأذكياء، الذين خرجوا من الظلام، وضربوا، ورجعوا حتى قبل إطلاق نفير التحذير. وفي الظلام، قام شخص يدعى فارجونتينيوس بقيادة أربعة أفواج بنفسه. وبعد انفصاله عن الجيش الروماني الرئيسي، حوصر فارجونتينيوس وقوته الصغيرة بسرعة وانتهوا فى فجر الليلة التالية. ومن بين ما يقرب من ثلاثة آلاف رجل فى تلك الأفواج الأربعة، لم ينج سوى عشرين رجلا. وقد سمح الفرثيون، الذين أعجبوا بشجاعة هؤلاء الناجين، الذين وقفوا على استعداد للقتال حتى النهاية، لتلك القلة المتبقية للعيش والذهاب أحرارًا.

واصل جيش كراسوس تراجعه خلال الليل ووصلوا أخيرا كارهاي مع أكثر من ثلاثين ألف رجل لا يزالون فى الصفوف. ووصل الفرثيون فى اليوم التالي، ولكنهم لم يكونوا فى وضع يسمح لهم بالهجوم على المدينة. كان كراسوس مرة أخرى فى القيادة، ولكن سرعان ما علم أنه لا يوجد ما يكفي من الطعام فى كارهاي لإطعام جيشه لأكثر من بضعة أيام. وفي اليوم التالي أمر بالرجوع مرة أخرى. وحيث إنه لم يتعلم الدرس، وضع كراسوس ثقته فى دليل محلي آخر والذي كان يعمل لدى الفرثيين. قاد الجيش عبر أسوأ الطرق الممكنة وأكثرها جفافا. وسرعان ما وجد الرومان أنفسهم محاصرين من قبل الفرثيين عند أول بئر ماء حقيقية عثروا عليها- المستنقع الذي لم يتمكنوا من عبوره.

وافق الفرثيون على التباحث والتفاوض على السلام مع روما . وهذا كان من المرجَّح أن يؤدي إلى تعويض وفقدان بعض الأراضي. ولكن هذا لم يكن. كراسوس، الذي كان لا يزال على حافة الذعر وإرادته مكسورة، أرغم من قبل قواته للتحدث مع سورين. وعندما أمسك أحد الفرثيين بمقاليد كراسوس، بدأت المعركة بين المندوبين الرومانيين، والتي كانت كلها من قبل القادة الرومان الناجين، والحارس الشخص لسورين. قُتل كراسوس، وهرب هؤلاء القلة من الرومان الناجين إلى مستنقع قريب. وهاجم جيش الفرثيين جيش الرومان الذين كانوا بلا قيادة وكسرت معنوياتهم على الفور تقريبا. عشرون ألفا لقوا حتفهم، وتم أسر العشرة الآلاف الباقين. وتم استغلال هذه المجموعة الأخيرة كمجموعة فى مقاطعة ساجديا الفرثية البعيدة، حيث لا يزال علماء الآثار اليوم يعثرون على القطع الأثرية على الطراز الروماني.

وكان الفيلق الروماني ، عندما يشتغل بشكل صحيح، قادرا على هزيمة أي عدو تقريبا. ولم يكن لدى الرومان تقاليد فقط، ولكنهم كانوا يتوقعون الفوز. ولكن هذا الموقف، وسعيه الشخصي للمجد والشهرة العسكرية أدى بماركوس كراسوس عديم الخبرة والذي يتمتع بالثقة المفرطة بالنفس لوضع فيالق جيوشه فى وضع لا يمكن لقوتها التنظيمية والتكتيكية أن تحدث فرقا. وكانت النتيجة فى كارهاي أن الفيالق أصبحت مجرد هدف آخر غير قادر على مجابهة العدو. ثم مرة أخرى، أكد كراسوس هذه الهزيمة مع الفشل الصارخ والمستمر فى القيادة، والاستطلاع، والاستخبارات. وهو لم يستطع حتى الاستسلام بوقت كاف لوضع حد للمذبحة.

وربما تندهش من الأنا التي يمكن أن تعطل المسيرة ومن ثم تؤدي إلى تدمير أفضل آلة للقتال فى العالم. خلق ماركوس كراسوس حربا ثم خسرها والتي لم يكن يتعين عليه القتال فيها. وقد اختار خوض هذه الحرب على الأرض التي أعطت للعدو كل ميزة. ويبدو أن عضو الحكومة الثلاثية الروماني قد جمع معلومات استخباراتية عن العدو وأساليبهم، أو التضاريس التي سيعبر جيشه من خلالها. ولعل الأكثر حماقة أن قائدا والذي كان يستحق معركة واحدة فقط للتجربة اختار أن يتجاهل باستمرار نصيحة الضباط الأكثر خبرة ووضع ثقته بدلا من ذلك فى المستشار المحلي الخطأ فى كل مرة، وكل ذلك بسبب أنهم قالوا له ما يريد أن يسمعه. توفي أكثر من أربعين ألف رجل أو بيعوا فى سوق النخاسة بسبب سعي كراسوس دون جدوى للمجد وعدم سماع نصيحة اثنين من ألمع العقول العسكرية فى جميع الأوقات، قيصر وبومبي. وبدلا من ذلك تمكن من وضع اسمه فى التاريخ باعتباره أحد أسوأ القادة على مر التاريخ.

(4)

فاروس ومعركة غابة تويتوبورج ..
هزيمة موجعة بسبب الثقة المفرطة !

على عكس ما تقوله معظم الكتب المدرسية، فقد توسعت روما فى الواقع فى غرمانيا، (ألمانيا اليوم) ، وتقريبا إلى نهر الألب، فى عهد الإمبراطور أوغسطس. ومع ذلك، فلم يدم التوسع طويلا جدا، وخلافا لمعظم التوسعات الرومانية، لم يكن معززا بأية انتصارات عسكرية كبيرة. وفي الواقع، كان العكس هو الصحيح. التأقلم مع الثقافة الرومانية، أو أن يصبحوا جزءا من الهيكل الاقتصادي الروماني واسع الانتشار. وهناك دائما أسباب كثيرة لهذا الفشل السياسي والاجتماعي. الاشتباك بين الثقافات أو عدم وجود تفاهم متبادل غالبا ما يكون السبب عندما يفشل شعبان فى التوافق.

فشل الرومان فى الاحتفاظ بغرمانيا كان فى الأساس بسبب الاقتصاد، وحتى أكثر من ذلك، قد يرجع لغطرسة أحد القادة الرومان. وكان الجزء الاقتصادي من الصورة أن الإمبراطورية الرومانية كانت تحتاج لتحقيق الربح من حروبها. وكانت الخدمة طويلة الأجل فى الجيش الروماني مكلفة. وخلافا للفيالق الرومانية السابقة فى كاناي وكارهاي، فقد تغير الجيش بقيادة أوغسطس من المتطوعين وجامعي الضرائب إلى قوة بدوام كامل ومحترفة حقا، حيث كانت الخدمة فى الفيلق تستمر لعشرين أو لخمس وعشرين سنة. وبدلا من أسابيع من التدريب، كان الأمر يستغرق عدةَ أشهر لتدريب وتلقين الجنود الرومان فى القرن الأول الميلادي.

وكان الجنود يتقاضون أجرًا نظير خدمتهم فى الجيش حسب رتبهم وكانوا يُعطون مكافأة كبيرة عند التقاعد، والتي كانت غالبا فى شكل أرض فى بعض المناطق الحدودية. ومع جيش محترف وبيروقراطي للغاية، كان هناك الكثير من الاتصالات المتوفرة فى هذا الوقت، وكانت الإمبراطورية الرومانية فى عهد أوغسطس قيصر كبيرة جدا. وكان الرسول (ساعي البريد الآن) يستغرق شهرين للسفر على ظهور الخيل والسفن، وكان الفيلق يحتاج إلى ضعف الوقت لعبور الإمبراطورية فى أحسن الظروف. وهذا يعني أن الحكام كانوا يتمتعون بالكثير من حرية التصرف ولم تكن تجري مراجعة حقيقية للقرارات التي يتخذونها باسم الإمبراطور. وذلك يعني أيضا أنه كان هناك خطب ما، كانوا يختلون بأنفسهم لعدة أسابيع.

وكان مجرد الحفاظ على الوضع الراهن مكلفا. لذا كان يتعين الحصول على غنائم كافية من الحرب، أو التوسع فى الأراضي الخصبة حيث يمكن إرسال المستوطنين إليها، ثم

إخضاعها للضرائب. وكان هذا الشرط، أكثر من أي شيء آخر، هو السبب فى تباطؤ توسع الإمبراطورية الرومانية. وفي الشرق، كما ذكرنا عنه فى معركة كارهاي، كانت الإمبراطورية البارثية مليئة بالكثير من المتاعب للفوز والاستمرار. (تم احتلال عواصمها فى الواقع من قبل أحد الأباطرة فى وقت لاحق، ولكن حتى ذلك الحين تم نهبها ثم التخلي عنها.) وإلى الجنوب كانت الصحراء القاحلة. وإلى الغرب، كان المحيط الأطلسي ولكن كانت هناك مشكلة، حيث إن أراضي القبائل الغرمانية وراء نهر الراين كانت ببساطة لا تستحق الغزو. وكانت القبائل فقيرة مقارنة بتلك التي فتحها والد أوغسطس، يوليوس قيصر، فى بلاد الغال. ولم تكن الأراضي الغرمانية خصبة جدا أو تجتذب المستوطنين.

ومع ذلك، فإن القوة المطلقة للثقافة الرومانية وقوة انتصاراتها السابقة سمحت لأوغسطس بالمطالبة بالأراضي مع قبول القبائل الغرمانية على مضض، وحتى تعيين حاكم عليها، بوبليوس كوينكتيليوس فاروس. لذا لفترة قصيرة، اسما وشكلا، كانت غرمانيا مقاطعة رومانية. وكانت الحاميات تتألف فى معظمها من المناطق الغرمانية التي تقع فى معاقل صغيرة فى جميع أنحاء المقاطعة الجديدة "غرمانيا". وتم تعيين ثلاثة فيالق كاملة لفاروس. وتمركزت تلك الحاميات فى جنوب غرمانيا، بالقرب من حدود المقاطعات الرومانية المقامة هناك. لذلك تم احتلال الجزء الأكبر من المقاطعة الجديدة "غرمانيا" بشكل طفيف، ولكن روما كانت لا تزال تتوقع أنها ستولد ربحا. وثمة حافز آخر للضرائب هو أن الحكام التابعين لأوغسطس لم يكونوا يتلقون أجرا، ولكن بدلا من ذلك كان يسمح لهم بالاحتفاظ بجزء من الضرائب التي يجمعونها. لذلك قرر فاروس فرض ضرائب على جميع القبائل، وهو مفهوم جديد وضار بالسمعة الرومانية القوية وليس فتحا، وبدأ فاروس يعامل المقاطعة كما لو أنها قد غُزيت وهُزمت.

وكان فاروس فى وقت سابق حاكما لمقاطعة أفريقية هادئة تماما وليس لديه مشكلة معها، لذلك كان يعامل الغرمان فقط بنفس الطريقة التي يعامل بها الآخرين تحت قيادته. وشرع فى توجيه الأوامر لمشايخ القبائل حول الشؤون القبلية والتدخل فيها، وكان يتصرف تماما مثل أي حاكم روماني عادي. وباختصار، تصرف فاروس كفاتح، وهو ما كان صحيحا فى أفريقيا، ولكن لم يسبق أن تعرضت القبائل الغرمانية للغزو. وكان هذا، بعبارة ملطفة، أول خطأ من الكثير من الأخطاء. ولعل أكثر القبائل التي خضعت للأرمنة (كناية عن التطبع بالرومان)،

وكذلك إحدى أكثر قبائل الغرمانية الجنوبية هي قبيلة الشيروسكيون تحت قيادة أرمينيوس، والذي قضى معظم شبابه كرهينة فى روما، وبعد ذلك كضابط احتياط لدى الرومان. وهذا يعني أنه تدرب بشكل جيد من قبل روما نفسها على كيفية خوض معركة. وسرعان ما أظهر أرمينيوس أنه تعلم جيدا الدروس العسكرية التي تجاهلها فاروس أو فشل فى تذكرها.

وكان أرمينيوس والعديد من القادة المحليين الآخرين يلتقون بانتظام ويتناولون الطعام مع فاروس حتى يثبتوا ولاءهم الدائم له وللإمبراطورية. وكان هذا يسر قلب فاروس. وكان فاروس واثقا من الوضع العسكري لأنه كان لديه ثلاثة فيالق كبيرة تحت قيادته، وهي الفيلق السابع عشر، والفيلق الثامن عشر، والفيلق التاسع عشر (17، 18، و 19). لذلك عندما انتشر خبر وقوع بعض الانتفاضات المحلية فى الأجزاء البعيدة من مقاطعته، جمع فاروس كل الفيالق الثلاثة معا وسار إلى الشمال. وكان هذا هو الإجراء الروماني العادي كرد فعل على أي شكل من أشكال التمرد، واستخدام القوة المفرطة وجعل المتمردين عبرة لمن يعتبر.

وبهذه الطريقة، تمكنت روما من السيطرة على 20 مليون نسمة من السكان المتنوعين للغاية من بريطانيا إلى مصر مع جيش يتكون من أقل من 220.000 فيلق والعديد من الاحتياط. وبالرغم من أنه كان واثقا أنه سيتحرك فى البداية عبر أراضي "ودية" تابعة لحليفه المخلص أرمينيوس والذي كان يدعوه دائما لمأدبة الطعام، إلا أن فاروس كان يشعر بالقلق قليلا من حقيقة أن جيشه كان سيئ التنظيم ويمتلئ بغير المقاتلين. وكان يرافق كل ضابط واحد أو حتى عشرات من الخدم. وجاءت النساء، بعضهن كن "زوجات" وغيرهن إلى هناك لأغراض مهنية. وانضمت أعداد كبيرة من التجار وخدمهم للجيش من أجل الاستعداد لشراء الغنائم والعبيد بأفضل الأسعار.

وهكذا، مع ثلاثة فيالق، وعشرين ألف رجل، سار فاروس لفترة طويلة، مع جيشه الذي يضم المزيد من المدنيين أكثر من الجنود. وكانت الطرق فى غرمانيا عبارة عن مسارات فى المقام الأول، وكانت معظم غرمانيا عبارة عن غابات كثيفة. وهذا جعل من الصعب جدا التخلص من الوحدات على جانبي الفيالق. والطرق التي لم تكن مسارات كان لا يمكن السير عليها بسهولة، وكثيرا ما كانت الوديان أو الأنهار تجبرهم على العودة إلى الفيلق الرئيسي. لذلك اقتصرت الكشافة على رؤية ما كان على الطريق. والسير على مسار يبلغ عرضه أمتارًا قليلة يعني أيضا

أنه إذا توقفت مؤقتا، فإن الضغط من أولئك الذين يتبعونك سيجبرك على مواصلة التحرك. وفي غضون بضعة أيام، فإن المزيج من المدنيين الجامحين والممرات الضيقة أخلت بانتظام مسيرة الفيالق. وتم تقسيم الفيالق الرومانية والوحدات القتالية إلى مجموعات صغيرة تختلط فيها النساء مع التجار وكلهم يتحركون فى مزيج على طول مسارات الغابات.

كان فاروس يسير فى مقدمتهم وكان على بينة بالوضع غير منظم لفيالقه، ولكنه كان واثقا من أن لديه الوقت لتصحيح هذا الارتباك عندما يقترب من المتمردين. وسرعان ما شعر الحاكم الروماني بالأمان أكثر عندما علم أن (رئيس القبيلة الغرمانية قد بدأ فعلا فى حشد جنوده حتى قبل جمع الفيالق). ثم قام أرمينيوس بقيادة عدة آلاف من المحاربين الغرمان لغرض معلن وهو مضايقة المتمردين وتطهير الطريق أمام فاروس. وتعقد هذا الموقف التكتيكي السيئ بالفعل أكثر مع هطول الأمطار بشكل مستمر، وهبوب العواصف الرعدية فى بعض الأحيان. وكان هذا المطر مهما لفهم مصير فيالق فاروس. وقد ارتكب الحاكم الروماني أخطاء كلاسيكية عندما قبل تقارير استخباراتية من عدو محتمل على أنها دقيقة، وأمر فيالقه بالسير فى تضاريس أفقدتهم القدرة على القتال فى تشكيل محكم. وقد جعل الأمطار هذه الكتائب أقل فعالية. وقد غطت الأمطار سروج الخيل التي كانت تحمل دروع الجنود الرومان، الأمر الذي أدى إلى تمددها، وكانت تجبط فى بعضها البعض أثناء السير.

كما أن هطول الأمطار المستمر قد أغرق الدروع الخشبية المغطاة بالجلد أو القماش وجعلها أثقل وأصعب لرفعها عاليا. وأخيرا، فإن المطر قد أغزق الرماح الخشبية والمعدنية وكذلك الملابس على مسارات سيئة وأصبح الجو أكثر رطوبة وبرودة مع كل خطوة. وفقط خلال السير لعدد قليل من الأيام الممطرة، والتعمق فى أراضي شيروسكيون، هوجم الجيش فجأة من قبل الآلاف من المحاربين الذين جمعهم أرمينيوس فى وقت سابق. وعرف فاروس الآن حماقة الثقة فى رفيقه، ولكن بعد فوات الأوان. وبعد أن انتشرت الفيالق وتشكلت بصعوبة، صدوا هذا الهجوم من قبل "الحلفاء"، ولكن فقط بعد أن تكبدوا خسائر كبيرة.

وكان العديد من المدنيين قد قتلوا أو هربوا فى الغابة، حيث كان يتم قتلهم أو استرقاقهم بسرعة. وعرف كل جندي فى الفيلق أن القوة كلها قد علقت فى أراض معادية. تراجع الجيش بأكمله إلى تلة مغطاة بالخشب، حيث أحرقوا معظم عرباتهم لمنعها من إبطاء تحركهم. وقد دمرت الفيالق أيضا أي شيء آخر ذي قيمة والتي حملوها هم أو التجار لمنعها من أن تصبح

غنائم لصالح الغرمان. وقلل الفيلق أيضا مما كان يحمله كل رجل معه بخلاف الأسلحة والطعام لبضعة أيام. وفي اليوم التالي، تجددت المسيرة وتركوا وراءهم الجرحى والعديد من المدنيين الذين خافوا من أن الاستمرار فى معسكر محصن على تلة كان من المستحيل الدفاع عنه. وسقطوا خلال أيام وتم ذبح كل من تخلف وراءهم.

اكتوت الفيالق الثلاثة، لكنها كانت لا تزال سليمة أساسا كقوة مقاتلة واستمرت المسيرة. وكانوا يأملون فى الوصول إلى مدينة صديقة أو بلد مفتوح بشكل مناسب. وفي بلد مفتوح كانوا يعرفون أنه يمكنهم هزيمة أي شخص. لكن الغرمان كانوا يعرفون هذا كذلك وتجنبوا كل الأشجار الكبيرة. وأمامهم، عرف الرومان أنه كانت هناك مدن صغيرة ومساحات مفتوحة. لذلك استمرت المسيرة إلى الأمام عبر المطر، وهاجم المحاربون الغرمان غير المدرعين والأسرع حركة أولا قسمًا واحدًا من العمود، ثم آخر. وخلال التوقف فقط لإبعاد كل مجموعة صغيرة من المحاربين الغرمان، واصلت الفيالق إحراز تقدم ببطيء خلف الأشجار الكثيفة. ومع عدم وجود عربات أو رجال باقين، كان يجب ترك الجرحى وراءهم وكانوا محظوظين إذا ماتوا بسرعة. وقد حكى المؤرخ الروماني كاسيوس ديو قصة المسيرة. وقد سجل أن فاروس قد وصل فى النهاية إلى البلاد المفتوحة، ولكن كانت هناك مستوطنات أو مواقع دفاعية قوية. ومع الطعام المحدود، لم يكن هناك خيار سوى مواصلة السير. وبمجرد الخروج من المناطق المفتوحة، تكبدت الفيالق مرة أخرى أفدح الخسائر.

كانت التكتيكات المتفوقة والتدريب لا طائل منه بالنسبة لهذه الكتائب، حيث كان يتعين على الرومان تشكيل صفوفهم فى مساحة ضيقة، من أجل أن يتمكن سلاح الفرسان والمشاة معا من إسقاط العدو، وكانوا يصطدمون فى كثير من الأحيان مع بعضهم البعض ومع الأشجار. ولم يكن هناك ببساطة مكان للانتشار ولا طريق لإنشاء تشكيل درع لدرع متين حتى يسقط من خلاله الكثير من المعارضين ويهزموا. كان الغرمان، الذين اعتادوا القتال كأفراد، يألفون هذا النوع من الكر والفر والمناوشات المستمرة. وبحلول نهاية اليوم الثالث بعد بدء الهجمات، كان من الواضح أن الفيالق قد انهارت، وفي خرق لم يسمع به أحد تقريبا للانضباط، تخلى قائد سلاح الفرسان "نومونيوس فآلا" عن سلاح المشاة وحاول إعادته إلى الراين مع وحدته وحدها.

ولم تسنح لهم الفرصة أبدًا. تدمر سرب لنصرة رجل. ومع ذلك، فإن الفيلق، الذي تكبد خسائر فادحة، واصل الكدح إلى الأمام، وقاتل ما تبقى من الفيالق. وبمجرد بدء المعركة

المتواصلة، خرجت دعوة من أرمينيوس للمحاربين من كل قبيلة غرمانية للانضمام إليه. وكان هناك نهب وانتقام من الرومان باستمرار تقريبا. وكان هناك تنسيق كبير بين الوحدات الغرمانية، ولكن لم تكن هناك حاجة لأي منها. وتباطأت المسيرة أمام الزحف، ولكن لم يكن هناك خيار سوى النضال، على أمل التوصل إلى تسوية أو مدينة يمكن الدفاع عنها. وهطلت الأمطار أكثر غزارة فى اليوم الرابع، وزادت الرياح حتى تحولت إلى عاصفة عنيفة. وأخيرا، بدأ الفيلق فى التفكك. وعندما قتل الضباط وفقد القادة السيطرة، فر الرجال أو استسلموا. ومع ذلك قاتل الآخرون، واستنفدت قوتهم، مع معدات مبللة وأمل ضئيل. واكتظوا مع وصول المزيد والمزيد من الغرمان كل يوم. وبحلول اليوم الخامس، كان كل ما تبقى هم الهاربين.

وصل عدد صغير من الفيلق لقلعة أليسو التي صمدت أمام هجوم الغرمان، وبالتالي بقوا على قيد الحياة. وقد تم قتل أو استرقاق كل شخص آخر فى الفيالق الثلاثة. وانتحر فاروس، كما فعل معظم ضباطه. وسجل أنه عندما قيل لأوغسطس أنه قد فقد للتو الجحافل الثلاثة كاملة، حوالي عُشْرِ جيشه كله، قال صائحا "كوينكتيليوس فاروس، أعد لي فيالقي". وبالنسبة للخمسمائة سنة التالية، لم يتم تشكيل أي فيلق تحت اسم الفيلق السابع عشر، أو الثامن عشر، أو التاسع عشر. ومن عام 10 م إلى عام 12 م، تم معاقبة القبائل الغرمانية واقتادوهم بعيدا عن الحدود الرومانية الجديدة على نهر الراين. ولكن بعد فقدان الفيالق الثلاثة فى تويتوبورغ والد، اعتبر أمرا مكلفا للغاية بالنسبة لهم البقاء واستصلاح غرمانيا باعتبارها مقاطعة رومانية. ومن الصعب معرفة ما فعله فاروس صحيحا أكثر من كل ما ارتكبه من الأخطاء.

وكان كل خطأ ارتكبه تقريبا كان يعزى إلى الثقة المفرطة. ولكن يمكننا محاولة سرد أخطائه. وهناك قائمة بجميع الأشياء التي "يجب أن تفعلها" لخسارة معركة: لم تكن لديه معلومات كافية فيما يتعلق بالعدو، وكان هناك نقص فى التخطيط للمسيرة، وتجاهل الوحدات التي كانت تقوم بحماية الفيلق من الهجوم على الجانبين. وقد كان السبب وراء الكثير من المشاكل فى وقت مبكر هو السماح لعناصر مدنية كبيرة بشكل غير عادي بالانضمام لوحداته القتالية، مما جعلها أقل فعالية، وغالبا ما تفوق عددها محليا. ولكن ربما الأهم من ذلك، كان السبب وراء هذه الهزيمة مرة أخرى هو جعل الفيالق تقاتل فى التضاريس التي أبطلت كل ميزة لدى الجنود من الدروع، والسيوف، والتدريب الفائق.

(5)

معركة حطين والملك الصليبي وابتلاع طعم صلاح الدين !

حسنا، هذا هو السؤال الصعب. أنت غي دي لوزينيان، الملك المنتخب مؤخرا لأوتريمر، المملكة المسيحية فى الأرض المقدسة. وقد وجدت القوى الإسلامية المعادية لك قائدا فذا مثل صلاح الدين الأيوبي، وقد جمعت جيشا تحت قيادته. أنت تعرف أن قواتك أقل عددا من العدو بمعدل 1/5، وتعلم أيضا بأن العديد من قادتك سيقتلون من قبل ملك الأعداء. وكانت بينك وبين جيش العدو صحراء جدباء، وكانت مدنك محمية كلها من قبل بعض من أكبر القلاع المبنية على الإطلاق. وهذا يعني أنه، فى القلعة أو المدينة المسورة، حتى بضع مئات من الرجال يمكنهم الصمود أمام هجوم شنه الآلاف من جنود العدو. وهذا قد أثبت عدة مرات قبل عام 1186 م. فماذا ستفعل؟ هل ستبقى فى الحصون أم تتحرك للقاء جيش صلاح الدين فى العراء؟ يبدو أن هناك إجابةً واضحة، لكنها لم تكن واضحة بالنسبة لملك أوتريمر.

كان غي جديدا على العرش، وكان امتلاكه للعرش مطعونا فيه من قبل العديد من النبلاء الذين يشكلون الآن جيشه. وربما افترض بشكل صحيح أن فى عصر الفروسية، حيث كانت الشجاعة الشخصية أفضل من كل شيء، يمكن تفسير أية علامة على التردد بأنها جبن. بل إن الاتهام كلفه مملكته وحياته. وكان قادة الفصائل الذين يسيطرون عليها أوتريمر نبلاء نموذجيين فى يومهم: الشجاعة، وغالبا الورع، ولا يتمتعون باللياقة البدنية. وهكذا، بدلا من الجلوس بأمان وراء جدران العديد من القلاع والمدن التي كان يسيطر عليها المسيحيون، قرر الملك غي المضي بإعطاء أوامره بتحرك عشرين ألف فارس مدرع أو مدرع جزئيا وعدد أصغر من الرماة على ظهور الخيل. كان هناك القليل جدا من المشاة وراء العناصر الداعمة، الذين قدموا لهم الغذاء والأعلاف والإمدادات، وكانوا يقومون بحراسة المخيم.

وكان غي يسيطر على قوة أصغر بكثير من الفرسان، وربما عدد قليل حوالي ألف وبالتأكيد أقل من ألف وخمسمائة، لكنه كان معهم عشرون ألف جندي من المشاة الذين كان قد تم جمعهم من قبل تجريد الحاميات من كل قلعة ومدينة فى أوتريمر. وكان عدد الفرسان المسيحيين أقل بنسبة 1/13. وهذه الغرائب تحدث ولكنهم لم يكونوا أسوأ من الملوك المسيحيين الآخرين، مثل ريتشارد قلب الأسد، الذي فاز فى وقت لاحق فى معاركه معهم. وكان معظم فرسان أوتريمر مسلحين بالدروع، فى حين كان معظم الرماة على ظهور الخيول والتابعين لصلاح الدين غير مدرعين. وكان هذا الجيش أيضا هو الأكبر فى المملكة المسيحية لما يقرب من 50 عامًا،

ولهذا كان الجميع في قيادة الجيش المسيحي على ثقة كاملة. لذا في الثاني من يوليو 1186، سار الجيش المسيحي كله، وترك وراءه المدن والقلاع مع عدد قليل جدا من الرجال الذين لا يمكنهم الدفاع عن أنفسهم.

وكانت بين الجيشين صحراء ممتدة تضم عددا قليلا من الآبار والقليل من الأواني لنقل المياه. ومن الناحية النظرية، كان الجنود يسيرون عبر الأراضي التي أمر غي بالسير عليها، وبالتالي فإن رحلة الثلاثين ميلا لم تبدُ بمثل هذه الخطورة. وكانت جيوش أوتريمر واثقة لذا حملوا معهم "الصليب الحقيقي"، الذي عثرت عليه والدة قسطنطين. وكان الهدف من هذه المسيرة "طبريا"، وهي مدينة صغيرة احتلها صلاح الدين مؤخرا وخيم فيها. وخلال يوم واحد، كان من الواضح أن الأمور لم تكن تسير على ما يرام. الهجمات المستمرة من قبل مجموعات صغيرة من فرسان صلاح الدين المسلحين بأسلحة ثقيلة أبطأت حركة مشاة أوتريمر.

وبحلول نهاية اليوم الأول استنفدت طاقة الرجال والخيول، وكانت الآبار التي خططوا للوصول إليها ما زالت على بعد أميال. وأعطى القادة الأوامر بالقتال كما أمروا بتجهيز معسكر للنبلاء على أرض جافة. استمرت المسيرة في اليوم التالي، مع مواصلة مضايقة الجيش من قبل الفرسان المسلمين، لكنهم لم يتسببوا سوى في ضرر حقيقي ضئيل لقوة أوتريمر. ودروع الفرسان والمعاطف المبطنة للمشاة حمتهم من معظم الأسهم التي أطلقها الرماة على ظهور الخيل. ويحكي المؤرخون المسلمون عن جنود المشاة المسيحيين حيث إنهم تلقوا الكثير من السهام في صدورهم. ومع ذلك، فإن التهديد المستمر من قبل الرماة غير المدرعين على ظهور الخيل يعني أنه تعين على كل فرد في الجيش المسيحي الاحتماء بدرعه في الشمس الحارقة، وكان لهذا أثره في العطش والإرهاق. وتم شرب كل الماء القليل الذي كان يحمله الرجال معهم بسرعة. وبحلول نهاية اليوم الثاني، كان الجيش على بضعة كيلومترات من البحيرة وبالقرب من اثنين من التلال التي تسمى "قرون حطين". وقد وفرت هذه النتوءات التي يبلغ ارتفاعها مائة قدم موقفًا دفاعيًا قويًا. وكان من المعروف أن هناك بئرًا قرب قمتها.

ولسوء الحظ، فقط بعد أن بدءوا في تجهيز المعسكر على ذلك التل وجدوا أنه قد تم إغلاقه. وعند هذه النقطة، ضعفت خيول الفرسان من الجفاف والعطش، وبدأ العديد من المشاة في السقوط. وكان معظم الاثنين وعشرين ألف جندي الذين يتمركزون على التلال عطشى حتى

إنهم وجدوا صعوبة فى النوم، وقيل أن الشعور العام بالهزيمة قد أضعف من عزيمة المشاة. ولم يحتج كل جندي لعبقرية تكتيكية لمعرفة أن هناك شيئًا ما خاطئًا جدا. وبحلول الوقت الذي تم فيه تجهيز المعسكر، حاصر جيش صلاح الدين التلين تماما، واللذان كانا تحت سيطرة النبلاء، ومنهم باليان حاكم إيبلين الذي لم يستطع الصمود أكثر. وقاد زمرته وضباطه على ظهور الخيل إلى أسفل التل. وتضاعف الهجوم من قبل جيش المسلمين كله. وعندما تحول باليان للعودة، وجد بضع عشرات من فرسانه فى مواجهة المئات من الفرسان المسلمين. وتحول بحكمة وهرب. وبعد وقت قصير، قاد رينارد حاكم صيدا، مع عدم علمه بهروب باليان، رجاله على ظهور الخيل فى مهمة انتحارية مماثلة. كما كان قادرا على القتال فى طريقه ضد فرسان صلاح الدين المدرعين بدروع أقل ثقلاً ثم فر. ومن المفارقة أن هذين الرجلين، اللذين طلبا ميتة نبيلة، كانا من بين عدد قليل من الناجين. وبدون أوامر، شكل المشاة الناجون صفوفهم وتحركوا بشكل جماعي نحو البحيرة الموجودة على مرأى من التل. وبدون حماية خيولهم الثقيلة، وعدم وجود تشكيل حقيقي، تم تمزيق وذبح هؤلاء المشاة المسيحيين من قبل فرسان صلاح الدين المدرعين. وهذا ربما يكون قد ترك آلاف الفرسان المدرعين بالكامل على تلة جدباء يحيط بها آلاف من الفرسان والرماة التابعون للعدو. وتسلق الفرسان المسلمون المدرعون بدروع ثقيلة أعلى التل من جميع الجوانب.

وصمد الفرسان المسيحيون واقتادوهم إلى الوراء. فأرسلهم صلاح الدين مرة بعد مرة. وكل هجوم أسفر عن مقتل المزيد من المدافعين، حتى إنه بعد ظهر ذلك اليوم لم يتبق سوى بضع مئات من الفرسان. وتجمعوا لمواجهة أخيرة حول خيمة غي وبقايا الصليب الحقيقي لديهم. وحين شن الفرسان المسلمون الهجوم النهائي، وجدوا أن معظم المسيحيين المتبقين كانوا أضعف من أن يقاوموا أو قد انهاروا من العطش والإرهاق. وأولئك الذين بقوا على قيد الحياة أو أفيقوا عندما تم إعطاؤهم الماء أخذوا كأسرى. وكان الاستثناء الوحيد هو عدد قليل من هؤلاء الفرسان الذين كانوا معروفين بمهاجمة ونهب الحجاج المسلمين الضعفاء: تم إعدامهم على الفور من قبل صلاح الدين الأيوبي. ومع الحاميات التي فقدت فى قرون حطين؛ سقطت مدن وقلاع أوتريمر بسرعة.

وكان هناك المزيد من الحملات الصليبية وحتى الكثير من الانتصارات المسيحية، ولكن السيطرة على الأرض المقدسة، والصليب الحقيقي الذي غثرت عليه والدة قسطنطين، كلاهما قد فقد فى حطين. ومن السهل أن نرى ما الخطأ الذي تسبب فيه غي حاكم أورتريمر مع شجاعته الكبيرة وقلة حكمته. فقد فشل غي حتى فى استكشاف طريق مسيرته بشكل فعال لتحديد الآبار الصالحة للاستخدام. وبالتأكيد، لم يكن البئر المغلقة فى قرون حطين مفاجأة. فقد غي السيطرة على مشاته وفشل فى منع سعيهم الانتحاري نحو الماء. ولكن فى الغالب كان يمكنه الفوز لو بقي وراء جدران حصونه. وللاحتفاظ بتاجه وأراضيه، كان لا ينبغي أن يغادر غي حاكم أوتريمر فراشه على الإطلاق، أو على الأقل كان لا ينبغي أن يغادر قلاعه على الإطلاق.

(6)

معركة أجينور والملك هنري الخامس

ليس بالعدد والعتاد تُكسب معركة !

سيكون من الأسهل بكثير ذكر ما هو الصحيح الذي فعله الملك الفرنسي جون للتصدي لغزو هنري الخامس ملك إنجلترا عن ذكر ما فعله من أخطاء. وبعد سيطرة أحد النبلاء النورمانديين على الأراضي والألقاب الرئيسية فى فرنسا بعد أن احتلت بريطانيا فى عام 1066، فإن سقوط الإنجليز فى معركة أجينكور كان مستوحى من حملة أخرى مماثلة جرت فى جميع أنحاء فرنسا قبل سبعين عاما من قبل الأمير الأسود. وهذه المرة قرر هنري الخامس محاولة فرض دعواه بالسيادة على جزء كبير من فرنسا كما تسمى فى العصر الحديث. وللقيام بذلك هبط هنري الخامس مع ثلاثين ألف رجل فى مصب نهر السين، وسرعان ما وضع مدينة هارفلور الغنية والاستراتيجية تحت الحصار.

وكردٍّ على هذا التحدي السافر فى إحدى الموانئ الرئيسية، رد الملك جون وتشارلز دي البرت رئيس الشرطة فى فرنسا بخمول مثير للدهشة. وأخيرا، وبعد بضعة أسابيع، بدءوا فى استدعاء كل فرسان فرنسا وأجبروا الجميع على الانضمام إليهم فى باريس. وخلال تعبئة الجيش الفرنسي، وصل حصار هارفلور إلى نهاية لا مفر منها مع الاستيلاء على المدينة، ولكن ليس قبل أن يضرب المرض المعسكر الإنجليزي وتم تقليل جيش هنري إلى أقل من عشرين ألفا من الجنود المنضوين. وتركوا وراءهم بعض الجنود كحامية فى هارفلور، بينما عاد آخرون إلى إنجلترا.

وهذا ترك هنري الخامس مع ما يقدر بنحو سبعة عشر ألف جندي من جميع الأنواع. وباستثناء الفرسان والنبلاء، فمن الصعب تحديد حجم الجيش فى القرن الخامس عشر بشكل دقيق. وكان هناك جيش كبير لمقابلته، الملك هنري، قرر أن يقود جيشه فى غارة كبيرة عبر غرب فرنسا إلى كاليه. وهذه الخطوة عرضت جيشه للحصار أو السقوط بعيدا عن أية قواعد أو مدن صديقة، ولكن هذا هو ما كان يتمتع به العقل الإقطاعي. كان الغرض من هذه المسيرة هو تتبع مسار مشابه لجيش الأمير الأسود قبل سبعين عاما. وقد يكون هذا الخيار تلميحًا لماذا اتخذ هنري الخامس مثل هذه الفرصة. وقد تكون المسيرة مستوحاة من الرغبة فى المشاركة فى الشهرة والنجاح الذي اكتسبه الأمير الأسود من حملته الواسعة، والتي انتهت بفوز الإنجليز من جانب واحد فى معركة كريسي. ونتيجة لذلك، بعد أسابيع قليلة من السيطرة على هارفلور، سار هنري ورجاله جنوبا. وسرعان ما اكتشفوا أن كل الجسور القريبة عبر نهر "سوم"

كانت تخضع لحراسة مشددة، مما يعني أن الأمر سيستغرق وقتا طويلا للقتال عبرها. ولكن كان يتعين عليهم عبور النهر للوصول إلى كاليه. وخلال الأسابيع القليلة التالية، سار الجيش كله شرقا على طول نهر سوم ، بحثا عن نقطة عبور. وجعلتهم المسيرة كل يوم أقرب إلى باريس، حيث جمع جون أخيرا ستة آلاف من رماة السهام من الميليشيا الباريسية الذين تطوعوا للذهاب معهم إرسالهم بعيدا بازدراء. وقد تم رفض رماة السهام لأنهم كانوا يعملون "حراسا للمحال التجارية"، وكان وضعهم الاجتماعي متدنيًا، وقيل لهم أنهم عديمو الفائدة فى القتال.

وبطبيعة الحال، فى الوقت الذي تم فيه جمعُ هذا الجيش الضخم، قضى الإنجليز تسعة عشر يوما فى النهب عبر مركز فرنسا خلال البحث عن حصن أو جسر بدون دفاعات عبر نهر سوم . ولكن فى النهاية وفي وقت متأخر، تحركت القوة التي تم جمعها من فرنسا فى اتجاه الإنجليز. والآن، كان لدى هنري الخامس مشاكله الخاصة. لم يكن هناك ما يكفي من الطعام لإطعام جيشه، وكان هناك عدد قليل من الأهداف عديمة القيمة على الجانب الشمالي من نهر سوم. والأسوأ من ذلك، ظلت الروح الوطنية القومية قوية بين الفرنسيين، وهذا ألهم الفلاحين لمهاجمة جيش هنري، مما أبطأ سعيهم فى جمع طعامهم. وقد أصبح الوضع أكثر سوءًا عندما اختارت العديد من القلاع الفرنسية الأقل تحصنا الدفاع بشجاعة لمقاومة جيشه الكبير. وبدأت الخسائر الناجمة عن الإرهاق وحتى الموت جوعا تسيطر على الموقف. غادر الرجال أيضا، وكان أقل من خمسة عشر ألف جندي لا يزالون تحت الراية البريطانية.

ومع مسيرته باتجاه جنوب شرق على طول نهر سوم فقد اشتبك الجيشان بالقرب من مدينة أجينكور الصغيرة. ومن المثير للدهشة أن أيًّا من الطرفين لم يهتم بوضع كشافة أو حراس على الجناح الخارجي. واستفاد الفرنسيون من هذا الأمر وزادوا من المراقبة. وقد ركض آيل إلى واحدة من العناصر الرئيسية لجيش هنري. وقد حذرت صيحات الفرسان البريطانيين الجنود الفرنسيين بأن الإنجليز متواجدون فى مكان قريب. ولم يقل أحد للإنجليز أن الفرنسيين كانوا على مقربة، لذلك كان الفرنسيون عنصرا حيويا من المفاجأة. وللأسف، فإن رئيس الشرطة الفرنسية لم يفعل شيئا لبقية اليوم، وقد فقدت الميزة. وأخيرا أدرك البريطانيون أن الجيش الفرنسي متواجد فى مكان قريب، وبالتالي سدوا الطريق أمام خط مسيرتهم. وعندما أصبح

حجم القوة الفرنسية واضحًا، أدرك هنري الخامس أن هناك فرصة جيدة لخصمه بسحق جيشة الأصغر، والمنهك القوة.

أرسل رسالة إلى الملك جون أنه على استعداد للتخلي عن كل ما نهبه وتحقيق السلام بأية شروط. ولكن مع ثقته فى جيشه المتفوق،ورفض دي ألبرت النظر فى عرضه. وكان رئيس الشرطة الفرنسية قد عمل بجد وكان على وشك أن تكون له معركته الخاصة. وقد فعل هذا فى اليوم التالي. وانقشعت الغيوم من المطر فى الليلة الفائتة مبكرا، وكان يومًا مشمسًا حيث أرسل المارشال دي ألبرت أول دورياته إلى ساحة المعركة. وتم تجهيز جيش هنري الخامس المتعب والمتضور جوعا الذي أعد على عجل. ولم تكن هناك على ما يبدو كشافة، ولا تحركات للجناح، ولم يتم الاستفادة من الجيش الذي استراح نسبيا والذي فاقت أعداده أربعة أضعاف حجم جيش الخصم، لا شيء.

وقد كان ذاهبا مباشرة لسحقهم دون مزيد من اللغط، أو على ما يبدو أي تفكير إضافي. وقام الفرنسيون باتخاذ خطوة واحدة لإظهار أنهم قد تعلموا شيئا من كريسي: حيث إن الخيول قبل سبعة عقود كانت أقل تدرعا من الرجال على ظهورها، وأصابت السهام الخيول وسقط الفرسان من على ظهورها. ولتجنب هذا الآن، فإن معظم الفرنسيين هجموا على الأقدام، وتركوا خيولهم مربوطة بعيدا عن ساحة المعركة. ويبدو أن القيام بهذا قد أتى ثماره أكثر من أي تخطيط أو إعداد آخر. وكان دي ألبرت ببساطة على بعد أميال قليلة من البريطانيين. وبعد أن ضحى بعنصر المفاجأة فى اليوم السابق بالفعل، لم يكلف نفسه عناء حتى أرسل عدة آلاف من رماة السهام للتجهيز لهجوم الفرسان.

هنري، والذي كان على وشك أن يكون السبب فى سقوط جيشه، اتخذ قرارات أفضل، ورئيس الشرطة الفرنسية دفع ثمنا لكل خطأ من أخطائه. ومن خلال تأمين كلا الجناحين على الغابات والنهر، نجح هنري فى ترك جبهة ضيقة فقط ليهاجم منها الفرنسيون. وأصبح هذا الوضع أسوأ عندما لم يبذل رئيس الشرطة الفرنسية أي جهد لنقل أي من القوات المحمولة حول الجانبين أو إلى الجزء الخلفي من جيش الإنجليز، وحتى بعد رؤية ساحة المعركة الضيقة، فقد أمرهم بالترجل بدلا من ذلك.

وبقي دي ألبرت على ثقة بأن الشهامة المدرعة للجيش الفرنسي سوف تتحرك بسهولة (الركض لأية مسافة ليست فكرة جيدة فى حلة كاملة من المدرعات) والقضاء على البريطانيين. كما بعث هنري بضع مئات من الرماة، وهذا كل ما تمكن من توفيره، إلى الغابة، وأخذوا أماكنهم لإطلاق السهام على الجناح عند شن أي هجوم. ولم يبد أن رئيس الشرطة دي ألبرت قد كلف نفسه عناء إرسال حتى الكشافة إلى تلك الغابة نفسها. وكانت هناك حاجة لبضع عشرات من الفرسان فقط لمسح الغابة، ولكنه لم يرسل أي أحد. ونتيجة لذلك، تسبب كل هجوم فرنسي فى إضعاف معنويات الكتائب المقاتلة فى كل موقف مع الإنجليز.

وبالطبع، تمكن أكثر من عشرة آلاف من الرماة الفرنسيين مرة أخرى بإطلاق السهام على الغابة أو على موقع الإنجليز، ولكن لم يقاتل أي من الفرسان بدونهم، وقد تقرر وضع الرماة وراء كل دورية، لإخفاء نيرانهم بشكل فعال وجعلها عديمة الفائدة. لذلك، بعد أن فقد كل فرصة لاستغلال المزايا المتاحة له، خاض رئيس الشرطة الفرنسية ثلاث معارك واحدة تلو الأخرى، وأرسلهم مباشرة للمعسكر البريطاني المجهز. وهذا يعني أن جزءًا صغيرًا فقط من الجيش الفرنسي سيواجه الانجليز فى وقت واحد، ويلغي ميزة الفرنسيين بكونهم جيشًا أكبر منهم بكثير. وتقدمت أول دورية للجيش الفرنسي إلى الأمامَ نحو الإنجليز. والقول بأنهم قد اشتبكوا سيكون غير مناسب. الرجال والفرسان المدرعون بدروع ثقيلة لا يمكنهم الركض على أقدامهم. وزن دروعهم وأسلحتهم أبطأهم للمشي بسرعة فى أحسن الأحوال. وقد تباطأت حركتهم تجاه البريطانيين إلى أبعد من ذلك بسبب المطر فى الليلة السابقة، حيث تحولت الأرض التي يقاتلون عليها بسرعة إلى كتلة من الطين وأصبحت زلقة. وهذه الحركة الأبطأ تعني أن هناك المزيد من الوقت أمام رماة السهام الإنجليز لذبحهم. وسرعان ما امتلأ الهواء بأصوات السهام المنطلقة.

وفي البداية، سقطت السهام فى زاوية حادة حيث إن الرماة كانوا يطلقونها مباشرة على ضحاياهم. وعندما أصبح الجنود المتبقون على مسافة أقرب، فقد تمكنوا من إطلاق السهام على الجنود تلك التي اخترقت صدورهم بسهولة. استمر إطلاق السهام من قبل الرماة فى الغابة على الجانب، وهذا يعني أنه لم يكن هناك ببساطة أي ملجأ من السهام القاتلة. وسقط الرجال بالآلاف، حتى إن المشي على جثثهم أصبح أكثر صعوبة. ووصل عدد قليل من الفرسان أو الرجال

الفرنسيين المسلحين بالفعل للخطوط البريطانية. وقبل وصول الدورية الفرنسية الثانية، لم يتمكن الفرنسيون فى الدورية الأولى من فعل المزيد وبدءوا فى الانسحاب. ثم ترك الجنود الإنجليز غير المدرعين والمسلحون بأسلحة خفيفة حماية الجوانب وغادروا وراء الفرنسيين المنسحبين بعد أن قتلوا الرجال المجهدين المتبقين.

ثم واصلت دورية فرنسية ثانية ثم ثالثة مهاجمة مقدمة جيش الإنجليز، حتى أصبح واضحا أنه لم يكن هناك أية فرصة لاستعادة المعركة. وعندما أصبح من الواضح أن الهجوم قد فشل، فر معظم من بقي للاحتماء بجدران باريس. وعشرات الآلاف من الفرنسيين لقوا حتفهم وقضى الناجون السنوات الخمس التالية فى برج لندن. والمعاهدة التي وقعها فى النهاية لتحريره جعلته يتنازل عن الكثير من شمال فرنسا. وتكلفة فدية الملك وجميع النبلاء المأسورين أصابت الاقتصاد الفرنسي بالركود لمدة عشر سنوات. وقد ارتكب هنري بالتأكيد خطأ استراتيجيا والذي عرض جيشه للقتال فى معركة أجينكور، ولكن تكتيكاته، جنبا إلى جنب مع تردد وعدم كفاءة دي ألبرت، عملت معا لجعل الملك الإنجليزي يبدو فى صورة جيدة. لذا فما هو الخطأ الذي ارتكبه الملك جون وتشارلز دي البرت، رئيس الشرطة الفرنسية؟

وقد يكون من الأسهل ذكر ما فعله من صحيح. حسنا، كان شجاعا بمجرد بدء المعركة. وقد استغرق الجيش الفرنسي وقتا طويلا جدًّا للتجمع، وتنازل بشكل فعال عن ميناء هارفلور افتراضيا. ورفض رئيس الشرطة حتى مجرد النظر فيما إذا كان استسلام هنري الخامس فعالا. وافتقر كلا الجيشين حتى لكشافة أو استخبارات بدائية على العدو أو حركتهم. وفي الواقع، يبدو أنه كان هناك القليل من الجهد لتحديد مكان العدو من أي من الجانبين. وفشل الفرنسيون فى الهجوم فى اليوم الأول بينما كان يمكنهم مفاجأة وسحق الطليعة فى الجيش الإنجليزي. كان البريطانيون يتضورون جوعا وكانت هناك حاجة لقبول المعركة بأي شروط أخرى غير تلك التي يفضلها الفرنسيون.

لكن الفرنسيين قبلوا المعركة ثم قاتلوا فيها وفقدوا ميزة أعدادهم الكبيرة. ثم، لم يحسن رئيس الشرطة استغلال الذراع الوحيدة التي كان يخشاها أكثر فى العدو، الرماة التابعين له. تذكر أنه رفض السماح لستة آلاف من الرماة الباريسيين للانضمام للجيش، ولكن كان لا يزال لديه عشرة آلاف آخرون من الرماة هناك. ومعظمهم لم يطلق سهما واحدا. وفشل

الفرنسيون تماما فى مسح أو حتى استكشاف الأجنحة على طول الخط الذي كانوا يعرفون أنهم ذاهبون لمهاجمته، ودفعوا ثمنا باهظا لعدم فعل ذلك. وأخيرا، لم يأخذ رئيس الشرطة الفرنسية الأرض الرطبة أو وزن الدروع بعين الاعتبار عندما أمر بترجل معظم رجاله وفرسانه المسلحين بأسلحة ثقيلة. ولإعطاء هنري الخامس مثل هذا الانتصار غير المتوازن بشكل سيئ السمعة باسم معركة أجينكور، كان تشارلز دي ألبرت يرتكب كل خطأ يمكن أن يفعله قائد جيش ... وقد فعل.

(7)

معركة ترينتون والقائد جورج واشنطون

الأخطاء التي أسقطت الجنرال الكبير!!

هي معركة صغيرة، جرت فى عام 1776 ميلادية ، وحقًا لا يوجد سوى خطأ واحد أو خطأين ارتكبهما ضابط محنّك ومخضرم. لذلك لماذا نذكرها هنا؟ نحن نذكرها هنا لأن تلك الأخطاء قد ارتكبت فى قضية المستعمرات الأميركية. وتحولت الأمور من سيئ إلى أسوأ. منذ أغسطس خسر جيش المتمردين المعارك فى فورت لي، وفورت واشنطن، ووايت بلينز، وخليج كيب، ولونغ آيلاند. وعلاوة على ذلك، فقد كانت معظمها فى نيويورك، واضطر الكونغرس القاري للفرار من فيلادلفيا. ومن حيث اليوم كانت الثورة بأكملها فى خطر التهميش، مع سيطرة المتمردين على عدد قليل من المناطق قليلة السكان فقط، وتراجع التأييد الشعبي. وما زاد الطين بلة، تم تقليل عدد المجندين للنصف وتم تسريح معظمهم بسبب الاحتفال برأس السنة الميلادية.

وكان يتعين على الجنرال جورج واشنطن العمل والتصرف بسرعة، أو أن الحرب قد تنتهي وسوف، جنبا إلى جنب مع جميع الذين يطلق عليهم اليوم فى الولايات المتحدة "الآباء المؤسسين"، يكون بدون أرض وسيصبح من الهاربين المطاردين. وكانت الأعداد مشكلة أيضا. كان لدى واشنطن بالكاد أكثر من ألفي رجل فى معسكره فى وادي فورج لمواجهة عشرين ألف جندي بريطاني فى ولاية نيو جيرسي ونيويورك. ومع جمع كل حامية ثورية أخرى منتشرة على طول ولاية ديلاوير، كأن لا يزال هناك القليل فى نيو جيرسي وحدها، مع مزيد من القوات البريطانية التي تحتل نيويورك وراءهم.

والأسوأ من ذلك، كان الكثير من هذه القوات ميليشيات، وتم تدريب معظمهم بشكل أقل جودة لمعركة كر وفر بخلاف الوحدات البريطانية التي يواجهونها. ورأى معظم البريطانيين، وقوات المرتزقة الذين يدفعون أجورهم، وأبناء إقليم هيسن أن الحرب قد انتهت. حتى إن مغظم أولئك الذين يعيشون فى مستعمرات كانوا على يقين إلى حد ما أن كل ما تبقى لفصل الربيع هو أن البريطانيين سيسحقون جيوبًا قليلة من المتمردين المتشددة. وانتشر هذا الشعور حتى بين المتعاطفين مع قضية التمرد.

كان شتاء عام 1775-1776 واحدًا من أسوأ الأزمات عبر القرون. وفي الواقع، كان نصف الكرة الشمالي فى منتصف ما يشار إليه اليوم باسم العصر الجليدي الصغير. وكان الموسمان قصيرين بشكل غير معتاد فى كل من أمريكا الشمالية وأوروبا ، مع الأنهار المتجمدة.

وقام الرجال فى واشنطن بتمويل الجيش بصورة سيئة والذي كان يعاني من البرد الوحشي، وكان البعض يخلعون أحذيتهم ويضطرون إلى السير مع أقدام مغطاة بخرقة لهذه المعركة. (بعد المعركة كان لديهم أحذية من تصنيع هيسن للاختيار منها، فضلا عن العديد من اللوازم الضرورية الأخرى). وكانت الجيوش الأوروبية الشمالية نادرا ما تقاتل فى فصل الشتاء. وقد علمهم نابليون عدم القتال فى فصل الشتاء، لم يكن لدى أي أحد على الجانب البريطاني أي سبب لتوقع أي إجراء من جانب قوات واشنطن الأقل عددا وغير المجهزة جيدا. ومع جيشه الذي كان يتهاوى، وقضيته المتعثرة، وانخفاض الروح المعنوية، اضطر واشنطن لاتخاذ إجراء. وكانت ميزته الوحيدة هو أنه يعرف أن البريطانيين كانوا على بينة بوضعه مما يعني إسقاط ما تبقى من جيشه.

لذا فإنه قد خطط لهجوم مفاجئ فى اليوم الذي رأى فيه أن أبناء إقليم هيسن فى حالة تأهب أقل، فى ليلة عيد الميلاد. وكان الهجوم فى العطلة بالكاد تكتيكا جديدا، على الرغم من أنه لا يزال يعمل، حتى وقت قريب فى حرب يوم الغفران بين العرب وإسرائيل. وفي ترينتون ، استهدف واشنطن مع ثلاثة أفواج (ما يقرب من عشرين ألف رجل)، كل المرتزقة من أبناء إقليم هيسن. واستغل البريطانيون هؤلاء الجنود من هانوفر كقوات صد، وكانوا يصيبونهم بالخوف بسبب حرابهم الشرسة والانضباط الصارم. وكان أبناء إقليم هيسن يتحدثون الألمانية فى الغالب، وليس الإنجليزية، مما جعلهم قوات مثالية للاحتلال، لأنهم من غير المرجح أن يتعاطفوا مع المتمردين، لأنهم بالكاد يمكنهم التواصل معهم.

كما يميل أبناء إقليم هيسن للتصرف كما لو كانوا فى حرب على النمط الأوروبي وليست ثورة. وهذا يعني أنهم صادروا القوات البريطانية، باستثناء ربما فيلق تارليتون، وكان أبناء إقليم هيسن مكروهين جدا. وكان هذا أيضا أقرب موقف للعدو، وقرر واشنطن أن قضاء الشتاء فى ترينتون كان هدفا مثاليًا. وإذا فازوا فإنها ستكون المعركة التي يخسرها على التوالي بطريقة مثيرة. وبعد جمع كل مقاتل فى وسعه، أمرهم واشنطن بعبور ديلاوير ليلة عيد الميلاد. وعلى الفور بدأت الأمور تسوء.

وكانت ولاية ديلاوير كتلة كبيرة من الجليد الطافي، وهذا أبطأ جهود صيادي مربلهد، ماساتشوستس، لإحضار الجيش فى القوارب الصغيرة. وإذا نظرت عن كثب فى تلك الصورة

الشهيرة لجورج واشنطن واقفا فى ولاية ديلاوير، فيمكنك أن ترى أن معظم الرجال فى القارب كانوا يستخدمون المجاديف لدفع الجليد بعيدا، وليس لصفه. وهذا يعني، مع المشاكل فى الحصول على المدفعية فى ولاية ديلاوير، أنه بدلا من شن هجوم فى ساعة متأخرة من الليل، فإن الجيش سيصل فى ترينتون بعد شروق الشمس. وسوف سيساعد مفرزة الطوارئ من رؤيتهم على مسافة، لذلك كان ستضيع المفاجأة.

وإذا وجد ما بقي من الجيش القاري نفسه فى معركة متابعة للموقف مع أبناء إقليم هيسن، فإنهم من المحتمل أن يخسروها. وأيضا مع عدم وجود أي بديل لديهم، فقد أمر واشنطن جيشه بالتحرك. وعدم خوض أية معركة كان تماما كارثيا لقضية المتمردين مثل خسرانها. وفي الوقت نفسه، فى معسكر هيسن كان الوقت وقت احتفال. وكانوا يمكثون فى بيوت ترينتون، ويتوقعون أن تدفع لهم مكافأة ويتم إرسالهم إلى بلادهم بحلول الصيف المقبل. وكان خصومهم يموتون من الجوع والتجمد وكان عددهم أقل جدا. لذلك حان الوقت للخروج من المعسكر. ومع لعب الورق والشرب، والقيام بتلك الأشياء التي يفعلها الجنود بعيدا عن الوطن، انهارت قوة جنود هيسن بالكامل. وكان الضباط يتمتعون بالثقة المفرطة بالنفس وكذلك الجنود. لن يغادر جيش عاقل معسكره الدافئ فى مثل هذا الطقس.

وإذا فعلوا ذلك، فلا يمكنهم عبور نهر ديلاوير المملوء بالجليد. وكانت هذه الحرب قد انتهت وحان الوقت للاحتفال بالعيد والعمل بصورة جيدة. وبعد أن احتفل أبناء إقليم هيسن، حدثت العديد من الأشياء الخاطئة على الجانب الاستعماري. كان هناك فوج ثانٍ من جنود هيسن الذين كانوا يعسكرون فى بلدة قريبة من ترينتون، وهذا يعني أنهم فى موقف دعم متبادل. وإذا استمرت المعركة أكثر من بضع ساعات، فإن هذا من شأنه أن يجعل فوج هيسن الثاني يصل وسوف يصبح جيش واشنطن فجأة أقل عددا بشدة. وهاجمت قوة عسكرية ثانية هذا الفوج، لكنها كانت غير قادرة على تجاوز الجليد الطافي ولم يعبروا النهر أبدا.

ثم رأى أحد المزارعين المحافظين المتمردين يتقدمون فى تلك الليلة، وأرسل مذكرة تحذيرية للكولونيل رال، قائد جيش هيسن. ولكنه لم يقرأها بسبب اهتمام الضابط بلعبة الورق، وربما بسبب السكر. ومع اقتراب الكونتيننتالز من المدينة، فإنهم قد اكتشفوا أن هناك متسعًا من الوقت لجيش هيسن حتى يتشكل ويخوض المعركة. لكنهم لم يفعلوا. كان الجميع فى حالة سكر

بشكل كبير فى الليلة السابقة، والعديد من الجنود لم يشكلوا صفوفهم أبدا. والأسوأ من ذلك، عندما دق اللفتنانت فايدرهولت ناقوس الخطر وقامت مفرزته المكونة من تسعة عشر رجلا بإطلاق النار على الثوار المتقدمين، لم يكن أحد آخر مستيقظا أو واعيا بما فيه الكفاية ليلاحظ ذلك. ومع تجاهله لهذا العدد القليل من الجنود فى المفرزة، قام واشنطن بعد الفجر مباشرة بمهاجمة قوات ترينتون من كلا الجانبين. ومن المستغرب أن أصوات البنادق وحتى المدافع فشلت فى إيقاظ الكولونيل رال.

وكانت مقاومة جيش هيسن فى البداية غير منظّمة ومجزأة. وحاولت مجموعات من أبناء إقليم هيسن الاحتشاد فى عدة نقاط، ولكنهم إما فوجئوا بالأعداد الكبيرة التي تفوق أعدادهم أو تفككوا عن طريق الاستخدام الماهر للمدافع. وسرعان ما هبت نصف البلدة، وارتدوا ملابسهم وارتبكوا. ومع أنه كان لا يزال على ثقة، وعلى الأرجح أقل من مستيقظ تماما، كان الضابط بَطيئا فى الرد ثم ارتدى ملابسه بعناية. وبحلول الوقت الذي ظهر فيه وتولى قيادة فوجه من رماة القنابل، كانت قوات المتمردين تستعد لشن هجوم على الحاجز الذي عزز باثنين من المدفع بالقرب من مقر إقامته. ولم يكن المرتزقة فى حالة أفضل من قائدهم.

وقام أبناء إقليم هيسن بإطلاق النار مبكرا وفي الهواء. ولم يسقط رجل واحد على الجانب القاري. ومع الصيحات توقف المستعمرون عن إطلاق النار من بنادقهم وفروا. وقد تم السيطرة علي هذا الحاجز، ومعه آخر مدفع لا يزال فى أيدي أبناء إقليم هيسن. وشن رال هجمة مرتدة، لكن واشنطن قاد بنفسه قوة جديدة لردع رال وأخذوا منه المدفع الذي معه. وحتى مع القبض على معظم القوات أو الاختباء، كان جنود هيسن أقوياء ومحترفين. ومع عدم رغبته فى الاعتراف بخسران المعركة، طلب فرقته للعب، وهذا ساعده على حشد الرجال من جميع الوحدات. ولكن مع احتلال معظم المدينة، فقد تمكن الجنود المتمردون من اتخاذ غطاء لإطلاق النار من المنازل على كل جانب من وحدات هيسن التي تحاول تشكيل صفوفها فى الشوارع. وقتل معظم الضباط الألمان، ولم تبدأ أية هجمة مرتدة أبدا. وحتى بعد كل هذا، واصل أبناء إقليم هيسن التقدم إلى مكان قريب، حيث لا يمكن للكونتيننتالز استخدام المباني كغطاء.

وبعد أن دعا كل القوات الباقية للتجمع معه، وجد رال أن لديه نحو سبع مئة رجل على استعداد للقتال. وحتى مع فقدان ثلثي الفوج، خاض المرتزقة الحرب. لكن رال لديه الآن مشكلة. كان لدى المستعمرين مدافع، وكان قد فقد مدافعه. وما تبقى من الفوج فى الميدان المفتوح سيتم تقطيعهم إلى أشلاء بواسطة هذه المدافع ولن يستطيعوا الرد. لذا أمر بشن هجوم آخر على المدينة. وقتل فى الهجوم عشرات من أبناء إقليم هيسن. وفشل فوج واحد فى إعادة تشكيل صفوفه وبقي فى العراء. وهذا جعل أولئك الذين نجوا من الهجوم غير الحكيم يعودون إلى ترينتون حيث لا يوجد مكان للتراجع.

وقد جُرح رال نفسه وتُوفي بعد أن تم محاصرة بقايا قيادته من قبل الكونتيننتالز واستسلموا. ولم يولِّ رال أي اهتمام للتحذير من قبل المزارع، حتى مجرد الحفاظ على مفارزه وجعلها على أهبة الاستعداد. ومن المرجح أن واشنطن قد طرد للخارج أو هزم وانتهت الثورة الأميركية بالفشل. لذلك تم إنقاذ ثورة عام 1776 من خلال ارتكاب ثلاثة أخطاء ومنها: الإجراءات الأمنية.

(8)

معركة " باليناموك "وحكاية "وليام النذل و"وليام الفاتح" !

كان هناك مرة واحدة فقط منذ تغيير لقب "وليام النذل" ، إلى "وليام الفاتح" أن شخصًا هبط فعلا بجيشه على الجزر البريطانية: كان هذا فى أيرلندا، وكان الغزو أكثر من مهزلة على مستوى احتلال أيرلندا. لذلك، نحن لدينا هنا غزوٌ والذي بدأ بالغضب، ولكنه انتهى بالتذمر. وكان عام 1798 فترة شهدت مشادات كبيرة بين فرنسا و إنجلترا. الثورة سيطرت على فرنسا وهددت كل الممالك، فى حين أن بريطانيا قادت الطريق فى معارضتها. واستمرت أيرلندا المحتلة والمضطهدة لمئات السنين فى إظهار الاستياء من هيمنة الإنجليز والتمييز. ورأى المتمردون من أيرلندا فرنسا روحا مشابهة وحليفا يمكنه أن يوفر العضلات اللازمة لطرد الإنجليز المكروهين من جزيرتهم.

وكان العديد من المتمردين الأيرلنديين قد هربوا إلى فرنسا، بما فى ذلك وولف تون، قائد المقاومة، وكانوا يشجعون بنشاط سلطة الحكم الانتقالية خلال الثورة المستمرة مع وعود، والتي ثبتت صحتها، بانضمام الأيرلنديين الى أية محاولة لطرد بريطانيا. وكانت فكرة شن الحرب على عدوهم، ولي العهد، قد لاقت تأييدا قويا، مع معرفة أن بريطانيا لن تشارك بعمق فى حرب ضد الأيرلنديين بسبب قلة الموارد جراء الإنفاق على مواصلة حربها ضد الجمهورية الناشئة فى فرنسا.

وكان الخطأ الأول الذي ارتُكب هو اختيار من يقود الحملة لغزو أيرلندا ودعم الأيرلنديين لاتباع الأوامر جيدا والقتال بشجاعة. ولم يعتد الجنرال همبرت على القيادة المستقلة. وإذا كان قد تم إرسال خيار آخر، فمن المرجح أن التاريخ كان سيكون مختلفا جدا الآن، ولكن تشجع هذا الجنرال الفرنسي الأقل تأهيلا فى قيادة حرب حتى أبعد من باريس، غزو مصر. ولو اختاروا نابليون بونابرت، وليس أمابل همبرت، لقيادة الجيوش الفرنسية فى أيرلندا، فمن يعرف ما كان سيحدث. ولكن تم اختيار همبرت المهذب لقيادة قوة واحدة، والجنرال جان هاردي لقيادة القوة الأكبر.

وكانت الخطة بسيطة: كان يتعين نقل الجيشين من قِبل البحرية الفرنسية إلى دونيجال، وهي مرتع للأعمال المعادية لبريطانيا. وهناك، كان من المخطط أن يستخدم أقل من خمسة آلاف جندي الآلاف من البنادق الإضافية لتسليح الأيرلنديين والذين كان من المتوقع أن يتدفقوا إلى وولف تون تحت قيادة رايته الخضراء مع شعار "أيرلندا للأبد" فوقها. ولعل الشيء الوحيد

الذي فعلوه هو الحكم بشكل صحيح على حماسة الأيرلنديين. ومن البداية، أصبح كل شيء آخر خاطئًا.

ومثل الكثير من الخطط فإن هذه الخطة لم تأخذ فى الاعتبار التغيرات التي قد تكون ضرورية كنتيجة غير متوقعة. وبالنظر إلى الطقس الإنجليزي، فإن العقبات الأخرى هناك منعت القوات من الانضمام الفوري. وكانت الرياح السائدة هي غربية، ولكن الرياح الغربية تمنع السفن من مغادرة الموانئ الفرنسية. ولكن لم يكن هناك أية خطة لذلك، وعندما استعدوا، حاصرت الرياح المعاكسة قوة هاردي الأكبر مع وولف تون فى الميناء الفرنسي، وكان همبرت أساسا بمفرده. وبدون أن يعرف أن هاردي والقوة الأكبر لن يظهروا، اختار همبرت الهبوط فى كيلالا بدلا من دونيجال، حيث إن المتمردين كانوا فى انتظاره. لذا فإن همبرت والألف جندي معه هبطوا، وأخطروا النائب المحلي والآخرين بأدب. ثم انتظر لعدة أيام لمعرفة أخبار هاردي. ولم يكن يهم أنه كان فى المكان الخطأ، لأنه لم يكن هناك أحد للانضمام إليه.

وترك هؤلاء المتمردين الذين تم تنظيمهم فى دونيجال ينتظرون. والآن، عند غزو شاطئ للأعداء حيث يكون لديك عدد أقل من المدافعين، فمن المهم أن تأخذ زمام المبادرة. التف موكب أمابل همبرت حول كيلالا لعدة أيام، حيث انضم ما يقرب من ألف أيرلندي لجيشه. وكان يستغرق بضعة أيام لتدريب هؤلاء المجندين، عندما خبر أنه سيكون بمفرده. وفي هذه المرحلة، علم القادة الأيرلنديون والفرنسيون الذين قادوا كل أيرلندا من دبلن بهبوط الفرنسيين. نعم، نفس كورنواليس الذي قاد الجيش البريطاني الفاشل والذي حاول احتلال ولايات الجنوب فى الثورة الأميركية قبل عقدين من الزمن. أرسل كورنواليس ما كانت تبدو أنها قوة كبيرة بما فيه الكفاية وتتكون مما يقرب من أربعة آلاف جندي نظامي أخذوا من عدد من الحاميات.

وكانت هناك مشكلة مع مهمة الحامية وهي أن ثكناتها أصبحت رتيبة مثل الذهاب لعملك كل يوم. وهي عادة ما كانت آمنة ومأمونة، ونتيجة لذلك كانت تعيق عمل القوات وتؤثر على الروح المعنوية لهم. ويتجلى هذا من حقيقة أنه فى حين أن أعدادهم كانت أقل بأكثر بنسبة 1/2، فقد تمكن همبرت والمتطوعون الأيرلنديون من هزيمة البريطانيين فى معركة قصيرة خارج كاستليبار. وتحطم البريطانيون على الفور تقريبا، وسرعان ما انتشر خبر المعركة فى جميع أنحاء العالم وعرفت باسم سباقات كاسلبار ، فى إشارة إلى السرعة التي اضطربت

فيها الوحدات البريطانية وفرت إلى أثلون، تاركين وراءهم أمتعتهم وتسع بنادق وقطعوا ثلاثا وستين ميلا فى أقل من يوم واحد.

وهذا هو معدل مدهش لأي أحد يسافر على الأقدام، والركض طوال الليل للوصول إلى هناك فى وقت قصير للغاية. وعندما لم يعد ينتظر الدعم منهم أو التنسيق معهم، كان لدى همبرت كل الأسباب للاسترخاء والانتظار. وكانت القوات تحت قيادة هاردي وحدها أربعة أضعاف عدد الجنود النظاميين فى جيشه. كان الأيرلنديون يتحركون نحو كيلالا من كل الاتجاهات، وكانوا على استعداد للانضمام إلى جيشه. وكانت السفن التي أنزلت جنوده قد وعدت بالعودة مع المزيد من الجنود النظاميين. وأخيرا، كان أمابل همبرت يعرف أن هناك ما يقرب من خمسين ألف جندي بريطاني يحتلون أيرلندا. وبعد ما يكفي من التردد لإعطاء كورنواليس الوقت لإعادة تنظيم قواته لمواجهة التهديد، تحرك الجنرال همبرت مع ثمانمائة جندي وربما خمسمائة من الأيرلنديين وسار إلى دبلن وكان هناك تجمع كبير للقوات البريطانية بدون توقف تدريب أو تجنيد المزيد من الرجال.

لم يكن لدى كورنواليس أية مشكلة لمعرفة مكان همبرت، حيث إن الحاميات فى المدن التي كان يمر بها كانت ترسل تقارير مستمرة عن تقدمه. وفي الوقت الذي وصل فيه الفرنسيون والمتطوعون الأيرلنديون إلى بلدة باليناموك، كان هناك ما يقرب من أربعين ألف جندي بريطاني يحاصرونهم من جميع الجهات. أمر همبرت قواته بالهجوم. وبعد عدة دقائق استسلم همبرت. وقد عومل همبرت وجنوده الفرنسيون جيدًا، وظل الجنرال فى ضيافة فخمة لبضعة أسابيع قبل أن يعود إلى فرنسا. وسرعان ما حصل رجاله أيضا على الإفراج المشروط والعودة إلى فرنسا على متن سفن البحرية الملكية البريطانية.

أما بالنسبة للأيرلنديين، كان يتعين على همبرت معرفة ما ينتظرهم إذا هاجم. وقد تم ذبحهم من قِبَلِ الفرسان قبل انتهاء يوم المعركة. وبحلول الوقت الذي وصل فيه هاردي وتون، كان الأيرلنديون قد فقدوا معنوياتهم. وكلاهما لم يهبط أبدا، وكان تون يعاني من مهانة إلقاء القبض عليه فى البحر وشُنق من قبل البريطانيين كذلك. ولم يكن للغارة الثالثة الصغيرة أي تأثير، وهكذا أنهت الغزو الأخير للأراضي البريطانية. ويتعين على المرء أن يتساءل فقط ما الذي كان ينويه أمابل همبرت. لا يمكن توجيه اللوم له على الخُطة الفاشلة، حيث إنه كان

واحدا فقط من عدد من القادة. لكن يمكن توجيه اللوم له على التردد الذي يليه انعدام الحس (بالنسبة للأيرلنديين على الأقل) عندما كان يتحرك باتجاه قوة من الجيش أكبر منه بكثير. وهناك احتمال واضح أنه حتى لم يكن قادرا على شرح نواياه. وكانت أفعاله غير لازمة لتعزيز تمرد كبير، ولا تبدو سليمة عسكريًّا حيث إنهِ قمع تماما بمجرد أن غادر. وقد أدت الخطة غير المرنة، مع سوء الأحوال الجوية إلى جانب القيادة غير الحاسمة، والتي تطورت إلى قيادة متهورة، إلى إجراءات فقدت التركيز على الهدف الأصلي (لتأجيج التمرد الأيرلندي)، مما أدى إلى تحرك الحملة على نحو أعمى نحو هدف غير قابل للتحقيق - مهمة مقدر لها الفشل.

(9)

معركة طرابلس وتوماس جيفرسون هزيمة مروِّعة للبحرية الأمريكية!

كان ما يُسمى بالقراصنة البربر يقومون بدوريات فى البحار المحيطة بتونس، وطرابلس، والجزائر والمغرب من العصور الوسطى إلى أوائل القرن التاسع عشر. (اسمهم مشتق من شعب البربر من شمال أفريقيا). وقد حققوا من القرصنة هامشًا ربحيًّا كبيرًا للقوى المختلفة، ووضع أهداف لأسباب سياسية، فضلا عن تحقيق مكاسب تجارية، فى حين التفاوض بشأن المعاهدات مع جميع الأطراف فى الصراعات الغربية، وأخذ الجزية منهم فى مقابل عدم تعريض المصالح المختلفة للقرصنة. وعندما تباطأت الولايات المتحدة فى تقديم الجزية بسبب التغيير من إدارة آدامز لإدارة جيفرسون، أعلن الباشا فى طرابلس الحرب عليها.

كان الكابتن وليام بينبريدج يرسو فى ميناء الجزائر مع الجزية فى يده، بعد أن أكمل للتو رحلة لمدة أربعين يوما من فيلادلفيا، بعد استدعائه من قبل الداي (السلطان أو الباشا) إلى قصره. وقد أوعز له أنه لا بد من تسليم الجزية إلى السلطان نفسه، وأن بينبريدج وطاقمه يجب أن يذهبوا إلى قلعة السلطان تحت العلم الجزائري، وإلا سيتم تدمير سفينته وطاقمه ويبيعونه فى سوق النخاسة. وكانت سفينة بينبريدج، جورج واشنطن، على بعد أربعة وعشرين مترا حيث أرسلها بينبريدج مباشرة لتوجيه المدافع على القلعة، وكانوا مستعدين لإطلاق النار بينما كان الاجتماع منعقدا. ومع عدم وجود فرصة لإعادة سفينته أو حتى تغيير وضع طاقمه، لم يكن لدى بينبريدج أي خيار سوى قبول المهمة وتحمل الحرج حيث تم استبدال ألوان سفينته بشكل مؤقت بالعلم الجزائري.

ووفقا لكتاب "حروب السلام الوحشية" لماكس بوت، فإنه لم يكن مضطرا فقط لأخذ الجزية (ما يقرب من 800.000 دولار فى شكل عملات ومجوهرات) وإرسال سفير الداي إلى السلطان فى القسطنطينية، ولكنه كان مضطرا أيضا لتجهيز جناح السفير بـ 100 من العبيد السود و 60 من الحريم وحديقة حيوان حقيقية تضم عشرين من الأسود، وثلاثة نمور، وخمسة ظباء، ونعامتين وعشرين ببغاء. وكان الانتقام الوحيد هو عدم الترحيب به مع تحولات متكررة ومفاجئة فى المسار على طول الطريق، وتعطيل صلاة المسلمين، لأنهم كانوا يتخذون وجهة مكة المكرمة باستمرار خلال تقديم الولاءات الخاصة بهم. وكان الرئيس الجديد، توماس جفرسون، ساخطا على مثل هذه الإهانات لممثلي أمته المكتشفة حديثا، ولكن لم يتمكن من توريط الكونغرس فى هذا الموقف. وبحلول سبتمبر من عام 1801، كان الوضع

قد أصبح أسوأ بكثير. وكانت قوات السلطان تطالب بمستويات أعلى من الجزية، وكانوا أيضا لا يحترمون التزاماتهم بشكل واضح فى أية مساومات، ونتيجة لذلك، استمرت القرصنة، مما استدعى المزيد من التدخل وتحقيق الاستقرار من قبل قوات البحرية الأمريكية المبتدئين. وسرعان ما بدأت مؤن الطاقم تنفد، مما أدى إلى انخفاض قوة أربع سفن إلى النصف، مع ترك إسيكس وفيلادلفيا فى الخلف لمواصلة الحصار غير الفعال أساسا فى طرابلس.

وفي العام التالي، على الرغم من التقصير فى إعلان الحرب، فوض الكونغرس الرئيس لتأمين اللوازم الضرورية بأية وسيلة لحماية السفن الأميركية فى الخارج. ونتيجة لذلك، تم إيفاد ست سفن أخرى إلى البحر الأبيض المتوسط ، تحت قيادة معينة سياسيا، ريتشارد فالانتين موريس، الذي قرر أن يحضر معه أسرته، فى إشارة إلى العالم أن "القتال" الفعلي لم يكن على جدول أعماله، بغض النظر عن الأسلحة التي كانت تحملها الزوارق. وقد قضى الجزء الأكبر من السنة فى الذهاب إلى طرابلس للتفاوض. التقى موريس بالسلطان للتفاوض ورفض فى هذه الشروط، وبالتالي الإساءة إلى أمراء الحرب، الذين توقعوا أنه سيقدم لهم الجزية، فضلا عن ضمان المدفوعات السنوية. ثم تحول موريس وعاد إلى أمريكا، التي أفزعتها هذه القضية برمتها.

وهكذا بعد عامين من الحرب غير المعلنة بين طرابلس وقوات البحرية الأمريكية المبتدئين، لم يفعل المعين الجديد الكثير لتعزيز سلامة السفن أو حتى احترام دور الجمهورية المشكلة حديثا كقوة عالمية.

والأسوأ من ذلك، قبل أن يصل القائد الجديد إلى الساحة، فإن سوء الحظ بيلي بينبريدج قد لازمه مرة أخرى. عندما كان بينبريدج قائد السفينة فيلادلفيا كجزء من الحصار الذي أمرت به واشنطن للضغط على طرابلس وتثبيط القرصنة ضد السفن الأمريكية فى البحر الأبيض المتوسط ، فى 31 أكتوبر 1803، وجه الشراع إلى الشرق وانطلق فى مسعاه.

ركض هؤلاء الصيادون القراصنة إلى كايليوسا ريف قبالة ميناء طرابلس. أمر بينبريدج بالتخلص من أي شيء يحد من حمولة السفينة، مما سمح لهم بالركوب. وعندما أدرك أن هذا الأمر أصبح لا مفر منه، أمر بينبريدج بحفر ثقوب فى بدن السفينة للتأكد من أنها لن تبحر مرة أخرى، ثم استسلم للقراصنة، وقضى الأشهر العشرين التالية فى الأسر فى طرابلس،

ولكن التعذيب الذي واجهوه لم يكن مفرطا كما نرى فى مخازنهم وأسلحتهم التي سيطر عليها القراصنة. ناهيك عن أن القراصنة تمكنوا من إصلاح القارب، الذي خرج من الشعاب المرجانية مع المد المتصاعد من العاصفة التي هبت عليهم. وأصبح لدى البحرية الأمريكية الآن واحدة من السفن الخاصة لاستخدامها فى حربها ضد القراصنة. لذا ما هو الخطأ الذي حدث؟ حسنا، إذا كان بينبريدج ممثلا من عيار قادة البحرية إلى طرابلس، فإن المرء لا يحتاج مزيدًا من البحث.

ويبدو أن هناك سوءَ فهم طوال الوقت بأن الولايات المتحدة كانت تتعامل وتتفاوض مع رجال شرفاء. لكنهم كانوا يتعاملون مع قراصنة. فى الجزائر، كان يجب أن يكون بينبريدج أكثر حذرا فى إرساء السفينة وجعل رجاله جاهزين بالأسلحة، حتى تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية إظهار قوتها بدلا من الضعف. وبدلا من ذلك، فقد عادوا مرارا وتكرارا، وبدا أنهم كانوا غير مستعدين للقتال، وسمحوا لأنفسهم باستغلالهم. هل القراصنة قضوا عليه بالفعل؟ من المحتمل.

وكانت المحاولة الضعيفة لجعل السفينة عديمة الفائدة للعدو سيئة كما لو أنها لم تفعل شيئا، بدلا من الحفاظ على السفينة والذخيرة، وكذلك حرمان البرابرة المغيرين من غنيمتهم. وعلى الرغم من حدوث سلام جديد، وقد حظيت الولايات المتحدة بالفعل بعدة انتصارات كبيرة فى الحملة (على الرغم من أنها لم تكن كافية لإدراجها فى "ترنيمة المارينز" فى سطر "إلى شواطئ طرابلس")، كان حادث القراصنة البرابرة مشروعا فاشلا للبحرية الامريكية الوليدة، وحظًّا سيئًا لبيلي بينبريدج.

(10)

معركة " الأباطرة الثلاثة " ..

أخطاء أعداء نابليون تمنحه الانتصار !

كان أحد الأسباب وراء فوز نابليون فى معركة أوسترليتز (1805 ميلادية) أنه خرج وقواده ببساطة وقاتلوا العدو. ولكن السبب الرئيسي لفوزه كان أن اثنين من الأباطرة الآخرين وجنرالاتهم قد "انسحبوا منها". وهناك مقولة عسكرية أن "خطة المعركة لا تصنع اتصالا مع العدو"، ولكن نابليون بونابرت قرر مرة أخرى تحدي الإمبراطور الفرنسي المعين حديثا. انضم الإنجليز والروس إلى النمسا فى إعلان الحرب. كما كانت بروسيا تحوم أيضا مهددة بانضمامها إلى هذا التحالف ضد فرنسا فى أول بادرة من الضعف. وكان يُعرف هذا التحالف لهزيمة نابليون باسم "التحالف الثالث"، ويمثل رئيس الوزراء والسلطة النقدية، بريطانيا، المتحالفة مع اثنين من أكبر جيوش أوروبا، النمسا وروسيا. ومرة أخرى، كان الفرنسيون محاصرين وأقل عددا من أعدائهم.

كان نابليون شخصية بارزة فى عصره، وسيطر على كل ما حدث فى أوروبا مما أثر بشكل كبير أيضا على الولايات المتحدة المشكلة حديثا. (حرب عام 1812 كانت فى المقام الأول نتيجة أو تمديدًا للحروب النابليونية). وكان الرجل بلا شك جنرالا رائعًا وعظيما. وقد تطور أيضا إلى حاكم مختص. ولكن الثقة والأنانية التي جعلت نابليون جنرالا عظيما أدت فى النهاية إلى سقوطه. ويتجلى الغرور الشخصي لنابليون، عندما أصبح إمبراطورا، فى كتابة اسمه "بونابرت"، وفي هذا الوقت حذف حرف "u" لجعل اسم عائلته يبدو أقل تحفظا.

كان الجيش الكبير يتمركز فى المعسكرات النمساوية، فأمرهم نابليون بالتحرك إلى الشرق. وبعد أسابيع قليلة، ضمن الفوز البحري لنيلسون فى تراسفلجار أن البحرية البريطانية قد سيطرت على القنال الإنجليزي، لذلك فإن إنجلترا لن تُهدد بالغزو مرة أخرى من قبل الإمبراطور الكورسيكي. بحلول ذلك الوقت، كان الجيش الكبير بالفعل على بعد عدة مئات من الأميال.

وحتى مع تحرك الجيش الكبير المدَّرب والمسمى حديثا نحو النمسا، كان الوضع بالكاد فى صالح فرنسا. ظل الجيش النمساوي الكبير تحت قيادة الجنرال ماك يهدد فرنسا ويحمي الجدود فى مدينة أولم. وكان هناك جيش نمساوي أكبر على بضعة أيام من السير وراء ماك، كما كانت هناك قوة نمساوية أخرى قوية تتحرك شمالا من إيطاليا.

وكان هناك جيشان روسيان أيضا فى طريقهما لتعزيز النمسا، وفي حين كانت بزوسيا لا تزال محايدة من الناحية الفنية، فقد قامت بتعبئة جيشها بأكمله بهدوء. وكان عدد الجنود الفرنسيين أقل، وفقدوا السيطرة على البحار، وتعرضوا للتهديد بالغزو من النمسا. لذلك، بطبيعة الحال، هاجم نابليون. وفي الأسابيع القليلة الأولى من مناورة للجيش الكبير بسرعات غير مسبوقة منذ أيام جحافل الروم، قام ماك وأكثر من ثلاثين ألفا من أفضل جنود النمسا بمحاصرة أولم.

لم يكن هناك سوى عدد قليل من الوحدات قادرة على الخروج لمواجهة الجنرال النمساوي العجوز، دون أية معركة حقيقية، وكان هذا انتصارا كبيرا لنابليون. ولكن ما يقرب من 200.000 من الجنود النمساويين والروس كانوا لا يزالون فى المسيرة. ولأنهم كانوا يخشون الهزيمة مرة أخرى، كان النمساويون يتراجعون باستمرار قبل تقدم الفرنسيين. وكان أحد الجيوش الروسية لا يزال على بعد أسابيع، ولكن تمكن الجيش الرئيسي والعديد من الوحدات النمساوية الأخرى من التركيز فى نفس الوقت الذي استولى فيه نابليون على العاصمة النمساوية فيينا فى بداية نوفمبر.

وكانت هذه القوة المتحالفة تحت قيادة كل من قيصر روسيا وفرانسيس الأول ملك النمسا. وسار نابليون، أحدث إمبراطور فى أوروبا ، لمواجهة هذا الجيش المجمَّع قبل أن يتمكن من الحصول على المزيد من الاستعدادات. وعندما التقى الأباطرة الثلاثة فى نهاية المطاف فى المعركة، واجهت جيوشهم بعضها البعض عبر نهر صغير يعرف باسم غولدباخ، مسيرة أيام قليلة من ما يمكن أن يكون ساحة المعركة الدامية من واغرام فى 1809. (في واغرام ، كانت شجاعة رجال وجنرالات نابليون فقط هي ما أنقذت الجيش الكبير المنقسم من الدمار).

وبفضل الأخطاء والقدرة على التنبؤ بخصومه فى هذه المعركة فى عام 1805، كانت الأمور أقل بؤسا بكثير بالنسبة للفرنسيين. وكان لدى الجيش النمساوي والروسي المجمع تقريبا تسعون ألف جندي فيها. وكانت مواجهة ثلاثة وخمسين ألفا فقط من الرجال أسهل بكثير، ولكن القادة المتحالفين تجاهلوا ذلك وكانوا واثقين من الفوز الساحق. وكان هذا هو أول خطأ لهم. سار الجيش الأوروبي التقليدي بخطى وقورة جدا، بهدف الحفاظ على سلامة الوحدات والاستعداد للمعركة فى جميع الأوقات. وقد أبطأت القطارات الضخمة المحملة بالمؤن

أي حركة، لذا تحركت الجيوش النمساوية ببطء مقارنة مع الفرنسيين، الذين ساروا فى كل مكان بوتيرة شاقة وغالبا ما كانوا يعيشون فقط على ما يجدونه (اسرق واجرِ). وعلى الرغم من ذلك جعل الروس النمساويين يبدون سريعي التحرك، برغم أنهم كانوا يسيرون بخطًى متثاقلة تقريبا.

لكن كلا من قيصر وفرانسيس الأول وجنرالاتهم فى أوسترليتز تصرفوا كما لو أن الفرنسيين لم يتحركوا بسرعة أكثر من وسعهم. وكان نابليون قد استكشف هذه المعركة ذاتها قبل أسابيع فقط. وقد وجد أنها مثالية لتحقيق غرضه وهو خداع الحلفاء لفعل ما يريد وبعد ذلك الاستفادة من خطأهم. وكانت هناك مستنقعات على جانب واحد، وقد كانت تستعصي على أي وحدة مشكلة. وعلى الجانب الآخر من ساحة المعركة كانت التضاريس الجبلية تستعصي على الجانبين.

وهذا يعني وجود جبهة محدودة، وقد استغلوا هذا بعيدا عن حلفائهم. وكان جيش الحلفاء الأكبر بكثير غير قادر على استخدام أعدادهم فى الجناح الفرنسي. وكانت مرتفعات براتزين تسيطر على هذه المعركة. وكانت هذه التلة شديدة الانحدار مع قمة مسطحة كبيرة على أرض مرتفعة. إلا أن ذلك لم يقلق الإمبراطور الفرنسي. كان نابليون دائما واثقا فى "نجوميته"، كما كان واثقا أنه إذا استطاع إحضار عدو للمعركة فسوف تكون له الغلبة حتى مع وجود المرتفعات منذ البداية. وكان القيام بذلك، فى الواقع، جزءًا حيويًّا من خطة معركته. لذلك تشكلت القوات الفرنسية على الأرض تحت مرتفعات براتزين، مع جيشهم على طول غولدباخ. وكان نابليون على استعداد لخوض هذه المعركة التي أرادها، وكان واثقا فى أعدادهم المتفوقة، بينما كان النمساويون والروس حريصين على إعطائها له.

وكان هناك عامل آخر قاد نابليون للشعور بأنه كانت هناك ضرورة لفرض المعركة هناك. فى حين لم تكن لديه أية تعزيزات إضافية مقبلة، كان هناك جيشان آخران كاملان، واللذان جمعا قوتهما كقوة أكبر لمواجهته، وساروا للانضمام إلى الأباطرة الاثنين. وفي الواقع، جادل القائد العسكري الروسي "كوتوسوف" بقوة أنه ينبغي انتظار هؤلاء الرجال الإضافيين، ولكن معظم الجنرالات الآخرين أيضًا الأباطرة رأوا أن لديهم أعدادًا كبيرة وموقفًا يضمن لهم النصر. ومع معرفة ذلك، اعتقدوا أيضا أن الروح المعنوية للفرنسيين قد انخفضت.

وكانت الروح المعنوية للجيش الكبير، على بعد أميال من أية قاعدة وسوف يهلك إذا هزم، مرتفعة للقتال فى أقرب وقت ممكن. وقد زور فى الواقع محاولة لسحب جيشه قبل المعركة بيوم، وهذا أثار المزيد من توقعات الحلفاء. وبالتأكيد كان الجنود الفرنسيون يعرفون بأنه يجب عليهم الفوز أو أنهم سيجدون أنفسهم مطاردين وهاربين وعلى بعد مئات الأميال من السلامة، ولكن ثقة الرجال فى إمبراطورهم كانت لا تزال قوية. وعندما بدأت المعركة، وكان الجناح الأيسر الفرنسي تحت قيادة المرشالين لأن ومراد، واللذين كانا من بين أفضل جنرالات نابليون.

وكان أمامه سهل واسع ومنبسط. وعبر هذه الساحة المفتوحة كانت تتمركز قوات بقيادة اثنين من أفضل القادة الروس، الأميرين بغرأيشن وليختنشتاين. وكان لدى هؤلاء القادة الأربعة المهرة عدد أكثر من الفرسان من كلا الجيشين. وأظهر كلا الجانبين الشجاعة والعزم فى القتال على ما سمي فى وقت لاحق "سهل فرسان أوسترليتز".

وكانت معركة صغيرة فى حد ذاتها، والاستفادة منها قد تغيرت ذهابا وإيابا دون قرار حتى تلقى بغرأيشن الأمر بالتراجع والعمل كحارس خلفي لبقية الجيش بين البلدين. وحتى ذلك الحين، كان هذا الأمير الروسي قادرا على تحويل بقية جنود التحالف إلى هاربين. وبالنسبة لكثير من معركة أوسترليتز، جلس نابليون مع الجنود الاحتياط وألقى الكرة فى ملعب الفرنسيين وفعل القليل. وكان الجناح الأيمن الفرنسي على وشك أن يخسر المعركة، ولكنه لم يفز بها. وهنا، فى البداية، اضطر عشرة آلاف رجل على تحمل هجوم ضد جيش يفوقهم خمس مرات فى العدد. وحتما، كان الفرنسيون يعودون مرة بعد أخرى حيث إن المشاة النمساوية والروسية الأكثر عددا استمرت فى مهاجمتهم. ثم قاد المارشال دافوت، بعد وصوله من مسيرة طويلة لعدة أميال، رجاله ضد الحلفاء المتقدمين.

وفي حين كانوا لا يزالون أقل عددا، أبطأت قوات دافوت تراجعها ومن ثم استقروا فى الجناح الأيمن من الجيش الفرنسي. ولكن حتى بعد أن عززت قوات دافوت الفرنسيين الآخرين، وتحويل هذا الجناح كأن لا يزال لدى قادة التحالف فرصة كبيرة. ولو استطاعوا الاختراق فسوف يحاصر الجيش الكبير، كما ظنوا، ويحرمونهم من إمداداتهم وخط التراجع. وانهيار الجناح الأيمن الفرنسي قد يعني تدمير الجيش الكبير برمته. وكان هذا، كما خطط نابليون، إغراء لا يمكن مقاومته. وفي الواقع، إذا فشل دافوت فى الصمود، كانت هناك فرصة جيدة لتحطيم الجيش الكبير.

وقد خاض مركز التحالف وجزء من جيوش التحالف المعركة لاختراق الجناح الأيمن الفرنسي المتقدم، لسحق الفرنسيين هناك، وجلب النصر للحلفاء. وقد تذوق الجنرال بوكسهودن على هذا الجناح (الجناح الأيسر لقوات التحالف) طعم الانتصار مع كل دفعة جديدة. ولكن فشل كل هجوم قبل قليل من تحقيق النجاح. وفي نهاية المطاف، تم القضاء على كل رجل وبندقية تحت قيادته، مع كل جهد جديد يقود الفرنسيين للتراجع قليلا. وقد كان يطلب تعزيزات مستمرة، وحصل عليها، من وحدات في جيش التحالف، وهي تلك الوحدات التي كانت تحتل مركز الجيش على مرتفعات براتزين.

وبينما كان نابليون وجنود الاحتياط الفرنسيون تحت قيادة المارشال سولت، قائد محنك لفيلق آخر، يراقبون، هبطت الفيالق والكتائب النمساوية والروسية من مركز التحالف إلى أسفل من أعلى مرتفعات براتزين لمهاجمة دافوت. ومع هبوط الآلاف من جنود الحلفاء لمهاجمة الجناح الأيمن الفرنسي، انتظر نابليون وجزء كبير من جيشه، وأخذوا يراقبون الموقف على أمل أن يصمد دافوت. وأخيرا، وصلوا إلى نقطة حيث كان من الواضح لنابليون أن كل فوج وكتيبة لدى الروس والنمساويين تقريبا على مرتفعات براتزين في بداية المعركة كانت قد وجهت لهم الأوامر للهبوط من التل نحو المارشال لمهاجمة الجناح الأيمن الفرنسي، ولكنهم تركوا حفرة كبيرة في وسط جيشهم.

وهم لم يدركوا هذا لأنهم شعروا بالأمان الزائف على المرتفعات. وسرعان ما انقسم جيشهم حقًّا إلى قسمين مرتبطين معا فقط بخيط رفيع من الجنود. وأطلق بونابرت مركزه ضد الوحدات القليلة التي كانت لا تزال تشغل مركز جيش الحلفاء حول مرتفعات براتزين. وجاء هذا الهجوم مع قوات سولت بأكملها، والتي كانت لا تزال جديدة ومستريحة، وحتى عناصر من الحرس الإمبراطوري. وقرعت الطبول وأطلقت الابواق بالأوامر حيث سار سولت وجنود الاحتياط الفرنسيون برمتهم إلى الأمام. وهم تجاهلوا تلك الوحدات التي كانت لا تزال منتشرة على المنحدرات الأمامية من مرتفعات براتزين، واندهشوا عندما وجدوا أنهم عندما وصلوا للقمة كانت خالية.

ولم يعد هناك مركزٌ لجيش الحلفاء. وبدلا من ذلك، وجد كل شطر من القوى المتحالفة أنه لم يكن هناك سوى الفرنسيين أمامهم، ولكن على الجانب، وحتى يقفون وراءهم. وأجرى

الحرس الروسي هجمة مرتدة يائسة فى محاولة لاستعادة السيطرة على مرتفعات براتزين، ولكنهم فشلوا. وأصبح نابليون الآن يسيطر بقوة على مركز قوات التحالف. وكان الطريق مفتوحاً لفيلق سولت بأكمله للسير قبالة المرتفعات ومهاجمة كتلة من الروس والنمساويين بقيادة بوكسهودن، والذين حاصروا قوات دافوت من الجانب والخلف. ثم أمر دافوت كتائبه بمهاجمة الكتائب الفرنسية الجديدة، وهرب أكثر من نصف الجيش النمساوي والروسي.

وحاول البعض عبور البحيرات المتجمِّدة التي تنتشر فى المستنقع، وغالبا ما سقطوا فى الجليد الرقيق فى شهر نوفمبر. واستسلم المزيد منهم أو غرقوا. وكانت المعركة قد انتهت وحقق نابليون بونابرت أكثر نصر إثارة للإعجاب. وقد أصبح هذا ممكنا بفضل القرارات والثقة المفرطة للجنرال واثنين من الأباطرة اللذين كانا يواجهانه. ومنذ البداية، كان نابليون يتلاعب بقادة الجيش الروسي النمساوي الأكبر.

ومع توفر وضع متفوق من مرتفعات براتزين لهم، فقد جعلهم يخوضون هذه المعركة حيثما اختار، والأهم، الهجوم كيفما أراد. وقد هاجم الأباطرة الاثنان، كوتوسوف وبوكسهودن، وجميع الحلفاء بالضبط حيثما أراد نابليون، جناحه الأيمن. ولكن الهجوم الضخم كان دون جدوى بسبب الدفاع الصامد لدافوت. وكان الحلفاء يعززون هجومهم باستمرار بالقوات من مركزهم مما فتح الطريق أمام ما يعتبر اليوم فى كثير من الأحيان أعظم انتصار لنابليون بونابرت. وكان هذا كله بسبب، من البداية، فخ مخطَّط له بعناية.

(11)

معركة " سان جاسينتو " ..

سر هزيمة الجنرال دي سانتا !

في عام 1835، تم انتخاب سانتا آنا، أحد الجنرالات الذين قادوا الشعب المكسيكي فى طرد الأسبان، كرئيس وقام بإلغاء الدستور على الفور تقريبا، جاعلا من نفسه ديكتاتورا. ومثل جيرانهم فى الشمال، تتوق الكثير من المكسيكيين بقوة لحريتهم وإلى المقاومة الأولى لحكمه وله بعد أن ألغى الدستور من خلال قيادة جيش فى مقاطعة زاكاتيكاس المزدهرة سابقا. وكان الجيش قد حرق ونهب واغتصب كل ما فى طريقه عبر الأرض حتى تم تدمير المقاطعة وأصبحت غير مأهولة بالسكان تقريبا. وتأكد سانتا آنا بعد ذلك من أن بيانه "إذا قمت بإعدام أعدائك، فإن هذا سيوفر عليك عناء الغفران لهم" قد أصبح معروفا لدى كل شخص فى المكسيك. لقد كان تحذيرا شديد اللهجة، ولكنه أظهر تجاهلا تاما لـ"حقوق الإنسان" وفقدت الحريات الأخرى عندما ألغى الدستور.

والآن، إذا كان هناك جزء واحد من كل المكسيك لا يزال على استعداد للتمرد ضد سانتا آنا، فإنها ولاية تكساس. وقد كانت بعيدة عن مراكز القوى التابعة للديكتاتور، وكان ثلاثة وثلاثون ألف مواطن والذين يعيشون فيما كان يعرف آنذاك بمقاطعة تكساس المكسيكية من المهاجرين من الولايات المتحدة. وكان الباقون هم من العائلات المكسيكية والذين يتمتعون بروح الاستقلال أو الرجال الذين فروا من هناك عندما تولى سانتا آنا الحكم.

وقد أغضب إلغاء الدستور معظم المكسيكيين، و"مواطني تكساس" أكثر من غيرهم. وكان العديد من الرجال والضباط، الذين قاتلوا ضد سانتا آنا، من ألامو إلى سان جاسينتو، من أصل مكسيكي، وكثير منهم خاطر بأراضيه التي كانت مملوكة لأسرهم لأجيال. وقبيل عام 1836، هرب الرجال سيئي التنظيم بسهولة من الحاميات المحلية. وكان كل هذا يجري باسم الدستور الملغى. ولكن الثورة كانت ثورة، وبعد أن قاد ثورة ناجحة ضد الفرنسيين والتي منحت الحرية لجميع المكسيكيين قبل بضع سنوات فقط، كان سانتا آنا يعلم أنه لا يمكنه أن يسمح ببدء ثورة أخرى، حتى فى مقاطعة تكساس البعيدة والفقيرة نسبيا.

وكان عدد سكان مقاطعة تكساس لا يمثل سوى جزء صغير من عدد سكان المكسيك. وكان الجيش المكسيكي نفسه يماثل جميع سكان المقاطعة البعيدة. وكان سانتا آنا قد هزم الجيش الفرنسي، وقامت ثورات أكبر بكثير، لذلك ارتكب العديد من الأخطاء فى تكساس وخسر كلا من المعركة والحرب. وكان سانتا آنا من المحاربين القدامى المحنكين وخاض معركة ضد

الرجال الذين لم يكن لديهم أكثر من بضعة أشهر فى أحسن الأحوال من التدريب معا، وكانوا مستقلين أكثر فى التفكير ويصعب قيادتهم.

فكيف نالت تكساس استقلالها على عكس زاكاتيكاس التي أصبحت قفارًا؟ كان يطلق على سانتا آنا اسم "نابليون المكسيك"، وسرعان ما أصبح الاسم عزيزا على قلبه. وكان واثقا فى نفسه، أو كما سنرى، يتمتع بالثقة المفرطة بالنفس، فى مواجهة أي "رعاع" فى عدد صغير من السكان بأفضل قواته، ومعظمهم شاركوا فى تدمير زاكاتيكاس فى العام قبل الماضي. وأكدت التصريحات العلنية للجميع فى مكسيكو سيتي أن مقاطعة تكساس سوف تلقى نفس المصير الذي لاقته زاكاتيكاس، وأن كل مواطن سابق من الولايات المتحدة سيقتل أو يطرد من تلك المقاطعة بشكل دائم.

ومثل نابليون، شعر سانتا آنا بأن المناورة كانت أهم جزء من الحرب. لذا كان يوجه كل مسيرة ويخطط بعناية الطرق التي سيسير عليها جيشه. وخلافا لنابليون، أولى الدكتاتور المكسيكي القليل من الاهتمام فى تموين جيشه. وبعد أن عقد العزم على إخماد التمرد قبل تنظيم أية معارضة فعالة، أمر الديكتاتور جيشه بالتحرك شمالا فى مسيرات قسرية. وكان هذا الوقت فى فصل الشتاء، وسرعان ما حققت الرحلة أثرها، وكانت تشبه التراجع من موسكو أكثر من بدء حملة جديدة. وبحلول الوقت الذي اقترب فيه الجيش من ريو غراندي، لم يبق سوي حوالي أربعة آلاف جندي. وقد سقط ألفا رجل من الإرهاق ومرضوا، أو انسحبوا ببساطة أثناء المسيرة الصعبة من العاصمة إلى ريو غراندي.

وتم إرسال تعزيزات لهذه القوات المتبقية بحوالي ستة آلاف رجل. وقد بدأ سانتا آنا بإضافة الناجين من حاميات تكساس لهم. وهذا يعني أن هناك جنديًّا مكسيكيًّا واحدا لكل خمسة رجال ونساء وأطفال فى مقاطعة تكساس بأكملها. وجاءت المعارضة الأولى فى 23 فبراير فى مهمة مهجورة بالقرب من سان أنطونيو دي بكسار، والمعروفة باسم ألامو. وكما هو الحال مع زاكاتيكاس، سرعان ما أعلن سانتا آنا أنه لن يأخذ أي أسرى. قاتل المدافعون بشجاعة يائسة، ولكن فى 6 مارس لم يتمكنوا من الاستمرار على الجدران الطويلة وتم القضاء عليهم فى نهاية المطاف. وأولئك الذين نجوا من الهجوم ربما تم إعدامهم- الأدلة مختلطة.

ولكن النتيجة النهائية كانت أنه لا يوجد مدافع قد نجا. وبعد أسابيع قليلة قبضت قوة

مختلطة من الفرسان والمدفعية على قوة واحدة من المتمردين بقيادة الكولونيل فنين قرب غولياد. وبعد محاصرتهم فى العراء، شكل مواطنو تكساس وضع دفاع وشنوا أول هجمات من قبل الفرسان. ثم تبعتهم المدفعية على الخيول وبدأت في معاقبتهم بإطلاق مئات من كرات النار. وبعد أن رأى أن موقفه لا يمكن الدفاع عنه، تفاوض فنين على الاستسلام وتسليم أسلحتهم فى مقابل عودتهم إلى ديارهم ووعد بعدم حمل السلاح أبدا ضد سانتا آنا مرة أخرى.

وعندما تم قبول هذه الشروط، استسلم مواطنو تكساس. وفي هذه المرحلة، أمر سانتا آنا بإعدامهم جميعا، حيث تم اقتيادهم إلى منطقة مفتوحة وأطلقوا النار عليهم: 342 قتلوا، ولكن 28 هربوا لنشر القصة. وبعد أن دمر القلعة الوحيدة بأكملها والتي كان يحتلها أهل تكساس وكانت أكبر قوة لديهم، يبدو أن سانتا قد قرر أن الثورة قد انتهت. كان سام هيوستن يحاول يائسا تنظيم ما تبقى من المقاومة، ولكن هذه القوة التي كانت تتألف من أقل من ألف رجل (في ذروتها) كانوا يجبرون باستمرار على الذهاب إلى الشمال بعيدا عن المراكز السكانية وأسرهم. لذا قام سانتا آنا بتقسيم قواته إلى عدد من "الأعمدة المحلقة"، وهو ما يغني فى الغالب أنهم كانوا قليلين بما يكفي للسير بسرعة إلى حد ما والعيش خارج الأرض. وبدأت هذه الأعمدة فى ارتكاب فظائع في تكساس كما حدث فى زاكاتيكاس.

ويمكنك تتبع حركتهم من خلال الدخان من المنازل والبلدات التي أحرقوها. وكان سانتا آنا يقود أكبر عمود، حوالي ألف جندي، وإستطاع فى نهاية المطاف طرد حكومة المتمردين تماما من تكساس (على متن سفينة). وواصل التحرك فى الاتجاه العام لسام هيوستن، وكان مهتما بطرد المواطنين الأمريكيين من تكساس وحرق كل مبنى يجده أكثر من خوض معركة ضد عدو مهزوم بالفعل. وهذه الثقة المفرطة، والإرهاق العام من مسيرة طويلة لم يكن يتحملها نابليون الأصلي أبدا. وتم استخدام البصاصين والكشافة فقط فى بعض الأحيان، وكثيرا ما أرسلت أوامر من قبل ناقلين مرافقين. واعتقلت الكشافة التابعة لسام هيوستن ساعيًا على ظهر حصان واقتادوه إلى مخيم الديكتاتور. وكانت الرسالة تنقل له أمرين. الأول هو أن العمود بقيادة سانتا آنا كان أقرب بكثير مما كان يعتقد، أقل من مسيرة يوم واحد. والثاني هو أنه فى أقل من أسبوع تم تعزيز العمود المكسيكي بقوة. ومع رجاله المضطربين بشدة، وبعض الرجال

الجاهزين للتمرد بسبب التقاعس عن العمل، عرف هيوستن أن الوقت قد حان للتحرك. وتوقف بالفعل عن الركض وكان يسير بشكل أقرب إلى سانتا آنا. وبعد أن رأوا أن أسابيع من التراجع قد انتهت، ارتفعت معنويات جيش تكساس كما ساروا للقاء الرجال الذين كانوا يحرقون منازلهم ومدنهم. وعندما أدركوا أن المعركة باتت وشيكة، أخذوا يهللون. وبدون علم هيوستن، وصلت التعزيزات المكسيكية فى وقت سابق مما كان متوقعا. كان لدى سام هيوستن ثمانمائة رجل على استعداد للقتال، والوافدون الإضافيون يعني أن سانتا آنا كان تحت قيادته أكثر من ألف وخمسمائة من الجنود ذوي الخبرة، بما فى ذلك حملة الرماح على ظهر الخيول والعديد من البنادق.

وهذا أعطى سانتا آنا الواثق بالفعل ثقة أكبر. وكان تعداد جيشه ضعف تعداد جيش هيوستن تقريبا وكان فى موقف دفاع جيد. كان رجاله محترفين، وكان قد سمع عن أوامر هيوستن المتكررة بالتراجع. ولم يجرؤ أهل تكساس على الهجوم، وكل ما كان يتعين عليه هو الانتظار حتى الفرار، وكانت هذه بالفعل مشكلة لدى أهل تكساس، وقضى الإحباط على المعارضة نيابة عنه. وعلى الرغم من أنه عرف أن أهل تكساس كانوا قريبين، كان الدكتاتور واثقا من نفسه بشدة حتى إنه أمر جيشه بالاستراحة فى فترة ما بعد الظهر فى المعسكر بدلا من الاستعداد للمعركة. واحتسى الشمبانيا مع ضباطه تحت ظلال المعسكر الكبير، وسرعان ما أخذ الجميع باستثناء بعض الحراس قيلولة. وعندما شكل هيوستن جيشه للهجوم، بلغ عددهم 793 رجلا.

وكانوا جميعا على استعداد للقتال الذي طال انتظاره، ولكن قلة منهم كانوا قد قاتلوا حقا فى معركة. وكان هناك احتمال كبير بوقوع كارثة، ولكن الفرصة لهزيمة والقبض على سانتا آنا كانت كبيرة جدا. وربما كانت هذه هي الفرصة الأخيرة والوحيدة أمام هيوستن لتحقيق النصر. وفهم قائد جيش تكساس أنه إذا أشرك رجاله فى المعركة لوقت أطول فإنهم بالتأكيد سيتمردون أو ببساطة سينسحبون. لذلك تم اتخاذ قرار الهجوم، وسرعان ما انتظر الخط المزدوج من جيش تكساس وراء سلسلة من التلال التي أخفتهم عن المعسكر المكسيكي، وكان الجميع يتوقعون أنه سيتم رؤيتهم ويأملون أن يتمكنوا من الحصول على الميزة النسبية من التلال العالية قبل أن يُضطروا لمواجهة الجيش النظامي المكسيكي.

وبشكل مثير للدهشة، اقتربوا من خط القمم ولم يحدث شيء. ولم يكن أحد، لاسيما سام هيوستن، يصدق أن الحظ الجيد سيكون حليفهم. وعندما ظهروا أخيرا فى المعسكر، كانوا على بعد مائتي ياردة، ولم يصدر أي إنذار. وأخيرا، أطلق جيش تكساس بضع قذائف مدفعية على الخط القريب، واختفوا بأمان تحت سماء المنطقة ولكن تنبه الجنود المكسيكيون أن شيئا ما كان يحدث. انطلقت بضع طلقات من البنادق للخروج من المعسكر وقرعت الطبول وأخذ الرجال يستيقظون ويشكلون صفوفهم فى وحدات.

وعند هذه النقطة، انضم جزء صغير من الرجال الذين أرسلهم هيوستن للتحقق إلى المعركة. وكان كل جندي فى جيش تكساس يعرف الآن أن النصر أو الموت هو النتيجة الحتمية بالتأكيد. ولم يكن سانتا آنا يأخذ أسرى أبدا، ولم يكن هناك طريق للهروب. وبمجرد سماع الصيحة كان الجيش على بعد ثمانين ياردة فقط من حافة معسكر المكسيكيين المرتبكين، وصاح الكولونيل سيدني شيرمان قائلا "تذكروا ألامو وغولياد". وكانت صيحاتهم باللغة الأسبانية قد دفعت جيش تكساس لإطلاق النار من على بعد بضعة ياردات فقط من ضباط سانتا آنا الذين كانوا يحاولون إعادة النظام إلى جيشهم المذعور.

وقد قضت النيران (معظم جنود تكساس كانوا قريبين لذا فإن الطلقات أصابتهم مباشرة) على الروح المعنوية للرجال غير المنظمين. وتوقفت المقاومة باستثناء فى الجيوب المعزولة، وفر معظم الجنود المكسيكيين أو حاولوا الاستسلام. وكان هؤلاء هم نفس الجنود الذين نهبوا واغتصبوا فى طريقهم عبر مقاطعة تكساس فى الأشهر الثلاثة السابقة، والوحدات التي شكلت من ألامو، بحيث لم يتبق أحد على قيد الحياة. وتم قبول استسلام عدد قليل من الرجال وخيم الذعر على ضباط ورجال سانتا آنا وفروا للنجاة بحياتهم. وقد استغرقت المعركة أقل من عشرين دقيقة.

واستمر الانتقام لأكثر من ساعة حيث ظل جنود تكساس يطاردون ويقتلون ما تبقى من العمود. وكان القناصون يطلقون النار على الحشود والفرسان فى كل مكان، وأخذوا بنادق جميع الجنود لضمان عدم القدرة على إبداء أية مقاومة. وبعد بضع ساعات سيطر سام هيوستن مرة أخرى على جيشه، وأخذوا بعض الأسرى. لكنه كان قلقا. فى حين أنهم كسروا العمود، كان هذا أقل من ربع جيش سانتا آنا، وكان الدكتاتور قد هرب.

وبفضل الثقة المفرطة لسانتا آنا، كان لدى هيوستن أسير تم جلبه للانضمام إلى هؤلاء الأسرى القابعين بالفعل تحت الحراسة، وكان رجل قذر مع قميص ممزق ولا يشبه الجنود. وبدأ رجاله فى الغمز واللمز باسمه حتى أدرك جيش تكساس أن هذا السجين كان فى الواقع هو سانتا آنا بيريز دي ليبرون نفسه. وكان القميص القذر مرصعًا بالماس. وتم إحضاره بسرعة أمام سام هيوستن، الذي كان يعاني من إصابة فى الكاحل فى الهجوم الأول، وبدأ الدكتاتور التفاوض على حياته وحريته.

وأراد العديد من جنود تكساس، الذين كانوا لا يزالون يرغبون فى الانتقام من ألامو وغولياد، شنق سانتا آنا هناك. لكن هيوستن احتجزه كأسير لمدة شهر، عندما تم التوقيع على معاهدة وأصبحت مقاطعة تكساس أمة. وكان الاتفاق أن يتم إطلاق سراح سانتا آنا إذا غادر مقاطعة تكساس. ووافق وعاد إلى مكسيكو سيتي. وبعد ذلك لم يناده أحد باسم نابليون المكسيك. وكانت مقاطعة تكساس مقاطعة حدودية يسكنها أكثر من طاقتها وكان الجيش المكسيكي تقريبا كبيرًا مثل سكان المقاطعة السابقة.

وهناك سبب واحد بسيط لهذه الهزيمة التي شكلت أمة: أدت ثقة سانتا آنا المفرطة فى نفسه إلى تشتيت القوى، ورد قاس جدا مما صعد المعارضة. وكان فشله الحقيقي هو عدم الخفاظ على الأمن المحلي حول معسكره أو حتى عناء تحديد مكان العدو. وكل ذلك زاد من ثقة جيش تكساس.

(12)

معركة " بالاكلافا " .. الإنجليز والأتراك وحكاية اسمها " اللواء الخفيف " !

لا يمكن أن يكون لديك كتاب عن القرارات العسكرية السيئة دون أن يحتوي على مهمة اللواء الخفيف فى معركة بالاكلافا (1854) . ونادرا ما تكون هناك فرصة لمناقشة مثل هذا الفشل الذريع. وكما ثبت فى كثير من الأحيان فى هذا الكتاب، فيمكن أن يؤدي فشل شخص واحد فى موقع رئيسي إلى كارثة تدمر فى دقائق ما كان يمكن أن يسمى أفضل كتيبة من سلاح الفرسان فى العالم. بدأت حرب القرم لأن الإمبراطورية العثمانية كانت ضعيفة ورأت روسيا ، بعد قرون من الحروب مع هذا الجار الجنوبي، فرصة ليس فقط للانتقام ولكن أيضا فرصة للسيطرة على الميناء مع إمكانية الوصول المباشر إلى البحر الأبيض المتوسط. وكان هذا حلما كبيرا، حيث كان كل ميناء أوروبي آخر تسيطر عليه روسيا متجمدا ومغلقا لجزء كبير من السنة، أو تم غلقه من قبل الأتراك. لكن التجار الأوروبيين كانوا لا يريدون بالتأكيد خلق منافسة جديدة شديدة مع التجار الروس والذين تدفقوا فجأة فى أسواقهم المحتلة.

لذلك عندما أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية، سارعت كل من فرنسا وبريطانيا للانضمام إلى الحرب إلى جانب الإمبراطورية العثمانية. وبسرعة إلى حد ما، أخذ الحلفاء الثلاثة المبادرة وغزوا شبه جزيرة القرم التي كانت تقع ضمن الأراضي الروسية وامتدت إلى البحر الأسود. وهذا يعني أن سفن القوات والمؤن الخاصة بهم، والتي كانت تعمل بالبخار فى الواقع، يمكن أن تبحر مباشرة من إنجلترا أو فرنسا، ثم إلى إسطنبول عبر مضيق البوسفور إلى جبهة القتال.

وكانت شبه جزيرة القزم أيضا هدفا مغريا جدا، لأنها تحتوي على خطط القيصر الروسي خلال حرب القرم والتي أدت إلى إصلاحات واسعة النطاق وضرورية للغاية. لكن ذلك كان بعد الحرب. وعند هذه النقطة، فإن القليل قد تغير منذ أن هُزم نابليون قبل أربعين عاما. وكانت هناك مشكلة كبيرة أن نظام التموين كان مجزأ وغير منظم. وهذا يعني الحاجة الماسة للمعاطف الشتوية فى الميناء حيث كان الجنود يتجمدون حتى الموت فى الخطوط قبل سيفاستوبول. وكانت التكتيكات المستخدمة هي تلك التي استخدمها جنود ولينغتون فى واترلو وببساطة لم يأخذوا بعين الاعتبار قوة النيران الأكبر بكثير من كل من المشاة والمدفعية.

ولم تكن هناك أية خدمات طبية حقيقية. والأسوأ من ذلك، كما سنرى، أصبح الجيش البريطاني من عام 1854 "ناديا للصبية" بالمعنى الحقيقي. وسيطر عليه الحراس على ظهر

الخيول بنفس الطريقة قبل مائتي سنة، وكانت العضوية فى نادي الصبية هذا لا تزال تقتصر على الطبقة الأرستقراطية. وكانت كلمة "عجوز" تستخدم أيضا مع قائد الجيش البريطاني فى حرب القرم، اللورد راجلان. وكان قد فقد جيشا فى واترلو قبل أربعة عقود، ويبدو أنه فقد منذ فترة طويلة رغبته للصراع على أي مستوى.

وبرغم أنه كان رجلا حاسما مع القليل من الكاريزما وتظهر عليه علامات الشيخوخة، فقد عين راجلان لأنه كان قائدا ماهرا ويتمتع بمهارات كثيرة. وللأسف، فمن الواضح الآن أن اللورد راجلان لم يكن لديه أي من تلك المهارات، على الأقل كقائد لفرسانه. ولأسابيع بعد الهبوط، بسبب مثابرة الجنود، اضطر الروس للتراجع. وبالقرب من مدينة بالاكلافا، تم التصدي لقوات القيصر. وفي اليوم الأول، تم دفعهم مرة أخرى فى الفوضى.

وهذا خلق بالضبط وضع للفرسان حيث تفوقوا في: مطاردة وتدمير العدو المهزوم. ولكن هذا لم يحدث، وهو ما يقودنا إلى العضو الثاني فى عصابة الأطفال الأربعة المرحة، جورج تشارلز بينغهام، ثالث إيرل للوكان. هو قاد جميع الفرسان البريطانيين فى شبه جزيرة القرم، بما فى ذلك اللواء الخفيف، واللواء الثقيل المفضل لديه. والآن لم تكن هناك حربٌ حقيقية منذ عصر نابليون، وكان لوكان النموذج المطلق للقائد فى زمن السلم. وكان لديه القليل من المعرفة الاستراتيجية وكان غير مبالٍ يشن حرب فى الواقع.

رأى اللورد لوكان أن قواته، وخاصة اللواء الثقيل، تقريبا كمجموعة شخصية. وقد قيل إنه كان ينفق ما يصل إلى عشرة آلاف جنيه إسترليني سنويا للحفاظ على مظهر اللواء والتجهيزات الجديدة. وهذا يعني ما لا يقل عن نصف مليون دولار سنويا. وقد أنفق المزيد على اللباس للمشاة الروسية وفرسان القوزاق والبنادق المكدسة، والتي كانت فرصة مثالية لتعبئة جيش روسي بأكمله. وكان تشكيل اللواء الثقيل جيدا للغاية، وبدعم من اللواء الخفيف فى مكان قريب، وكلاهما كان ينتظر مهاجمة عدو أعزل قريب. وانتظروا طويلا، ولم تأتِ الأوامر.

وكان الجيش الروسي قادرا على التراجع وإعادة تشكيل صفوفه على بعد بعض الأميال، وحافظ سلاح الفرسان البريطاني على نظافة زيهم. وتبع ذلك حادث مماثل، مرة أخرى بسبب إحباط راجلان، عندما قام لوكان باختبار فيالقه فى حين مرت فرصة أخرى لسلاح الفرسان لسحق الروس. ويبدو أنه فقط لم يفهم، أو لم يهتم بالفرص التي فوتها عندما بدت

ألويته جيدة فى العرض العسكري. وسرعان ما بدأ الجيش كله فى الإشارة له باسم " لورد لوك أون ". والآن ننتقل إلى اللواء الخفيف، الذين انتظروا بإحباط، وربما استرخوا طويلا نتيجة التقاعس القسري. وكان قائد اللواء الخفيف هو اللورد كارديجان، وهو نبيل آخر والذي كان لديه القليل من المهارة أو الخبرة فى القيادة. ولم تكن لديه أيضا خبرة قتالية حقيقية، ولا رغبة فى فهم كيف أن الاشتباك مع العدو مختلف عن ركوب الخيل. وكان لوكان وكارديجان يكرهان بعضهما البعض ولا يحترمان بعضهما البعض. وكان ينبغي على راجلان فعل أي شيء حيال العداء بين اثنين من عمداء الفرسان، أو على الأقل تسريح أحدهما من الخدمة. وبدلا من ذلك، ترك الأمور تتفاقم على أمل أنها سوف تتحسن.

ولكن ذلك لم يحدث. لذا بذل راجلان قصارى جهده للفصل بين الرجلين، وكانت خدعة متقنة حيث إن لوكان كان يتفوق على كارديجان. وفي يوم 25 أكتوبر، تمكن اللواء الثقيل بالفعل من المشاركة فى عدد قليل من الإجراءات الناجحة – لا شيء حقا خاطر بالجنود البولنديين على خوذاتهم، ولكن يكفي أن يكون لهم سيد يقود رجال وضباط اللواء الخفيف، والذي لم ير أي عمل على الإطلاق. ويبدو أن الكراهية بين القادة تطورت إلى منافسة غير صحية بين اللواءين.

وكان ينبغي التعامل مع هذا الأمر على الفور، كما ثبت فى النهاية الكارثية، ولكن بدلا من ذلك لم يفعل راجلان أي شيء. هاجم الروس مرة أخرى فى اليوم التالي. وكانت هناك سلسلة من المتاريس والقليل من الحصون الأرضية والحجرية، على طول خط من التلال أمام المراكز التي كان يقبع فيها الجزء الأكبر من الجيش البريطاني. وتمكنت أعمدة من المشاة الروسية من التعامل مع هذه ودمرت العديد منها. وقد ترك العدو بنادقه ومدافعه مما كبدهم خسائر كبيرة.

لذلك عندما كان اللورد راجلان يقف على تلة، فقد استطاع رؤية كل هذا يحدث، وأدرك أن القيصر كان على وشك الحصول على هدية ثمينة "بطارية مدفعية" ، فأمر اللواء الخفيف بالاستيلاء عليها. وكان ينبغي أن يكون من السهل نسبيا للوحدة المحمولة جيدا إبعاد الروس وإعادة قطع المدفعية التي فقدت عندما جرها جنود المشاة بعيدا. وكان اللورد راجلان يود أن يمضي الفرسان قدما بسرعة إلى الجبهة لمطاردة العدو ومحاولة منع العدو من الاستيلاء على البنادق.

وهذا هو الأمر المنطقي لو كنت على رأس تلة، ويمكنك رؤية كل شيء أو تعرف ما كان يقصد. ولكن الرسول الذي اختير لإيصال هذه الرسالة إلى كارديجان كان الكابتن لويس إدوارد نولان. وكان يخدم كرسول للمعسكرات ويقوم بإيصال الرسائل لأنه كان يعتبر واحدا من أفضل الفرسان فى بريطانيا. كما أنه كان مغرورا ومتعصبا من الدرجة الأولى. ورأى أن سلاح الفرسان كان يمكنه اختراق أية ساحة معركة، وتدمير أي تشكيل للمشاة، وتجاوز أي مدفعية موجهة ضدهم.

وكتب القائد كل هذا فى كتاب بعنوان "سلاح الفرسان: تاريخه وتكتيكاته". وأولئك الذين فهموا وأدركوا أن القوة العسكرية قد وضعت حدًّا لحقبة من الحروب واخترقت خط مشاة العدو قد ذكرهم الكتاب والمؤلف. ولكن مثل هذه الخلافات جعلت الرجل يدافع عن ثقته فى سلاح الفرسان بعناد أكثر. وكان نولان أيضا يظهر القليل من الاحترام، لسبب وجيه، للوكان وكارديجان.

وبصفته متعصبًا للفرسان كجيش حاسم، شاهد مع مرور الوقت مدى التبجيل والمجد الذي حظي به نتيجة الصراع بين الألوية. والآن، يبدو أن فرصته قد أتت لتصحيح كل هذا. ذهب إلى اللواء الخفيف مع الوعد المشئوم بأنه يمكنه تولي القيادة بنفسه. وعندما وصل الكابتن نولان، جلس العميد كارديجان مع الـ 607 رجال. وكان قائد اللواء، اللورد لوكان، يقبع فى الوادي الذي يمتد من الخطوط الروسية إلى حيث كان ينتظر. والتلال على الجانبين عرقلت رؤيته، على الرغم من أن لوكان قد سمع إطلاق النار من المدافع على يمينه. وفي اندفاع كبير، ركب نولان حصانه وذهب إلى اللورد لوكان الذي كان يعرف أنه قد قصر فى اتباع الأوامر للهجوم لمرتين من قبل على الأقل. وتساءل قائد اللواء ما هي البنادق التي يجب أن يهاجمها. وهو لم يتمكن من سطح الوادي من رؤية البنادق التي تم الاستيلاء عليها، وكان إشراك المدفعية على ظهر الخيول فى المعركة يعني أن المشاة كانوا هم الهدف، أو جزءًا منه. والآن، وجد نولان الفرصة لإثبات نظرياته بتفوق سلاح الفرسان.

أو ربما أنه لم يشعر ببساطة بالإحباط مع لوكان، وكارديجان، والمهزلة التي فعلوها حتى الآن فى جيشه المفضل والتي لم يتحملها أطول من ذلك. توفي بعد بضع دقائق، لذا فقد ضاعت دوافعه. ولكن ما فعله هو تغيير طبيعة الأوامر التي كان يحملها تماما. رد نولان "ها هو عدوك

هناك يا سيدي"، مشيرا إلى بطارية من اثنتي عشرة بندقية روسية فى الطرف الآخر من الوادي. وما لم يدرجه فى حركته كانت المعاقل الفعلية والبنادق التي أراد راجلان إنقاذها، كونها أقرب بكثير وأسهل فى الوصول إليها- مشاة القيصر وحتى بعض البنادق الخفيفة. وكانت المسافة إلى هذه المدافع التي أشار إليها نولان نحو ميل، وكان الهجوم على بطارية من هذه المسافة يعد انتحارًا بشكل صارخ. ولم يستطع القادة إصدار مثل هذا الأمر. ولكن لوكان لم يفعل ذلك. ذهب الأمر للواء الخفيف للاستعداد لإطلاق النار. وقبل كارديجان، الذي لم يكن راغبا فى التحدث مع لوكان عن هذا الأمر، الأمر دون سؤال.

وعليك أن تتساءل ما أثر الكراهية بين لوكان وكارديجان على استعداده لاتباع هذا الأمر. شاهدت المدفعية الروسية الست مئة فارس يتشكلون فى خطوط وخمنت أنهم كانوا هدفا للهجوم المخطط له. كثفت قصفها، وذلك باستخدام نسخة محسَّنة من القذائف المتفجرة، مثل تلك التي اخترعها هنري شرابنيل لويلينغتون لاستخدامها فى أسبانيا قبل خمسين عاما. ركب نولان جواده ومر من خلال الوحدات النظامية، واندفع فى طريقه إلى الأمام، لكنه لم يتولى قيادتها أبدا.

انفجرت قذيفة فى مكان قريب واخترقت قطعة سميكة من المعدن صدره. ومات فى لحظات، وعاد حصانه المذعور إلى الخلف. واستعد الستمائة رجل كلهم للبطارية الروسية كما أمروا. أطلقت الرصاصات والقذائف على الفرسان من كل جانب. وهناك عدد قليل من الرجال الذين استطاعوا بالفعل الوصول إلى المدافع وشرعوا فى طعن رجال المدفعية. ولكن سارع فريق من الفرسان الروس بإبعادهم، ومن تبقوا من اللواء الخفيف اضطروا الى ركوب خيولهم مرة أخرى والعودة من خلال نفس القفاز. وقام تينيسون، قائد سلاح الفرسان الفرنسي، والجنرال بوسكيه، بتقديم أفضل تلخيص للكارثة برمتها: "هذا رائع، ولكنها لم تكن حربا". ومن بين الستمائة رجل، عاد فقط 441 رجلا و 346 من الخيول من "وادي الموت". وكان كارديجان، الذي أصيب بجروح طفيفة، واحدا منهم. عاش حتى رأى اللورد لوكان يلقي اللوم على الأوامر الخاطئة.

وبعد كل شيء، مات نولان وكان الرأي العام البريطاني بحاجة لشخص ما لتوجيه اللوم إليه. كما أن راجلان ألقى اللوم أيضا على لوكان وقال له "لقد فقدت اللواء الخفيف". ولكن

تآمر الرجال الأربعة كلهم لتدمير أكثر سلاح فرسان معروف ومكلف فى تاريخ بريطانيا. ويجب توجيه اللوم للورد راجلان للقيادة غير الحاسمة والفشل فى عدم اكتساب المهارات العسكرية من فشله فى المعركة السابقة، بما فى ذلك عدم الانصياع لأمرين مختلفين للهجوم. اللورد كارديجان، من خلال عدم قدرته على الفهم العسكري والكراهية لقائده، اتبع أمرًا خاطئًا وانتحاريًا بشكل أعمى. أما الكابتن نولان، لأسباب خاصة به، غير الأمر الذي كلف بتوصيله من أمر معقول إلى "المسئول عن اللواء الخفيف".

(13)

معركة " أنتيتام" وجيش الأشباح

الطريق للهزيمة يبدأ بفكرة خاطئة !!

فجر 17 سبتمبر من عام 1862، وهو اليوم الذي عرضت فيه إمكانية إنهاء الحرب الأهلية الأمريكية. وخلال الأشهر الثلاثة السابقة، كان الجنرال روبرت قد فرض الشغب على جيش اتحاد بوتوماك وجيش فرجينيا، مما حول المعركة من ريتشموند إلى ضفاف نهر بوتوماك فى وسط ولاية ماريلاند. وبعد النجاحات الرائعة فى الحملة التي دامت لمدة سبعة أيام وماناساس الثانية، غامر بغزو ولاية ماريلاند، وبعد ذلك انحرفت الأمور. وكانت أشهر الحملة الصعبة قد كلفته أكثر من أربعين ألف قتيل، وكثير منهم من أفضل قادة فيالقه، وألويته، وكتائبه. وقد أجهد رجاله، وحدث نقص فى الأحذية، مما جعل معظم جنود الجيش عراة الأقدام- ليس سيئًا للغاية عندما شن حملته على الطرق من الطين الأحمر فى جنوب ولاية فرجينيا، ولكنها كانت مختلفة تماما عن التضاريس الصخرية فى ولاية ماريلاند والقفار فى تلك المنطقة.

وبعد عبور نهر بوتوماك خلال الأسبوع الأول من شهر سبتمبر، عد لي أقل من أربعين ألف بندقية فى قيادته. ومن المثير للاهتمام أن قضية حقوق الولايات لعبت ضده هنا. وخرج الآلاف من الرجال من المسيرة عندما وصلوا إلى نهر بوتوماك. ما هي حجتهم؟ كانوا قد تم تجنيدهم للدفاع عن ولاية فرجينيا، وليس غزو ولاية ماريلاند، وكانوا سيبقون خارج المعركة حتى عاد لي إلى رشده، وعبر النهر فى طريق العودة. ثم جاءت "الأوامر المفقودة" الشهيرة. على طول ضفاف خور مونوكاسي، تم العثور "الأوامر المفقودة" من قبل بعض قوات إنديانا ومرروها بسرعة إلى ماكليلان.

كان جورج ماكليلان، قائد الاتحاد المختال لجيش بوتوماك، منظما ومدربا ألمعيا، ولكن فشل فشلا ذريعاً فى إحدى المعارك. كان يحمل فى يديه أمر المعركة لجيش لي، والاتجاهات، وخطط المسيرات، وتم نشر جنود الجنرال لي على طول ثلاثين ميلا من الطريق، فى حين كان من المفترض أن ينشر الجيش المنظم بإحكام مثل الرمح، للاستعداد لتدمير خط الوسط وخفض قوات لي إلى النصف. وكانت لديه أيضا ميزة عددية هائلة، ما يقرب من 2-1، مع مدفعية أفضل، وقواته المستريحة جيدًا إلى حدٍّ مًا، وطريق ممتاز لنقلهم إلى أرض المعركة.

وبالطبع انتظر، وأضاع يومًا آخر فى التباهي بالنصر الوشيك بدلا من دفع رجاله قدما فى مسيرة قسرية. وقد تأخر يومًا آخر فى محاولة لدفع كتيبة واحدة صغيرة جانبًا والتي وضعها لي

على قمة جبل الجنوب ليتفوق على أعدادهم بعشرة أضعاف، ومن ثم أضاع يومًا آخر فى جلب رجاله ببطء نحو خور أنتيتام كريك. ومع كل هذه الأعداد الكبيرة، والمؤن، فقد بدا النصر للاتحاد أمرا مفروغا منه. وعند عد المشاة فقط، فقد كان لدى ماكليلان ميزة أفضل بكثير. ومع المدفعية، فقد كانت لديه ميزة الاتحاد النموذجية المتمثلة فى المدفعية المدربة جيدا وعدد أكبر بكثير من براميل البنادق. وكان موقف لي، المتواجد فى قوس أمام قرية شاربسبورج، خطيرا. وكان خط التراجع الوحيد أمامه هو معبر وحيد عبر نهر بوتوماك فى مؤخرته.

وبعد ذلك ذهب ماكليلان فى معركة مخيفة. وقد وصل عملاء المخابرات الهواة، الذين تم توظيفهم من جميع المصادر المتاحة، وكالة مخابرات بينكرتون، مع تقارير تفيد بأن عدد جنود جيش يفوق 100.000 جندي. وقد صدقهم على الرغم من تقارير قادة الكتائب، الذين أخذوا نظرة مقربة على خطوط الكونفدرالية فى الليلة السابقة، رأوا أنهم كانوا قلائل.

وكان هناك جيش من الأشباح وفقا لجورج. بالتأكيد، هو رأى أربعين ألفا من رجال لي محتشدين للمعركة، ولكن وراءهم كان يترصد ستون ألفا آخرون من الأشباح وكانوا جاهزين لشن هجوم مضاد عندما يحين الوقت، فوق سلسلة من التلال الدفاعية الجيدة على الجانب الآخر من خور أنتيتام – هذا هو الموقف المثالي للانتظار عندما يضرب جيش الأشباح بقيادة لي فى النهاية. وكان الموقف الذي لم يقدم سوى نظرة جزئية من ساحة المعركة، فى حين وضع لي نفسه كخازوق فى الوسط، على استعداد للسيطرة على الفور على ساحة المعركة.

وفي صباح يوم 17 سبتمبر، ذهب جورج ماكليلان على مضض إلى الحرب، مقتنعا أنه يواجه أعدادا تفوق أعداد جنوده، عندما كانت كل ذرة من دليل حقيقي تثبت عكس ذلك. وحتى مع هذا الخوف، إذا كان ذاهبا للهجوم، فإن المنطق العسكري البسيط يشير إلى أن المعركة ستكون بمثابة ضربة مطرقة عبر الجبهة بأكملها، جحيم سيخل توازن العدو فى الخطوة الأولى. وهو لم يفعل شيئا من هذا القبيل، ويمكن للمؤرخين الآن بسهولة تحديد معركة أنتيتام كثلاث معارك مميزة وغير ذات صلة، الأولى على الجناح الأيمن للاتحاد، ثم فى المركز، وأخيرا على الجانب الأيسر. وكانت هذه الخطوة الافتتاحية، فى حقول الذُّرَة والهجوم على الغابة الغربية، أمرًا أخرق: اثنتان من كتائب الاتحاد تعتدي على أرض مفتوحة فى موجات غير منسقة، على الرغم من أن الفيلق الأول الباسل لجو هوكر كان قد اقترب من الفوز.

وإن لم يكن لإصابة "المقاتل جو،" فقد عادت المعركة بالفعل إلى مقر ماكليلان وتوسل إليه أن يطلق كل شيء وكل جنود الاحتياط لديه. تحدث ماكليلان فقط عن قوات الأشباح التي خبأها لي بعيدا خلف التلال المقابلة، ورفض أن يشركها فى المعركة. والقتال فى الجناح الأيمن باء بالفشل عندما لم تتبق هناك، بصراحة، أية وحدات منظمة للقتال من أجل الاتحاد. ولكن جنود الكونفدرالية انتشروا بشكل متساو، وقام لي بدفع عدد قليل من الرجال لديه فى المعركة، وامتطوا ظهور الخيول للدوران حول الجنود متجهين إلى الخلف.

وكان مركز المعركة قد فُتح الآن، بشكل غير منسق تماما مع الجناح الأيمن. وكان هذا هو "الطريق الغارق "سيئ السمعة، وهو خور طبيعي وسط المزارع، وهو المكان الذي ينبغي أبدا أن يتعرض لاعتداء حمام الدم أودى بحياة الآلاف أو الجرحى من الجانبين، ومرة أخرى، فى وقت العدوان الأخير، تم القضاء على قوات لي. وكان كل ما هو مطلوب هجوم آخر. وعاد قائد فرقة الاتحاد إلى ماكليلان، وتوسل إليه أن يطلق جنود الاحتياط، ولكنه رفض مرة أخرى – كان لي سينقض عليهم مع عشرات الآلاف من الجنود. وقد توسل قائد الفرقة، وهو غاضب، لماكليلان أن يأتي إلى المقدمة ويرى بنفسه أن لي قد انتهى.

عاد قائد الفرقة إلى قيادته، وسرعان ما توفي بعد ذلك فى محاولة يائسة للدفاع مع عدد قليل من الرجال الباقين معه. وقد تكشفت الحماقة الآن على اليسار، عند جسر بورنسايد سيء السمعة. وكان بورنسايد، قائد الجناح الأيسر، جنرالا مناسبا لماكليلان فى ذلك اليوم. كان بطيئا، ومترددا، وفي وضع حرج حول كيفية الحصول على رجاله عبر النهر، وكان هناك ضابط من سلاح الفرسان قد عبر المجرى الضحل لإثبات أنه يمكن عبوره بسهولة، ولكنه بورنسايد رأى أنه يحتاج للجسر. وكان لي يقود الجناح الأيسر مع أقل من ألف رجل ضد كتيبة بورنسايد بأكملها وجنود الاحتياط المحتملين من كتيبة أخرى وراءه، أكثر من عشرين ألف رجل.

الحماقة معروفة جيدا: الاعتداءات المتكررة عبر الجسر الضيق، الاقتحام النهائي من المرتفعات، ثم إهدار بضع ساعات لعبور رجال بورنسايد، ثم نشرهم فى الخارج من أجل الهجوم النهائي. فقط الوصول فى الوقت المناسب من قبل أقل من ثلاثة آلاف رجل، تحت تل أ.ب. هيل هو من أنقذ لي، حيث تقدم رجال بورنسايد إلى شاربسبورج قبل أن يتم صدهم من قبل ثلث عددهم. وتم ذبح أكثر من عشرين ألفا من رفاق ماكليلان، ولكنهم فتحوا طريقا

واضحا لهجوم قوي لإنهاء اليوم ودفع ما تبقى من جيش لى فى بوتوماك.

وبقي الجزء الأكبر من بنادق ماكليلان على الجانب الآخر من أنتيتام كريك أيضا، فى حين توسل له ضباطه على مدار اليوم لنقل البطاريات لمكان قريب واستخدامها لاكتساح ساحة المعركة. ولكن لا، هم كانوا فى وضع جيد للعودة إلى الوراء وشن الهجوم المضاد المتوقع من قِبَلِ لي والأشباح التي كانت تطارد عقل جورج – الأشباح التي لم توجد أبدا. وكان هذا اليوم مضيعة مأساوية للوقت.

ولكن الأمر الأكثر غرابة، ونادرا ما يحدث، كانت أحداث 18 سبتمبر 1862. قبيل الفجر، ثبت لي، مع انخفاض أعداد جيشه إلى أقل من ثلاثين ألفا، بتحد فى مكانه. وكان يتعين عليه الدخول لأرض المعركة، ولكنه لم يفعل ذلك. توسل قادة الفرق العسكرية لماكليلان أن يذهب للإجهاز عليهم. وكانت هناك كتيبتان جديدتان من الجيش واللتان لم تقاتلا أبدا. ومع ذلك، بالنسبة لماكليلان، كان تحدي لي دليلاً إيجابيًا على أن أعداد الحلفاء قد فاقت أعداد جيشه.

ورفض التزحزح، ولا حتى لأجل جنوده. وفي اليوم التالي، تقدم ماكليلان بحذر إلى شاربسبورج. وتحدث المنشقون والفارون من الكونفدرالية، والذين تم استجوابهم من قبل من أسروهم، صراحة عن الخسائر الكارثية التي لحقت بهم فى المعركة. وكان جنود الحرب الأهلية سيئي السمعة لكونهم لا يخفون سرا عندما يأسرون، وكان يقدم لهم الشراب وبعض البسكويت من قبل المعارضين ثم يقولون كل شيء بحرية.

وقد أُرسلت هذه المعلومات الاستخباراتية إلى جورج، مع مناشدات للدفع بقوة إلى الأمام. ولكنه رفض مرة أخرى. وعندما وصل الرئيس لينكولن إلى ساحة المعركة بعد بضعة أسابيع لاستعراض ما قد حصل من خطأ، ادعى ماكليلان تحقيق انتصار كبير وقريب على عدو متفوق. وبالنسبة للينكولن، كان من الواضح أن هناك فرصة أخرى قد أهدرت، وبعد ذلك بوقت قصير أعفي ماكليلان من الخدمة. وهو قد أصبح نعرة للمجهود الحربي، وتم إعلان فشله وتعيينه كسفير للسلام فى الحزب الديمقراطي فى عام 1864. ولحسن الحظ، كان سعيه للرئاسة ناجحا مثل معركته فى أنتيتام. وتاريخيا فإن معركة أنتيتام تعتبر انتصارا للاتحاد.

ولكن هذه هي الدعاية فى الواقع. وقد احتاج لينكولن لنصر لتعليق إعلان تحرير العبيد

عليه، وبالتالي فإن اللقاء فى أنتيتام يمثل فرصا ضائعة كبيرة من الحرب، وهي قضية حقيقية من الاستيلاء على الهزيمة من بين فكيّ النصر. والهجوم المنسق فى الساعة الأولى، والذي خنق لي من جميع الجبهات، من المؤكد أنه قد أدى إلى انهيار موقف الكونفدرالية قبل منتصف النهار. ولو تم دفع نصف جنود الاحتياط المتوفرين فربما أدى هذا إلى جعل لي يعلق على ضفاف نهر بوتوماك وتمزيقه إربا قبل غروب الشمس. الفشل، على الرغم من كل الأدلة التي أعطيت له أن النصر كان فى متناول اليد، يعزى فقط إلى جورج ماكليلان وعدو الأسوأ – خياله وجيش الأشباح الذي لازم كوابيسه.

(14)

معركة " شنسلورسفيل " ..

ســـــــقوط الجنرال هوكـر !

كان جوهوكر يُدّعَى جو المقاتل ، ولكن كان الاسم فى الواقع نتيجة لخطأ مطبعي فى إحدى الصحف. وفي تقرير سابق، كان هناك عبارة تنتهي بكلمة "مقاتل"، وبدأ السطر التالي بعبارة "جو هوكر" وتم استبعاد الفاصلة، وقام محرر النسخة بكتابة الكلمة على أنها "مقاتل"، والتي تبين البراعة فى أنتيتام والروح العدوانية. وتقول أسطورة حضرية قديمة أن اسمه الأخير أصبح مرتبطا بأقدم مهنة فى العالم، والتصق به هذا الإسم لأن جو كان سيئ السمعة بسبب حاشية من "الحمائم المتسخة" العائمة حول معسكره.

وللأسف (لأنها قصة كبيرة)، فإن هذا ليس صحيحا. وكانت كلمة "هوكر" تُستخدم بالفعل قبل عقود من الحرب الأهلية. ومع ذلك فلعل الاسم مستوحًى من سلوكه غير الأخلاقي سيئ السمعة فى ساحة المعركة، وهو السلوك الذي فضح أمريكا الفيكتورية، ولكن على الأرجح كان العديد من جنوده والأميركيين جميعا يهللون به سرًّا. وعندما تولى قيادة جيش بوتوماك فى أوائل عام 1863، تسلم روحًا معنوية محطمة. وقد خلق بورنسايد كارثة فى فريدريكسبيرغ، ومرة أخرى بعد شهر فى "مسيرة الطين" سيئة السمعة، وهي محاولة فاشلة لحملة فى فصل الشتاء.

ومثّل بورنسايد وحظه التعيس فيها، خرجت قواته من المعسكر وبدأت تتحرك، ونزلت الأمطار الغزيرة والمتجمدة لمدة أربعة أيام فى شهر يناير. وعلق الجيش فى الوحل، ومات المئات من التعب والإرهاق. وأصدر هوكر أوامره بتقديم الطعام، وملابس الشتاء، والإجازات السخية، والمهام الخفيفة للجنود المحبطين. بدأت الروح المعنوية فى الصعود. وبعد ذلك، أخذ خطوة رئيسية نحو مفهوم أكثر حداثة من الحرب: طرد عملاء بينكرتون المدنيين الهواة الذين كانوا يجلبون المعلومات الاستخباراتية لماكليلان، وأسس شبكة حديثة لجمع المعلومات الاستخباراتية.

تم نشر مراقبين مدرَّبين على طول خط الجبهة لحساب عدد القوات على الجانب الآخر. وتم سحب خرائط أوامر المعركة. وتم التحدث لكل هارب وأسير بطريقة وذية وتم انتزاع المعلومات منهم. وفي غضون بضعة أشهر، لأول مرة، حصل جيش اتحاد نهر بوتوماك على قراءة دقيقة لجيش لي، وأوامره فى المعركة، قوته جيشه حسب الكتائب، والأهم من ذلك، المعلومات بأن قوات لي كانت تفتقر بشكل يرثى له للمؤن حتى إن ما يقرب من نصف قواته، فى لونغستريت، قد انسحبت بقدر ما إلى ريتشموند بحيث يمكنهم إطعام أنفسهم والخيول.

وتم استخدام المراقبة بالبالون مع ألف قدم من الحبال لرصد التحركات اليومية على الجانب الآخر، ومراقبة محطات الإشارة الخاصة بالكونفدرالية بعناية فائقة. وفي وقت قصير، تم فك الشفرة البسيطة التي كان يستخدمها المتمردون وكذلك إحداثيات المقرات اليومية لضباط لي. وكانت الخطة التي وضعها جو للقضاء على لي معقدة ورائعة، وربما تعتبر واحدة من أفضل الخطط التشغيلية التي تمت تجربتها فى المسرح الشرقي طوال فترة الحرب.

وقد كان يعلم أن عدد قواته يفوق عدد قوات لي بما يقرب من 3-1، مع ما يقرب من 120.000 جندي، مقابل أكثر قليلا من 40.000 جندي مع لي. وقد كان عنيدا وترك قوة كبيرة وراءه، أي ما يعادل تقريبا قوة لي، تحت قيادة "العم جون" سيدجويك. وما تبقى من القوة، تحت قيادته الشخصية، كانت تتجه إلى الشمال، وعبرت نهر راباهانوك على مسافة خمسة عشر ميلا من المنبع، ثم انهارت وسط الجناحين الخلفي الأيسر للي.

وكانت هناك قوة ثالثة، سلاح الفرسان، تحركت إلى اليمين، ثم إلى الجنوب، وأخيرا قطعت خط الاتصالات الخاص بلي على مسافة ثلاثين ميلا إلى الخلف. وحتى قبل أن تبدأ الحملة، تم محاصرة لي. وإذا حاول التحرك قبل هوكر، فإن سيدجويك كان سيسحق مؤخرته. وإذا بقي فى مكانه، فإن هوكر كان سيصطدم بجناحه. وكان التراجع هو الخيار الوحيد المتاح؛ ومن ثم فإن الأعداد المتفوقة كانت ستعرقله إذا ما حاول التراجع إلى ريتشموند. وكان هوكر واقعيا بما يكفي لعدم وضع الكثير من الأمل فى فرسانه.

لقد كانت بطيئة. ولكن التكنولوجيا كانت ستتغلب على هذه المشكلة. كان يتعين أن يُحَلِّقَ منطاد الاستطلاع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ويكون جاهزا لنقل المعلومات عن أية تحركات مضادة من قبل لي. وكان الإبراق، على مستوى تكتيكي من الأوامر، سيدخل حيز اللعب لأول مرة. ومع تقدمه إلى المنبع ومن ثم عبور النهر، فإن عربة التلغراف كانت ستتحرك من مقر قيادته، وتحمل فريقًا من الرجال المدربين مع عوازل زجاجية على الأشجار وحلقات من السلك خلال تنقلهم. وإذا عطس لي، كان جو هوكر يعرف ويتصرف وفقا لذلك. وهكذا بدأت حملة شنسلورسفيل.

وأي قارئ حتى من لديه معرفة عابرة حول الحرب الأهلية يعرف النتيجة، هزيمة كارثية لهوكر. ومع ذلك، كان ذلك انتصارا، حيث دفع الجنوب ثمنا باهظا ومات جاكسون عندما

أطلق عليه النار من أحد حراسه الشخصيين. ولكن هناك قصة رائعة وراء هذه القصة والتي تفسر لماذا هزم هوكر، وربما تزيل قليلا من الشعور بالذنب بسبب تكنولوجيا التلغراف التي استخدمها جو، آلة بيردسلي.

وكان هذا كما لو أن عالم الكمبيوتر ما زال يعمل مع 386 جهاز كمبيوتر بنظام الدوس ، وفجأة ظهر على الساحة نظام بنتيوم 4 مع الإصدار الأحدث من نظام التشغيل ويندوز. وكانت آلة بيردسلي عبارة عن صندوق معقد نوعا ما. وإذا زرت حديقة ساحة معركة فريدريكسبيرغ، تأكد من زيارة تشاتام هاوس، حيث يتم عرض الأصل. ويشبه الجزء الأمامي من الصندوق وجه ساعة حائط، مع الحروف الأبجدية، والأرقام وحتى العبارات القصيرة فى شكل دائرة، وكلها مغلفة بشكل جميل بالنحاس اللامع. وعقرب الساعة هو عبارة عن مؤشر، والجزء الداخلي هو عبارة عن مجموعة معقدة من المغناطيس والأسلاك.

وكان المفهوم رائعا. بدلا من الاضطرار إلى استخدام النقاط والشرطات المرهقة فى جهاز مورس لفك الشفرة، والتي تأخذ وقتا لإتقانها، فقد كان عامل واحد يجلس فى نهاية الخط أمام الجهاز ويقوم فقط بتحويل القرص ويدفعه مثلا فى شكل حرف تي. وعلى الفور على الطرف الآخر من جهاز الاستقبال تتحول الشفرة إلى حرف تي ، ويدق جرس صغير. ومن المفترض أنه يمكن لفريق جيد مضاعفة سرعة الإرسال والاستقبال، حتى بشكل أفضل، وإذا تداخل جاسوس من المتمردين مع الخط، فإن الإشارات التي تطير ذهابا وإيابا تكون غير مفهومة. وقد تم تطوير الجهاز العجيب الجديد فى مقر هوكر.

وهكذا طور جو هوكر آلته الأولى الرائعة كما أنه نقل الجزء الأكبر من جيشه إلى المنبع دون علم لي والذي كان يعتقد بأن كل شيء كان على ما يرام. كان هوكر دقيقا لدرجة أن الكتائب التي عبرت النهر، كرًّا وفرا مع خصومهم على الجانب الآخر علنا، استعيض عنهم برجال محنكين والذين فهموا أنهم إذا سربوا كلمة واحدة، فإنهم سيحولون ما تبقى من الحرب إلى بعض الصخور على جزيرة نائية.

وذهب فريق التلغراف يراقبون على طول الطريق وعبروا نهر راباهانوك مع جو، ومدُّوا الأسلاك خلال تحركهم. وكان جيش الاتحاد قد عبر، ودخلوا فى منطقة صعبة من الغابة المعروفة باسم " ويلدرنيس " ، وبلغوا منطقة صغيرة فى مدينة " شانسلورهاوس " حتى قبل أن

يبدأ لي التحرك. وكان فريق التلغراف متصلا بالآلات العجيبة فى المقر ويرسلون لهم الرسائل الاستخباراتية. الرد: رطانة نقية. محاولة أخرى، ومرة أخرى مزيج غير مفهوم من الإشارات . المحاولة مرة أخرى ثم المحاولة مرة أخرى، وإرسال الرسائل لبعضهم البعض فى نفس الوقت أم لا. كانت آلة رائعة لم يسبق اختبارها ميدانيا.

وقد يعتقد المرء أن مثل هذه الحماقات تحدث اليوم فقط، مع أنظمة الأسلحة التقنية العالية التي تفسد الأرض بإطلاق الصواريخ على سفينة حليفة أو، بدلا من ذلك مطاردة طائرة بدون طيار تابعة للحلفاء. وكانت مدى هذه الآلات يمتد لأكثر من عشرين ميلا من الطرق فى القرن التاسع عشر. ولم يكن لدى أي أحد أية فكرة، حتى المخترعين أنفسهم، عن كيفية إعادة تنظيم الشفرات وإرسالها إلى آلة أخرى ثم مزامنتها مرة أخرى. وكان يجب عليهم حملها مرة أخرى إلى الجبهة، وبمجرد وصولها، فسوف ترسل من جديد.

لم يكن أحد يعتقد أن يحضر معه مفاتيح تقليدية قديمة موثوق بها، وحتى إذا كانت لديهم، فكيف سيعلم الجانب الآخر كيفية إعادة تحويلها؟ وتحول جو فجأة إلى الظلام. التكنولوجيا الفائقة فشلت ولم يكن أحد يعتقد أن يحضر معه تكنولوجيا متدنية. ولكن لا يزال هناك البالون. على ارتفاع ألف قدم كان يمكنه على الأقل توفير بعض المراجع لجو. وعلى الرغم من أن السماء كانت صافية، إلا أنها كانت عاصفة مع رياح عاتية. وكانت المناطيد ترتد فى نهاية مقودها الطويل وكانت مسطحة تقريبا إلى مستوى سطح الأرض، واضطر مشغلوها فى النهاية إلى العودة بها مرة أخرى والاستسلام. وهنا تجمدت أوصال جو. لقد حاصر لي، ولكن خلال أشهر من التخطيط افترض أنه سيعرف كل خطوة يخطوها لي بالضبط. الآن أصبح فى ظلام، وفي تلك اللحظة توقف عقله وتجمد.

وتم إرسال السعاة، وأخذوا ما يقرب من يوم ليصلوا إلى العم جون سيدجويك قبل فريدريكسبيرغ والعودة مع الرد. ولكن سيدجويك لم يساعد أيضا. وقد عبر النهر باستخدام جسور عائمة، وواجه نفس الأرض التي اعتدى عليها بورنسايد فى ديسمبر الماضي. وبدون المنطاد خلفه فإنه لم تكن لديه فكرة عما إذا كان هناك خمسة آلاف جندي فقط فى الخنادق (العدد الحقيقي)، أو عشرون ألفا، وهم من هاجموه، وكان من المفترض أن يضربوا لي وهو يتحرك ناحية الغرب أو تثبيته فى مكانه، وبالتالي تمكين هوكر من التوجه ناحية الشرق.

وكذلك فعل الجنرال سيدجويك ما فعله الكثيرون على مر التاريخ- لم يفعل شيئا وجلس وانتظر. اضطر إلى التوجه غربا، وتواصل مع هوكر فى أول مايو 1863، إلى الشرق من شنسلورسفيل. وفي ذلك المساء أصدر لي القرار الجريء بتقسيم جيشه مرة أخرى. وهكذا بدأت مسيرة جاكسون الشهيرة. وقبيل صبيحة يوم 3 مايو 1863، كان لي قد حقق واحدا من أعظم انتصاراته، ولكن بتكلفة رهيبة. فى الليلة الماضية، ستونوول كان جاكسون قد أصيب بجروح قاتلة "بنيران صديقة"، وعندما قاد قواته المتقدمة، أطلق عليه الرصاص من قبل رجاله فى الظلام والارتباك الذي وقع فى المعركة الليلية سحق الجناح الأيمن للاتحاد.

وكان جيب ستيوارت الآن فى قيادة كتائب جاكسون، واندفع بقوة إلى الأمام للقاء لي، الذي كان فى القيادة المباشرة للجناح الشرقي من الجيش، وهاجما الجناح الآخر لهوكر. ودائما ما يسجل التاريخ تألق هذه المناورة الشهيرة ولكن، للحظة، وما ينبغي للمرء أن يقلب الخريطة وينظر إليها من الجانب الآخر. وبعد أن نظر بطريقة مختلفة، كان هوكر فى موقف رائع. وكان مجتهدا فى العمل. ولم يكن جيش لى موحدا، بل كان فى الواقع مقسمًا إلى ثلاثة عناصر متميزة: ستيوارت، ولي، وقوة صغيرة متمركزة فى فريدريكسبيرغ. وكان لا يتعين على اثنين من كتائب هوكر بعد إطلاق حتى رصاصة واحدة، وفي الواقع تم نشرهم إلى الشمال من رجال جاكسون، الذين كانوا متمركزين على جناحهم، كما لو كانوا على استعداد لهجمة مرتدة مذهلة.

وتمكن سيدجويك، مرة أخرى فى فريدريكسبيرغ ، من إبعاد القوات القليلة التي تواجهه بسهولة، وفي تلك اللحظة، كان فى الواقع أقرب إلى ريتشموند من لي. وكان يمكنهم إجبار لي على التراجع إلى الجنوب، أو إيقافه وضربه بشكل مباشر فى المؤخرة. وتمكن الفيلق الخامس، الذي كان يتمركز شمال قيادة جاكسون، من القبض عليه فى الزاوية اليمنى وطرده من الميدان. تجمد جو هوكر. وبينما كان واقفا على مشارف مدينة شانسلور هاوس، استمع إلى هدير المعركة أقرب من الغرب.

وكان أعمى، ولم يكن التلغراف الملعون قد عمل بعد، وازدادت الأمور سوءا بسبب حقيقة أن، حتى حينه، العوازل الزجاجية الرائعة قد جذبت أعين عدد قليل من قوات الاتحاد، والذين أبعدهم أحد قادة الفرق العسكرية والذي توسل له قائلا: "انظر فى الأمر بطريقة أخرى،

يا سيدي! إنهم لا يزالون منقسمين، ونحن نفوقهم عددا! "وفي تلك اللحظة جاءت تسديدة صاروخية وضربت عمود الرواق الأمامي الذي كان يتكئ عليه هوكر. وسقط العمود واصطدم بالجنرال حتى فقد الوعي. لقد كانت لحظة ذهبية! أي شخص لديه لمسة من المشاعر الداعمة للاتحاد كان يريد أن يصرخ فى قادة الفرق العسكرية هؤلاء قائلا: "هذه هي فرصتكم الآن!". ويمكن للمرء أن يتصور باتون فى مثل هذه اللحظة، مع سقوط آيك أو برادلي من البرد أمامه.

وقد انتزع القيادة بكلتا يديه واستغلها، وعلى الأرجح أنه وجه لقائده القديم ضربة ثانية على الرأس فقط للتأكد. ولكن ليس لهؤلاء الرجال. هم وقفوا جميعا وأفواههم مغلقة. كان هناك بعض الجدل الموجز عن "ربما ينبغي أن نفعل شيئا ما"، عندما وقف هوكر ووجه الشكر وهو يرتعد ويتأته بينما كان لا يزال فى القيادة. إنها تقريبا لحظة كوميدية بطريقة ما، إن لم يكن لحقيقة أن الآلاف من الرجال الطيبين كانوا يموتون، حيث كان هناك شخص يمشى بهدوء وراءه، ثم ضربه على رأسه بكعب مسدس أو مطرقة. انطوى الجيش، وتراجع إلى الخلف عبر النهر، وحقق لي أعظم انتصار له.

وحدثت مفاجأة مأساوية من قِبَلِ الفرسان والعم جون العجوز. كان الفرسان يتجولون بلا هدف طوال المعركة، وتم إرجاعهم إلى الوراء بسهولة، ولم ينجزوا أي شيء. أما بالنسبة للعم جون، فقد تسلق المرتفعات فوق فريدريكسبيرغ فى النهاية وأبعد الحلفاء من مكانهم. وأخيرا، تحول إلى الغرب، بينما فر هوكر من الميدان. وفي اليوم التالي، عاد لي بقواته كلها تقريبا وطوق سيدجويك فى سالم تشيرش ، على بعد خمسة أميال أو نحو ذلك إلى الغرب من فريدريكسبيرغ . (جون الوفي تحرك ببطء مرة أخرى) . وحتى فى هذا الوقت المتأخر، كان من الممكن عكس الوضع. توسل الضباط بشكل أكثر عدوانية لهوكر، الذي اتخذ موقفا دفاعيا، للتقدم إلى الأمام وضرب لي فى العمق. ولكن هوكر ترك جون لمصيره. الفشل فقط من قبل بعض المرؤوسين المرهقين للي منعهم من تنسيق هجوم صحيح مما سمح لجون بالتحرك أثناء الليل وعاد عبر النهر. وبعد سنوات اعترف هوكر بأن عقله قد تجمد عندما أعمته التكنولوجيا الفائقة، ثم عن طريق الطقس السيئ. وفقد هوكر الوعي أكثر عندما حصل على ضربة قوية على رأسه.

(15)

" معركة جيتسبورج " وأسطورة " لي " .. البطل الرمز فى قضيـــة خاســرة !

تعتبر معركة جيتيسبورغ (1864) دون شك هي المعركة الأكثر إثارة للجدل فى التاريخ الأميركي. حضور أي اجتماع مائدة مستديرة للحرب الأهلية، أو الجلوس مع الجنود حول نيران المعسكر، أو حضور أي صف جامعي حول الحرب الأهلية، أو مجرد التسكع مع الهواة، ثم الانخراط فى الصناعات المنزلية. هذا الكاتب يعرف ذلك جيدا، بعد تأليفه ثلاثة كتب أكثر مبيعا حول هذا الموضوع وكتب عدة مقالات كذلك. كان هذا قبل دفن آخر القتلى فى المعركة، وهي نقطة خلاف على كلا الجانبين. وبعد فترة وجيزة من وفاة روبرت إي لي فى عام 1870، انفجر الخلاف إلى نشوب خصومة مريرة بين "بيت" لونغستريت، الذي قال إن لي فشل فى جيتيسبورغ، والمدافعين عن "رجل من الرخام"، الذي لم ير أي خطأ فى حياته كبطل رمزي فى "قضية خاسرة".

عندما تجمع قدامى المحاربين فى الذكرى الخامسة والعشرين للمعركة، هدأت المرارة ولكن استمر النقاش، حتى بين العلماء والكتاب المشهورين. حتى إن فولكنر قال: إن القوات والمدفعية المحتشدة توخت الصمت، وكان كل شيء لا يزال ممكنا. إذا كان قلبك يميل تجاه قضية الجنوب، فلا مناص من زيارة جيتيسبورغ، حيث ستقف فى زاوية أو تصعد إلى أعلى قمة تلة ليتل راوند توب وتحلم أن أحد رجال جوشوا تشامبرلين قد هبط واكتسح مؤخرة الاتحاد. هل كان يمكنه أن يفوز؟ هل كان يستطيع لي الفوز؟ بكل تأكيد نعم.

كانت هناك فرص لتسديد ضربة حاسمة والتي كان يمكنها أن تحول المعركة فى جنوب ولاية بنسلفانيا أو شمال ولاية ماريلاند إلى انتصار مذهل للكونفدرالية. ولكن هل كان يمكن أن تدور المعركة فى ساحة جيتيسبورغ نفسها؟ ربما في اليوم الأول، فقط ربما، ولكن بعد ذلك ... الأمر مشكوك فيه، وبحلول اليوم الثالث ... أصبح مستحيلا. المعركة هي ذروة الحملة، ومجموعة من التحركات المعقدة للقوات، وصداع من الإمدادات والدعم اللوجستي، والتي سماها الرومان بشكل صحيح "المعدات"، مما يؤدي فى نهاية المطاف إلى لحظة الاتصال مع العدو.

وبالإضافة إلى ذلك، هناك عوامل الطقس لا يمكن السيطرة عليها، وفقدان الحصان لحوافره، أو عدم وجود أوامر أو سعاة، والفارق الزمني لتسليم أوامر والتصرف وفقا لها بشكل صحيح، وهو ما يدعوه الجيش "الاحتكاك" وأمور قيادية أخرى معقدة. دعونا نحلل-

معركة جيتيسبورغ والفشل والأحلام. فى مساء يوم 28 يونيو 1863، لم تكن جيتيسبورغ سوى علامة صغيرة على الخريطة، مجرد مفترق طرق، مثل وستمنستر، أو هانوفر، أو تشامبرسبورغ، أو كارلايل. لم تكن بعد كلمة مكتوبة بحروف من الدم، وهو اسم المكان الذي، عندما يهمس به، فإنه يجعل الكثير من العيون تدمع لسنوات طويلة ويبعث القشعريرة أسفل العمود الفقري لدى الكثيرين، حتى اليوم. واليوم يبدو كما لو كانت تلك المعركة على هذه الأرض مصيرا لا مفر منه.

لكنها لم تكن كذلك. لذلك فإن موظفي الحديقة يمزحون حول أسئلة السياح عما إذا كانت لافتات الطرق والمعالم الأثرية من المعركة قد تعرضت للتلف. وكأن، مثل داريوس فى جاوجاميلا، ساحة المعركة قد تم بناؤها وتمهيدها حتى قبل بدء المعركة. لم تكن جيتيسبورغ سوى مكان واحد من بين الكثير من الأماكن التي تقرر فيها مصير أمة واحدة أو ربما أمتين، وفي مساء يوم 28 يونيو 1863، كان الجنرال روبرت لي، مع أكثر من سبعين ألفًا من الرجال تحت قيادته، يعسكر فى تشامبرسبورغ، ولاية بنسلفانيا، على بعد حوالي خمسة وعشرين ميلا إلى الغرب من جيتيسبورغ. وكان الطريق يربط بين المكانين، وقطع طريقا فرعيا لإخفاء حركته شمالا.

وعلى بعد ما يقرب من أربعين ميلا إلى الجنوب، كان الجنرال جورج ميد، مع ما يقرب من تسعين ألف رجل، فى فريدريك، بولاية ماريلاند. وكان فى وضع غير مؤاتٍ جدا. كان لي يقود جيشه لأكثر من سنة، وقاد هذا الجيش على نصف دزينة من ساحات القتال. وتولى جورج ميد القيادة لأقل من يوم واحد، بعد أن حل محل جو هوكر، الذي كان يتشاجر مع وزير الحرب ادوين ستانتون والقائد العام الجنرال هاليك فى كثير من الأحيان ثم أقيل. وقبل سبعة أشهر، كان ميد مجرد قائد كتيبة، وتمت ترقيته لقيادة الفيلق الخامس فقط قبل حملة شنسلورسفيل فى مايو، والآن، وبعد مرور سبعة أسابيع، أصبح المسئول الوحيد عن تنفيذ الأوامر الصادرة من واشنطن: لتحديد موقع لي، والدفاع عن واشنطن من الهجوم، وجلب لي للمعركة وطرده من الإقليم الشمالي.

وكانت هذه أوامر متناقضة، فى الواقع، والتي كانت تطالب بالدفاع وفي الوقت نفسه تدعو إلى عقد اجتماع، مع كل المخاطر التي قد تترتب عليه. وكان قائدا الجيشين بعيدين عن بعضهما البعض بمسافة أربعين ميلا بحريا فقط، ولم يكونوا على علم بموقع، أو نوايا

أو تحركات بعضهما البعض. وكان هناك نقص فى مقدمي الخدمات المطلوبة للوفاء بتلك المهمة، الكشافة، والتدريع، وتقييم سلاح الفرسان، على كلا الجانبين. وكان جميع الجنود فى جيتيسبورغ يعلمون أن جيب ستيوارت، قائد سلاح الفرسان التابع للي، قد فشل فى المهمة الموكلة له، وتجول على غير هدى على ما أصبح شيئًا أكثر من مجرد مزحة مربكة وراء خطوط الاتحاد، وانقطع اتصاله تماما مع لي منذ بداية الحملة.

ولم تتم مناقشة عدم المساواة فى سلاح الفرسان الخاص بالاتحاد، والذي تولى القيادة ببساطة بعد ستيوارت. ابتعد لي، لأكثر من أسبوعين، تماما عن الأنظار، وعبر وادي شيناندواه، ثم سار على هذا الطريق الواسع المفتوح شمالا حيث تغير الاسم إلى وادي كمبرلاند، وكانت سلسلة الجبال من الشرق تعمل كدرع له طوال الوقت. كان موقعه غامضًا إلى الشمال حيث كان موقع جيش بوتوماك هو المكان المفضل للي. وباختصار، كان كلا الجيشين، والمشاة، والمدفعية، والمعدات، على بعد أربعين ميلا من بعضها البعض، ولا يعرف أي منهما ذلك. ويمكن تحليل لي خلال القيادة، وفشله فى جيتيسبورغ، كنقطة انطلاق لفهم لماذا فشل.

كان انتصار الكونفدرالية فى شنسلورسفيل ، المعركة التي شاركت فيها فى أوائل مايو، بتكلفة باهظة: وفاة الأسطوري ستون وول جاكسون. لمدة عام تقريبا، تم تقسيم جيش لى إلى فيلقين، من أربعة أو خمسة كتائب لكل منهما. وكانت وحدات جاكسون تميل إلى أن تكون الجسم فى المناورة، فى حين كانت وحدات لونغستريت هي السندان، وحدة ثقيلة عملت على تثبيت الموقف فى حين قفز جاكسون إلى الجناح. وكما كان باتون بالنسبة لبرادلي، كان جاكسون بالنسبة للي. لكن جاكسون قد مات، وعبر الأشهر الستة الماضية سقط العديد من قائدي الألوية والفرق الجيدين كذلك. ولم يسقط الجنرالات فقط. خاض لي معاركه، فى بعض الأحيان، بروح مخيفة وعدوانية لا يمكن السيطرة عليها.

وكانت التكلفة باهظةً. من شبه الجزيرة إلى شنسلورسفيل، صمد جيش فرجينيا الشمالية حيث فقد حوالي ثمانين ألف رجل ما بين قتلى، وجرحى وأسرى. ومن خلال الأرقام، فهناك أكثر من 100 فى المئة من الخسائر. وأصيب الكثير من هؤلاء المذكورين بجروح طفيفة وتم مبادلتهم بالأسرى الذين عادوا إلى الصفوف، ولكن عددًا كبيرًا جدا من أفضل جنود لي دفنوا فى مكان ما بين جيمس وبوتوماك.

وكانت الخسارة فادحة حتى إن الجنوب، مع خمس السكان من الذكور البيض، لم يجد من يجندهم، أما أنتيتام أو جبل الأرز فقد خسروا احتياطيًّا كبيرًا من الأمريكيين من أصل أفريقي فى الشمال. وعرف لي أنه إذا ذهب إلى هذه الحملة، والتي عرفت فى نهاية المطاف باسم جيتيسبورغ، فإن لديه القوة البشرية لمعركة أخرى جيدة، وهي المعركة التي يجب أن تحل الصراع بوضوح، وإلا فإن النزيف من شأنه أن يصل إلى نتيجة لا مفر منها.

وأيضا، كانت هناك حاجة لانتصار، انتظار ساحق فى الشرق، لتعويض ما اعتبر هزيمة لا مفر منها فى الغرب فى فيكسبورغ المحاصرة. ومع وفاة جاكسون ، قرر لي إعادة تنظيم جيشه إلى ثلاث فرق. الفريق الأول فى ونغستري. وكان فريق بيت عاملا من العوامل المعروفة فى القيادة، ربما نظرا "للتباطؤ" وفقا للبعض، ولكنه كان منظم تنظيما جيدا، ومنهجيا وعلى درجة عالية من التدريب فى أية معركة يقودها لي. وهناك اثنان من قادة الفرق العسكرية الجديدة، ريتشارد "ديك" إيويل، وأمبروز ب. هيل. وكان ديك قائد الفرقة الرائعة تحت قيادة جاكسون.

وكان هو المختار، وأوصى به لتنفيذ هذه الأوامر. ومع ذلك، فقد إيويل إحدى ساقيه فى معركة ماناساس الثانية، وهو الجرح الذي قتله تقريبا، وكان بطيئا للتعافي. وعلى الرغم من الطاعة والخنوع لجاكسون ، فقد كان يمثل نكدا للآخرين، وقد أفقده الجرح روحه القتالية وقدرته على القيادة. وكان قائد الفيلق الجديد الآخر هو هيل. وقد اشتهر بروحه الهجومية. وقد أنقذت "كتيبته الخفيفة" اليوم فى أنتيتام بعد الاضطرار للتحرك بضعف السرعة لما يقرب من اثني عشر ميلا، وتوقع لي أن هذا سيجلب له فى الواقع منصبه الجديد كقائد لسلاح الفرسان المشاة.

وقد اختار الطريق الخاطئ، الخاطئ بشكل مأساوي. كان هيل يحتضر من مرض الزهري، والذي أصيب به على الأرجح من أيامه الأولى فى الغرب أو فى المكسيك. بدأ هيل ينزلق إلى مرحلة مأساوية من هذا المرض، والتي يمكن أن تتجلى بطرق لا تعد ولا تحصى، وبعضها تشمل التقلبات المزاجية العنيفة. وبحلول منتصف عام 1863، كان قائد الفرقة الرائعة من عام 1862 على الخطوات الأولى من المنحدر النهائي.

وبعد أن بدأت الحملة تتحرك نحو ذروتها، سقط ثلث فرسان لي. وكان التاريخ فى ذلك الوقت صامتا بشكل مثير للاهتمام حول دور هيل، أو عدم وجود دور له، فى جيتيسبورغ. وكان ذلك جزءا من القانون الفيكتوري بعدم مناقشة مثل هذه الأمور. وكان هيل مريضا، وبحلول منتصف النهار من اليوم الأول من المعركة تم إعفاؤه من القيادة. وكان سيقاتل مرة أخرى ويموت فى معركة فى الأسبوع الأخير من الحرب، وليس كضحية فى المعركة، ولكن بدلا من ذلك، قد يقول البعض إنه "انتحار". وعندما حاصره جنود الاتحاد وطلبوا منه الاستسلام، ابتسم ابتسامة عريضة وحاول الهروب من الفخ، حتى تم رميه بالرصاص، وبالتالي حصل على ميتة مشرِّفة ومجد.

وتأثيره، بغض النظر عن مرضه، كان فى الواقع عميقًا مع جاكسون ولي، وفي الساعات الأخيرة عندما كانوا فى عقولهم، كانوا مرة أخرى فى الميدان، نادى كلاهما بصوت عال على هيل للمضي قدما. ولكن لم يكن له وجود فى جيتيسبورغ. وهكذا، فى ذلك المساء فى 28 يونيو 1863، كان لدى الجنرال لي اثنان من قادة فيالق الفرسان اللذان كانا عديميّ الفائدة، واختفى أحد قادة كتيبة الفرسان ببساطة ومن الواضح أنه فشل فى مهمته لتغطية الجيش وإبلاغه بالتحركات الشمالية.

وربما كان يجب أن يحدث هذا، قبل إطلاق الطلقة الأولى فى جيتيسبورغ. وفي مساء يوم 28 يونيو وقعت هناك الحادثة الشهيرة وهي وصول الجاسوس الهاوي. ولا يعرف سوى القليل تاريخيا عن الرجل الذي يدعى هاريسون. كان ممثلا، ومواليا للجنوب، وتم التعاقد معه على ما يبدو من قبل لونغستريت للخروج وجمع المعلومات فى بداية الحملة. والسبب فى شعور بيت بضرورة إحضاره لفعل ذلك لا يزال يعد لغزا. وبغض النظر عن الدافع، فقد كان هناك نقص محزن فى جيش الكونفدرالية- منظومة جيدة التنظيم لجمع المعلومات الاستخباراتية. وحتى وقت قريب جدا، كان لدى هؤلاء الذين يقاتلون فى الزي الرسمي نفور بالنسبة لأولئك الذين بدون زي رسمي- الجواسيس أو من يقومون بتقديم المشروبات فى حانة الضباط، أو هاريسون نفسه، الذي كان يتصرف مثل زوج يبحث عن زوجته الهاربة، وبالتالي أصبح محل ازدراء من الجميع. وفي ثقافة العصر الفيكتوري، كان هاريسون أقل احتراما لأنه كان ممثلاً. واليوم، فيعتبر مثل هؤلاء الناس، بشكل غريب، من قبل الكثيرين أبطالا- حتى فوق لينكولن ولي.

وكان هذا الممثل هاريسون هو الذي جلب لونغستريت ولي الأخبار بأن جيش بوتوماك لم يكن عالقا فى مواقع دفاعية بالقرب من واشنطن ولكنه كان يسير إلى الشمال، تماما فى ولاية ماريلاند، وفي يوم آخر، كانت عناصره تسير إلى ولاية بنسلفانيا. وجاء الخبر بمثابة صدمة للي. وتماما مثلما حدث قبل معركة أنتيتام، انتشر الجيش فى ولاية فرجينيا الشمالية عبر عدة آلاف من الأميال المربعة من الأرض. وكانت هناك عدة كتائب أبعد من الشمال والشرق، وكانوا يتسابقون نحو نهر سسكويهانا فى هاريسبورغ ورايتسفيل فى محاولة يائسة للاستيلاء على الجسور عبر هذا النهر. وتفرقت وحدات أخرى، وكانت تجوب الأرض بحثا عن الطعام للرجال الذين ساروا على حصص قصيرة لعدة أشهر، وأطعموا خيولهم على العشب الجاف فى فصل الصيف. وإذا كان هاريسون على حق، فإن جيش بوتوماك كان يمكن أن يعسكر فى المنتصف، وربما ينتشر كفيلق واحد أو أكثر، ويدمرهم قبل أن يتمكن لي من الرد. ومع ذلك، فعلى الجانب الآخر من المعادلة، كانت هناك نظرة هجومية من قبل هاريسون. وإذا كان جيش بوتوماك قد غامر بالفعل بالسير عدة أميال إلى الشمال من المدينة، فربما كانت هناك فرصة لهزيمة ساحقة.

وإذا كان من الممكن جلب خصمهم للمعركة وتحطيمه، فلن تكون هناك أية فرصة للهروب، كما كان الحال بعد معركتي ماناساس الأولى والثانية. وكانوا قد انكمشوا فى نهاية حملة شبه الجزيرة، وانسحبوا إلى غطاء من الدروع الحديدية وانتظروا سفن النقل. وربما تعني هزيمة جيش بوتوماك فى بنسلفانيا فقط الهزيمة الكاملة والمثل الأعلى، والسعي وراء الكأس المقدسة من قبل الجنرالات عبر التاريخ، أو معركة القرار، أو معركة الإبادة.

وفي وست بوينت ، حيث كان لي يحمل أفضل الرتب، ثم عاد بعد ذلك كمشرف، وخاض معركة إبادة واحدة خلال قيادته للجيش. كان نابليون فى أوسترليتز قد أنهى حربا وبالتالي، فقد حدث نفس الشيء كما فعل ولينغتون فى واترلو. وقد سادت مدرسة نابليون الفكرية، سواء من حيث التكتيك والاستراتيجية، فى ويست بوينت. وكان كبير المدربين هناك عاشقًا للمؤرخ الفرنسي جوميني، والتي اعتبرت أعماله هي الكلمة الفاصلة حول كيفية خوض المعركة وكيفية الفوز فى الحرب. لذلك، استنادا إلى تقرير لجيش فرجينيا الشمالية فى كاشتاون، تم استخدام موقف تكتيكي ممتاز فقط على الجانب الشرقي من سلسلة جبال الجنوب.

وقد وفرت كاشتاون موقعًا دفاعيًا رائعًا أيضا، حيث كان يمكن أن يبقى القطار اللوجستي التابع للكونفدرالية على الجانب الآخر من سلسلة الجبال فى أمان. وإذا تركز جيش فرجينيا الشمالية فى كاشتاون، على بعد عشرة أميال إلى الشمال الغربي من جيتيسبورغ، فكان يمكنهم انتظار ميد أن يأتي إلى معركة، أو شن التحرك الهجومي التالي بثقة.

ومن هنا، فقد كان ينبغي أن يكون هناك وقت للتقييم الذاتي، أو كما أسميه أنا والمؤلف المشارك فى التاريخ البديل لجيتيسبورغ لدينا "لحظة عيد الغطاس للي". لماذا لم يكن هناك تحقيق من قبل هذا القائد القادر فما يلي: هو كان يتنقل بجيشه كله بناء على تقرير تجسس من جاسوس هاوي. كيف فشل هيكل قيادته فى إجباره على مثل هذا القرار؟ السؤال الثاني ينبع تلقائيًا من إرسالهم إلى بروسيا، حيث وصلوا لساحة المعركة لسحق الجناح الأيسر لولينغتون. وبدلا من ذلك، كان البروسيون هم الذين وصلوا لسحق نابليون. أين كان ستيوارت؟ على أقل تقدير، يجب أن يكون قد تم إرسال أكثر من عشرة فرسان لإلقاء القبض عليه- فى الواقع، لإلقاء القبض عليه قبل أيام، والتحقيق معه، ثم إطلاق النار عليه.

وقد كان اثنان من قادة الفرق العسكرية الثلاثة، فى تلك اللحظة، من نوعية مشكوك فيها. أحدهم كان مريضا ولم يتحدث عن مثل هذه الأمور، لكنه كان لا يزال مؤثرا. والآخر لاحظ البعض بالفعل أنه ضعيف نوعا ما فى ساحة المعركة، وكان جديدًا فى مهمته وبحاجة إلى توجيه دقيق فى منصبه الجديد كقائد. وإذا كان هناك شيء مثل عيد الغطاس، فإن هذا كان يمكن أن يقود لي إلى استنتاج مذهل: هل أنا حقا أقود جيشي. ماذا كان يمكن فعله قبل أن تحمل كلمة "جيتيسبورغ" فى طياتها الكثير من المعاني؟ الإجابة السلبية هي: ربما إعادة تنظيم الجيش هنا وهناك.

ربما ليس بالضرورة العودة لاثنين من الفيالق، أو حتى إقالة هيل أو إيويل، ولكن بالتأكيد فهم أكثر وضوحا وأقرب مما كان يجب أن يقوله لي لمرؤوسيه المباشرين. هناك أسطورة سيطرت على عقل لي لأكثر من 140 عاما، أسطورة أن منتقدي تاريخي البديل يهربون بسرعة ولا يستطيعون الصمود ... أسطورة لي كقائد مجامل فى الميدان، الرجل الذي كان دائما "يقدم اقتراحات" بدلا من توجيه الأوامر، الرجل الذي لم يكن حساسا أبدا تجاه الإساءة، حتى لو كانت الإساءة موجهة لمعركة خسرها وخسرتها الأمة. هراء.

نعود إلى روايات شهود العيان حول لي فى خضم المعركة على العديد من ساحات المعارك الأخرى. فى أنتيتام ، قام بنفسه بتنظيم الفارين من الأفراد ودفعهم مرة أخرى إلى خط القتال، والخروج من أزمة إلى أخرى فى ذلك اليوم، وإعطاء أوامر مباشرة من أجل سد الثغرات فى الخطوط. وفي سالم تشيرش، هاجم بشراسة قادة الألوية وموظفيه لعدم تنفيذ الأوامر.

وهذا الرجل فى الواقع، فى عصره، كان يمكن أن يكون باتون إذا دعت الحاجة إلى ذلك. ولم يكن باستطاعة رجل رقيق ومؤدب أن يقود مثل هذا الجيش القوي، والشجاع، والمنتصر، إن لم يكن مخلوقا من الصلب. لماذا لم يتصرف لي بقوة أكبر فى الأيام الثلاثة قبل المعركة؟ نحن لن نعرف أبدا. نعم كان لي يعاني مما يبدو أنه مرض معتدل فى الشريان التاجي فى فبراير 1863، لكنه قاتل فى شنسلورسفيل بروح شرسة وجنونية بعد بضعة أشهر فقط، وكان سيستمر فى القيام بذلك لبقية الحرب. إذا كان أي شيء، هناك دائما إشارة إلى طاقته التي لا تنضب، وصولا إلى اليوم الأخير من الحرب. ربما "شكوى الجنود" أحبطته وأضعفت روحه المعنوية.

كانت هناك العديد من الغرائب خلال الحملة حيث أصيب الرجال بالإسهال بسبب الإفراط فى أكل الخوخ، والكرز، والذرة الحلوة التي لم تنضج بعد. وهناك إيحاء بأن لي ربما كان يعاني من هذا خلال المعركة. ومرة أخرى، فى أية لحظة فى تلك الحرب، مع مستوى صحي مشكوك فيه، كانت نسبة كبيرة من الجيش وقادته يعانون من قرص البراغيث، ومع ذلك فقد أدوا واجبهم بقوة. وما لم يتم وضعه بشكل مسطح على ظهره، فقد كان يمكنه أن يستمر فى القيادة. وهكذا بدأ انتقاله نحو كاشتاون، لكنه لم يسأل نفسه بصدق، "هل أنا مستعد للمعركة؟ هل هذا الجيش مستعد للمعركة؟"

على بعد أربعين ميلا إلى الجنوب من لي، أصدر جورج ميد أول قرار له، حيث كان زمام القيادة فى يديه لأكثر قليلا من يوم واحد، وكان قرارا صحيحا. احتفظ بفريق هوكر وخطة هوكر للمسيرة: تقسيم الجيش إلى ثلاثة أجنحة، والمضي قدما على جبهة واسعة يحيط بها من الجهة اليسرى قاعدة جبال الجنوب (مع القوات المتمردة فقط) على الجانب الآخر من هذا الجناح الثالث الذي يغطي الجناح الأيمن لمسافة عشرة أميال أقصى الشرق، قرب وستمنستر، ميريلاند.

وكان سيتم إسقاط الإمدادات المتمثلة فى الأجولة، وتجهيزات المطابخ، والمتعلقات الشخصية فى وستمنستر. تتبع مسار أية حملة فى الحرب الأهلية، وسوف تجد دائما أن نقطة الربط إما خط للسكك الحديدية أو نهر قابل للملاحة فيه. ولم يكن من الممكن نقل الكم الهائل من اللوازم المطلوبة للحرب فى القرن التاسع عشر بأية وسيلة أخرى. وكان خط السكك الحديدية يمتد من وستمنستر مباشرة إلى بالتيمور. وستكون هذه هي نقطة الربط لميد، حتى يقوده تقدمه إلى الشمال للاتصال مع العدو، أو لخطوط السكك الحديدية على امتداد نهر سسكويهانا.

وبعد يوم آخر، مع النظر فى إمكانية المعركة، أرسل ميد اثنين من كبار رجاله للبحث عن "أرض جيدة"، وهما الجنرال وارن والجنرال هانت. وكان هانت قائد المدفعية الاحتياطي. وكشف المسح الذي قاما به موقفًا دفاعيًّا ممتازًا مباشرة إلى الجزء الأمامي من المركز والجناح الشرقي لجيش بوتوماك، وهو الموقف الذي سيصبح "ماذا لو" فى التاريخ- خط بايب كريك. وكان بايب كريك عبارة عن عدد من الممرات المتعرجة، ولكل منها بركة احتياطية وراءها.

وكانت تعتبر نقطة عسكرية مهمة تربط بعضًا من هذه الممرات، وعلى مر السنين، تعرت المنحدرات على جانبي بايب كريك من الأشجار وتحولت إلى مراعٍ واسعة ومفتوحة. كما أنها كانت أرضية وأعدة للقتل. وكان ارتفاع التلال على الجانب الجنوبي يبلغ مئات الأقدام، وكانت تطل على السهول الفيضية من الخور، بعرض عدة مئات من الياردات، ثم تنحدر حتى التلال على الجانب الآخر، وكلها مكشوفة كذلك.

وقد كانت تُعد من أفضل الأراضي للحرب، وإذا تم احتلالها فى الضفة الجنوبية من قبل جيش الاتحاد، فيمكن أن تمكنهم من إبادة لي إذا حاول اقتحامها. وكان التقرير الذي أرسل إلى ميد سريعا وشاملا. كان هذا هو المكان المناسب للمعركة. أرضية جيدة عبر ستة أميال أو نحو ذلك من الجبهة، والجناح الأيمن الذي تحميه تلال حادة ووعرة، والجناح الأيسر المحمي من قبل مستنقع.

وكمكافأة إضافية، كان مستودع الإمداد الرئيسي للجيش، المحطة فى وستمنستر، على بعد ستة أميال. وهذا هو المكان الذي اختاره ميد للمعركة. وكان يبعد 25 ميلا الى الجنوب الشرقي من جيتيسبورغ – 35 ميلاً جنوب شرق المكان الذي اختاره لي للمعركة فى كاشتاون.

وهنا، فى هذه اللحظة، فى صباح يوم 30 يونيو 1863، كانت كل الأشياء لا تزال ممكنة. كان كلا الجنرالين يركزان قواتهما، وكلاهما شعر أن المعركة باتت وشيكة. ومن بين عشرات أسماء الأماكن على الخرائط التي فحصوها، لم تكن الأماكن مثل هايدلبرغ، أو مفرق هانوفر، أو جيتيسبورغ، أو تانيتاون أكثر أهمية من بعضها البعض، ولكنهم عرفوا أن الخصم فى مكان ما "هناك"، فى منطقة ما على مسافة ألف ميل مربع تقريبا. وكان السؤال هو أين؟ كان كلا الجانبين يتسابقان للتركيز، وكلاهما كان يأمل أن تدور المعركة فى الأماكن التي اختاروها. ولم تتحقق رغبات أي منهما.

نعود الآن مرة أخرى إلى ما يعرفه الكثيرون جيدا، وخُلد فى المئات من الروايات، وفيلم واحد، يقوم أساسا على الخيال. من الجناح الأيمن، أرسل ميد البصاصين، وهي كتيبة خفيفة من الفرسان بقيادة جون بوفورد. ولدى وصوله فى جيتيسبورغ فى وقت متأخر بعد ظهر يوم 30 يونيو، اشتبكوا تقريبا مع لواء من المشاة التابعة للكونفدرالية فى ولاية كارولينا الشمالية، بقيادة جيمس بيتيجرو، والذي انسحب إلى الغرب مباشرة من جيتيسبورغ وأرسل تقريرا يفيد بأنه يعتقد أنه أجرى اتصالا مع العدو. وخلافا للأسطورة فى رواية شارا ، وفي مساء يوم 30 يونيو، لم يتجول جون بوفورد لتقديم تصريحات متعمقة حول كيف كانت الأرض هناك جيدة، وأنها هي المكان المناسب للصمود والموت حتى آخر رجل. وأدركت القيادة أخيرا كيف كانت هذه الأرض السحرية جيدة، وقاموا بتحديد المواقع إلى الغرب والشمال من جيتيسبورغ، وتوقعوا أن المعركة ستبدأ فى الفجر، وانتظروا الأوامر. وكان الاشتباك بين فرقة الفرسان بقيادة جون بوفورد وكتيبة المشاة المخضرمين بقيادة هاري هث من الكونفدرالية الشرارة الأولى لبدء معركة جيتيسبورغ على بعد ميل واحد إلى الغرب من البلدة.

ومع ذلك لم تكن هذه المرحلة من المعركة دموية، ولآخر رجل ولآخر رصاصة صمدت قوات الاتحاد كما صورت فى فيلم جيتيسبورغ أو فى رواية شارا. وفي الواقع، تكبدت قوات بوفورد أقل من 10 فى المئة من الإصابات بشكل عام، وهي تعتبر نسبة ضئيلة بالمقارنة مع الخسائر المروعة التي تكبدتها الوحدات الأخرى خلال ثلاثة أيام من القتال، وهذا يدل على أنه بالرغم من صعوبة الأرض، فلم تكن المعركة غرب المدينة ملحمة. ولكن فى تلك اللحظة، كانت جيتيسبورغ وكأنها دوامة تبدأ فى التشكيل. وعلى جانب الكونفدرالية، اشتبك بيتيجرو

أولا على مستوى اللواء، فقط ليكتشف أن ما كان يتوقع أنه سيكون قوة خفيفة من عدد قليل من أفواج الفرسان المدعومة بقوات المشاة كانوا أقوى قليلا.

وقد أرسل إلى الكتيبة طلبا للدعم. وهكذا، حتى جاء هاري هث، الذي قرر التصرف ضمن حدود قائد فرقة لجيش عدواني جدا، والاشتباك وإسقاط المقاومة. وكان جيش الاتحاد قد أطلق فيلقه الأول الباسلة تماما بعد الفجر. ولم يندفع بجنون، كما تشير الأسطورة، ولم يشعر باليأس لإنقاذ "الأرض الطيبة". تقدموا على صوت البنادق، قاد رينولدز كتيبة المشاة لفحص الأرض وقال لجون إنه سيطر عليها، وكان هذا ما حدث. وبعد أقل من ثلاثين دقيقة، مات رينولدز عندما كان يقود رجاله فى المعركة، وقتل ما لا يقل عن اثني عشر من قادة الكتائب.

ومن المهم أن نلاحظ أنه على الرغم من أن جون أمر الفيلق الأول والفيلق الحادي عشر بالذهاب إلى جيتيسبورغ، فقد أمر الفيلق الثالث بقيادة دان سيكل بالبقاء فى إميتسبورغ، على بعد عشرة أميال إلى الجنوب الغربي من جيتيسبورغ. وإذا كان هذا فى الواقع اندفاعًا جنونيًّا لإنقاذ "الأرض الطيبة"، كما ذكرت الروايات والفيلم، فكان سيتم توجيه الأوامر للفيلق الثالث بالتأكيد للتقدم بأقصى سرعة ممكنة. لماذا لم يفعلون؟ لأن جون لم يكن متأكدا مما إذا كان سيشتبك مع أحد أجنحة جيش الكونفدرالية أم لا. وربما كانت هذه خدعة لتوجيهه شمالا، فى حين جاء الهجوم "الحقيقي" عبر الممر الجبلي إلى الغرب من إميتسبورغ.

وإذا كان الأمر كذلك وكان رينولدز فى الواقع قد "طوَّر الوضع"، كما سماه ميد متابعة، أو انتظارًا، أو تراجعًا فإنه يكون قد أغرى لي للتوجه إلى خط بايب كريك. ومن هذه السيناريوهات الثلاثة، فى وقت متأخر من منتصف النهار كان ميد لا يزال يتجه نحو استدراج ثوار الجنوب ضد الخط الدفاعي الذي تم اختياره. ولم تكن جيتيسبورغ مركز الكون، ولكنها كانت المكان الذي يجب السيطرة عليه، وإلا سوف تخسر الحرب. وعلى جانب الكونفدرالية كان التفكير نفسه. كان لي لا يزال يفكر فى استدراج ميد أبعد شمالا، نحو كاشتاون.

وأي شخص تقريبًا لديه معرفة عابرة عن هذه المعركة سيعرف نتائج هذا اليوم الأول. تم صد هث من قبل الفيلق الأول بقيادة رينولدز. وقد أرسل للفيلق الثاني بقيادة بندر للمساعدة. وعن طريق الصدفة المحضة، تدفقت المزيد من الفيالق من الشمال والشمال الشرقي نحو جيتيسبورغ. وبعيدا إلى الشمال الشرقي كان يتمركز الفيلق المخضرم بقيادة إيرلي وعلى

مقربة منهم كان يتمركز فيلق رودس. لكن أوامرهم فى صباح ذلك اليوم كانت فعلا تتحرك نحو التركيز على كاشتاون، عن طريق جيتيسبورغ. ولكن الآن هم يسيرون على صوت المدافع. ولم يكن النضال طوال اليوم مرا.

وكانت الغالبية العظمى من الرجال فى هذه الوحدات من الألمان فى الواقع، وليس الهولنديين، وفي منتصف القرن التاسع عشر لم يكتسب الألمان بعدُ سمعة المحاربين. كانوا أصحاب محال تجارية، وعلماء، ومزارعين، ويشربون البيرة. وإذا أردت إقامة سباق بين الناس الذين يمكنهم القتال، قلد الفرنسيين، الذين يرتدون زيهم العسكري طوال فترة الحرب.

وفي الواقع، كانت المصطلحات الفنية لمعظم الأوامر والمناورات باللغة الفرنسية. وكانت هناك نكات حتى فى الجيش حول كيف يقوم الألمان بأداء التحية، وكان المهرج إما يرفع كلتا يديه أو يظهر مؤخرته. (استغرق الأمر بعض الوقت حتى تتغير هذه المواقف المجتمعية نحو الأفضل!) وكان المكان الذي كلفوا به هو سهلاً مفتوحًا وواسعًا، فى الزاوية اليمنى لتوفير وضع أفضل للفيلق الأول وانتهاك أساسي لتكتيكات الانتشار: لم تعرض زاويتك اليمنى أبدا للخصم، لأنه يمكن أن يضرب على اثنين من الأجنحة بالإضافة إلى المقدمة، وبالتالي سحق القمة.

لماذا انتشر جيش الاتحاد بهذه الطريقة؟ لأن هذا كان لا يزال اشتباكا تجريبيا حيث كان كلا الجانبين يجس نبض بعضهما البعض، والشعور بوضع ممتاز، وفي تلك اللحظة، يأتي كلا الجناحين، وعند القيام بذلك، سحق قمة الزاوية اليمنى فى موقف الاتحاد. بدأ قادة الفرق الفردية، إيرلي ورودس، فى خوض المعركة. وصل لي أخيرا إلى الميدان، وأدرك أن المصير قد تحدد بالفعل وأن أي أمل فى استدراج خصمه لمهاجمته فى وضع استعداد فى كاشتاون قد انتهى. ثم أمر جميع القوات بالاشتباك. والآن حمي وطيس المعركة حقا، ليس معركة استمرت يوما كاملا حتى آخر رجل للسيطرة على "الأرض الطيبة" وكسب الوقت لميد حتى يأتي، ولكن معركة شرسة بمعنى الكلمة.

وكانت هناك فى الواقع لحظةٌ من التردد على كلا الجانبين، ولم يكن أحدهما متيقنا، حتى اشتبك لي أخيرا. وبدأت القمة عند نقطة خط الاتحاد، التقاطع بين الفيلق الأول والحادي عشر، فى الانهيار. وتم ضرب الجهة اليمنى من الفيلق الحادي عشر، المعلقة فى الجو دون أي أرض جيدة للدفاع، بشدة من قبل إيرلي وبدأت فى الانهيار، ومن ثم تقطعت إربا. وفي آخر

المطاف هاجم اللواء آيرون الذي لا يعرف الخوف عدة ألوية من قوات الكونفدرالية على تل سيمتري هيل. وقتل أو جرح بعضهم، ولكن معظمهم اقتيدوا كأسرى تقريبا 7 من كل 9000 رجل. وكانت خسائر الكونفدرالية لتحقيق هذا الانتصار خمسة آلاف على الأقل، وربما ما يصل إلى سبعة آلاف من الرجال.

وقد بدأت جيتيسبورغ بداية دموية. والآن جاء دور "ماذا لو". وفي المناقشة التاريخية حول جيتيسبورغ، بدأ الجدال فى سبعينيات القرن التاسع عشر، مع اثنين من "ماذا لو" العظيمة. وقد أثير النقاش من خلال تبادل حاد على نحو متزايد من الرسائل والتعليقات العامة بين لونغستريت وما تم تحديده على أنها مجموعة مناصرة للي. ووصل هذا النقاش إلى مرحلة عاصفة عندما نشرت مجلة " القرن " فى ثمانينات القرن التاسع عشر، للاحتفال بالذكرى العشرين للحرب، مقالات من أي وجميع المشاركين من كل حملة من عام 1861 حتى عام 1865.

كانت مجلة القرن هي مجلة الحياة فى القرن التاسع عشر. وقد لاقت هذه السلسلة من المقالات عن الحرب، والتي كانت تصدر شهريا لمدة أربع سنوات، شعبية كبيرة وتم إعادة طبعها فى وقت لاحق فى أربعة مجلدات تحت عنوان "الحرب الأهلية". وقد لاقى التسويق الرائع نجاحا باهرا. وقد حظيت بشعبية كبيرة، فى الحقيقة، حتى إن هذه المجلدات لا تزال تطبع حتى اليوم وموجودة فى مكتبة أي طالب يدرس تاريخ الحرب الأهلية. وكانت المقالات تطبع فى ذكرى كل معركة، وكان ينتظرها الجميع بفارغ الصبر وبشكل خاص هؤلاء الذين كانوا فى الواقع هناك. وكان تاريخ النشر نفسه بعد عشرين عاما من الحرب مناسبا جدا.

كانت الذكريات لا تزال ماثلة، وفي كثير من الحالات، لا تزال مؤلمة. ومع لم شمل الولايات المتحدة بالكاد كدولة، فإنه من اللافت أن مجلة وطنية ستقوم بنشر مذكرات من الجانبين معا. وهناك شهامة فيكتورية رائعة فى العديد من المقالات، سواء كانت مكتوبة بهذه الطريقة فى الأصل أو تم تحريرها، وغالبا ما تكون هناك مجاملات حول شجاعة ونبل المعارضين. وفي نواحٍ كثيرة، فقد ساعدت هذه السلسلة فعلا فى تضميد جراح الانقسام، حيث لا يمكن للقائد المخضرم أن ينكس رأسه ويبتسم عندما يدعوه جنرال منافس بأنه شجاع وشهم؟ ولكن كان هناك معنى ضمني رائع، واستخدام دقيق للغة، وصب منحرف من اللوم فى أية مدينة فى الشمال أو الجنوب.

وكان قدامى المحاربين يسارعون بالمجيء مع رفاقهم، وأطفالهم، وأصدقائهم فى هذا اليوم وكانوا حريصين على انتزاع الطبعات من الاشتراكات الخاصة بهم. وبمجرد أن يفتحوها ويقرءوها كانوا يصدرون "اللعنات" والشتائم الأكثر قتامة فى غضون دقائق. ومن العجب أن مجلة القرن لم تتسبب فى حدوث حرب أهلية ثانية، بين "الرفاق" على نفس الجانب.

وكان هناك جدل بما فيه الكفاية لجانب الاتحاد لابتلاع الأمر كذلك. كان الجنرال سيكلز محقًّا. وإذا استمع له ميد فقط، لكان تم صد هجوم لونغستريت فى اليوم الثاني قبل أن يبدأ. وقد فشل ميد فشلا ذريعا فى مطاردة العدو بعد انتصاره. واختلف آخرن عن الفشل الذريع للفيلق الحادي عشر، وحاول الجميع لومهم على أفعالهم، أو أفعال وحدتهم، والذي كان يمكن أن يكسبهم المعركة، وبالتالي الحرب. وإذا نظرنا إلى الوراء لعشرين عاما، فإن كل من كانوا هناك لم يكونوا يعرفون حقا أن هناك معركة من شأنها أن تقرر مصير الحرب كلها. لذلك كل أمر، وكل مناورة، وكل خطوة لكل رجل، وصولا إلى أدنى رتبة فى الجيش، يحمل فى طياته مصير الأمة، وعبء التاريخ، أو الشرف أو العار للجيل التالي.

دعونا ننظر فى القياس الحديث للأسطورة فى المقابل: أوماها بيتش . خصصت لها مئات من الكتب وآلاف المقالات، وفيلما سينمائيًا ومسلسلاً تليفزيونيًا. ومع ذلك، عندما حدث ذلك، وعندما تم إنزال الطائرات الشراعية " سي 47 " ، فكروا بأنهم "قلة سعيدة" واختارهم القدر ليكون عصابة من الإخوة هذا اليوم لإنقاذ العالم؟ كان هناك بالفعل لحظات عابرة من مثل هذه الأفكار، وخصوصا عندما شهد الرجال الحجم الهائل للقوات الغازية، ومشهد الآلاف من السفن والطائرات المتوجهة نحو نورماندي- لكن متى جاءت صدمة المعركة؟ كما تم تحليله مرارا وتكرارا من قبل المؤرخين، مثل كيغان وغيره، فى لحظة المعركة كان جميع الرجال تقريبا يركزون فى تلك اللحظة ولم يهتموا بالمفاهيم العليا والمثل العليا، أو مكانهم فى التاريخ فى المستقبل. ويجب أن أضيف أن هذا كتبه أحد المؤلفين الذي ساعد على تأليف كتاب عن شاطئ " أوماها " مع أحد المحاربين القدامى الذي كان هناك، ووقف على هذا الشاطئ، والمقبرة، ونعم، بكى. وفي تلك اللحظة، يجب على الفرد أن يركز على كيف يبقى على قيد الحياة للثلاثين ثانية المقبلة.

وهذا لا يجوز أبدا النظر إليه بأية حال من الأحوال على أنه تشويه لسمعة الأبطال، حيث إنهم جميعا كانوا أبطال ذلك اليوم فى أوماها، أو فى ذلك اليوم منذ فترة طويلة فى جيتيسبورغ ، ولكن يجب أن نعتقد أن مثل هؤلاء الرجال قد تجاوزوا الأزمة، والتوتر، واللحظة الرهيبة وفكروا فى المثل العليا. وفي وقت لاحق فقط، أدركت أهمية ذلك اليوم، ومع ذلك، فقد كانت هناك حاجة إلى تبرير. وبعد عشرين عاما، أصبحت المعركة أسطورة.

وكان الجميع يتحدثون بأسمى المثل الممكنة، سواء من جانب أولئك الذين كانوا هناك، وربما الأهم، من قبل الأجيال اللاحقة الذين ينظرون إلى الذين كانوا هناك كرجال يحسدهم الآخرون. لذلك عندما صدرت مجلة القرن استطردت فى مدح الرجال الشجعان، وكان المؤرخون يعتبرونها المصادر الأولية، وكتبت المقالات من قبل المشاركين الفعليين. ولكن مر الآن عشرون عاما.

لقد خسروا المعركة. وبالتالي، فإن هذا يعني أن مشيئة الرب قد كانت ضدهم. ولكن إذا كانت قضيتهم فقط لماذا خسروا؟ فإن الجواب يجب أن يكون أن الله لديه خطة أكبر لأمريكا لذلك، كان من الشرف خسران الحرب، ما دام كل رجل قد واجه المعركة بشجاعة، وبالتالي أثبت رجولته و / أو قيادته. كان هذا عصر استعراض "العضلات المسيحية،" للرجل الحقيقي المتدين والقوي. كانت الحرب مبررة كاختبار للرجولة، وعلى هذا النحو كانت قدوة للشرف والشجاعة للأجيال القادمة. ولكن لماذا خسر لي؟ لأنه كان رجلا نبيلا. هو لم يعط أبدا أوامر مباشرة، ولكنها كانت عبارة عن اقتراحات من نبيل لزميل نبيل. "جنرال إيويل، هل لي أن أقترح عليك أن تنظر فى التمركز على هذا التل"، وهذا عكس "تمركز على هذا التل أو أنني سأبحث عن غيرك". وعلى النقيض من أكثر الملتزمين جميعا فى صفوف الكونفدرالية، لوحظ أن جاكسون نفسه كان بلا هوادة، حتى فى نهجه العنيف فى المعركة والقيادة.

السماء تنقذ أي رجل لم ينفذ أوامره بالحرف. كان معارضو لي حريصين على قبول نظرية أنه خسر لأنه كان رجلا نبيلا جدا. وهذا خلق عدوا نبيلا والذي اختبروا رجولتهم فى مقابل رجولته. وعلى الرغم من أن لي كان قد خسر، لم تعد هذه هي القضية، وأي من الذين تجرءوا على إثارتها كانوا يتلقون وابلا من اللعنات. وكان هذا تقريبا شكلاً من التفكير المزدوج للقول بأن لي لم يخسر معركة فى الواقع. جيتيسبورغ ... حسنا، على الرغم من أنه كان فى القيادة،

كان يجب اعتبار أن الآخرينٍ هم من خسروا المعركة. وهكذا، للعودة إلى الوراء فى نهاية المطاف إلى الأصل أنك تمنع العدو من تحقيق خططه، فيجب أن يكون جيشك سليمًا حتى يمكنك تدمير خصمك أو إجباره على الانسحاب.

لذلك، خسر لي. ويظهر السؤال التالي على السطح تلقائيا. كيف ولماذا؟ لقد كتب الكثير حول هذا الموضوع وحده حتى إن أية محاولة لتصنيفه كله ستكون أقرب إلى المستحيل. وكل تاريخ فرقة نشر يزعم بطريقة أو بأخرى أنه هو الصحيح. وكل جنرال، على كلا الجانبين، إذا نجا، كان سيزعم بطريقة أو بأخرى بأنه كانت اللحظة الحاسمة عندما علموا أن مصير الأمة يعتمد عليهم، وأنهم قد اتخذوا القرار الصائب. ثمة أسطورة شعبية تقول إن تشامبرلين كان هو المسئول فى ليتل راوند توب.

ويمكن وصف هذه اللحظة بالتفصيل بأنها كانت لحظة لا تصدق عند نفاد الذخيرة، أدرك تشامبرلين أنه هناك شيء واحد فقط يجب القيام به: تثبيت الحراب وإطلاقها، مما ينقذ الجناح الأيسر للجيش، وبالتالي الاتحاد فى ذلك اليوم الثاني. صاح تشامبرلين لإطلاق الحراب بصوت مفعم بالحيوية قائلا "أطلقوا الحراب". وقد اقترح البعض أن أمر "أطلقوا الحراب" سُمع بأنه "تراجعوا!" وعادت الفرقة إلى الوراء فى الزاوية اليمنى، وتمحوروا، وعادوا إلى أسفل التل للاحتفال بالمجد الأبدي. ولكن مرة أخرى بالنسبة للسؤال الرئيسي، إذا كان لي قد خسر، فكيف خسر؟ "أطروحة إيويل" للمبتدئين. وهذا يأتي من الحشد المناصر للونغستريث، والذين يرون أنه فقط فى حالة كان إيويل الخجول أكثر قوة فى اليوم الأول وصعد إلى تل سيميتري هيل، كما "اقترح" لي بأدب، وهو الاقتراح الذي كان ينبغي أن يفهم على أنه أمر، فإن جيش الاتحاد ربما كان سيولي الدبر. أمر مثير للسخرية مرة أخرى.

وعبر الحرب كلها، ربما كان الموقف الأفضل للمدفعية أن يقودها جيش بوتوماك وهذه نقطة هامة. لي لم يهبط إلى داخل المدينة فى ذلك المساء ربما لسحب إيويل من ياقته إذا كان يرغب حقا فى الهجوم. وبدلا من ذلك، بقي فى مقره فى منزل صغير فى سيميناري ريدج والآن تأتي الأطروحة الأخرى الكبيرة- أطروحة لونغستريت، وهي "الدوران حول جناحهم الأيمن". وتوجد هنا أرضية جيدة للنقاش، ولكن هذا المؤلف يحافظ على هذا النقاش دائما على أرضية خاطئة.

شارا، فى روايته الملائكة القاتلة، وفي الفيلم القائم على الرواية "جيتيسبورغ"، ذكر أن لونغستريت كان يتحدث عن "الدوران حول الجناح الأيمن". وهذا يعود بالفعل إلى بعض الحقائق التاريخية. ولا توجد ملاحظات حالية من أي اجتماع وقع للقادة خلال الحرب. وكانت التقارير المرفوعة من جانب الكونفدرالية محدودة، ولم تذكر عبارة "الدوران حول الجناح الأيمن" إلا فيما بعد، على الرغم من أن البعض زعم أن لونغستريت قد قال هذا أثناء المعركة. والسؤال الأهم هو ماذا يعني "الدوران حول الجناح الأيمن"؟ هل كان لونغستريت يتحدث فى معنى تكتيكي، وهذا يعني السير ميلاً أو اثنين للأمام، أو خلف ذلك التل؟ عبث مرة أخرى، إذا ما كان المقصود هو معنًى تكتيكيًا. أولا، إما بسبب سوء التخطيط من جانب لي، أو من جانب لونغستريت أو كليهما، عندما أسفرت مسيرة الفيلق عن انطلاق المعركة فى اليوم الثاني، كان ذلك بالفعل فى منتصف الصباح تقريبا. وقد تم فحص الأرض بشكل سيئ. وفي الواقع، اضطر العمود بأكمله ليستدير ويسير لأميال لأنه لم يقم أحد بفحص الطريق لاكتشاف أنها كانت واضحة للعيان من كل من القمم.

ثانيا، كان ما يُسمى الكأس المقدَّسة "للجميع" وهي الإمدادات التي خزنها الاتحاد خلف القمم المستديرة مجرد أُسطورة. وكانت الأربعمائة عربة هذه تحمل إمدادات تكتيكية تكفي لبضعة أيام فى هذا الميدان. وفي الواقع، كان القطار بعرباته الواسعة يحمل الإمدادات لجيش الاتحاد، وكانت أكثر من خمسة آلاف عربة تتوقف على بعد 25 ميلا فى وستمنستر، مع عدة مئات منها تسير كل يوم حيث كان الجيش فى حاجة إليها. والاستيلاء على العربات عن طريق الذهاب قليلا أبعد ناحية اليمين، كما يقول البعض، يفترض أنه قد ترك خزائن الاتحاد فارغة من الحصص والمزيد من الذخيرة. وكان لدى جيش الاتحاد نقطة مهمة: كل أولئك من جانب الكونفدرالية الذين يحلمون حول اجتياح جميع أنحاء القمم المستديرة أو السير عليها، وبالتالي تدمير جيش الاتحاد، كانوا يهملون دائما واحدة من التفاصيل الصغيرة.

وقبل الساعة الرابعة فى اليوم الثاني، كان الفيلق السادس، وهو أكبر سلاح فى جيش الاتحاد، بعد مسيرة ثلاثين ميلا حتى من وراء وستمنستر، قد تقدم إلى مواقف احتياطية وراء القمم المستديرة، تماما عندما بدأ لونغستريت الهجوم. وحتى لو كان لونغستريت قد سار بالفعل حول أو فوق القمم المستديرة، وحتى لو كان تشامبرلين قد تحول وفر فى الجهة الأخرى،

فقد كان مع جيش الاتحاد خمسة عشر ألف رجل إضافي فى الاحتياط. نعم كان المقاتلون متعبين ومحبطين من أن لحظة المجد لم تحن بعد. (إنها متعة رائعة أن تشاهد بعض المعالم للفيلق السادس على ساحة المعركة فى جيتيسبورغ. وقد أصيب عدد قليل من الرجال فى بعض الفيالق خلال وجودهم على القمم، مما ساعد على إنقاذ الاتحاد فى ذلك اليوم). وأي مسيرة تكتيكية حول اليمين ستؤدي إلى نفس النتائج فى نهاية المطاف، وتصد وبعد ذلك توقف زحف الكونفدرالية، وربما تشتبك بالفعل مع الفيلق السادس.

ولكن ماذا عن حملة أوسع بكثير؟ دعونا ننظر فى اليوم الثالث والإمكانات فى اليوم الرابع قبل تحليل ما كان سيحدث مع حملة أوسع نطاقا فى اليوم الثاني. كان اليوم الثالث فى جيتيسبورغ، من جانب الكونفدرالية، هو الكفاح الذي خرج عن نطاق السيطرة من جانب لي. ويشير العديد من المؤرخين بشكل صحيح إلى أن مسئولية بيكيت كانت، فى الواقع، إصدار القرار بالتسوية، ومثل معظم التسويات مع قرار من القيادة فى الحرب، كان قراره رهيبا.

عند الفجر فى اليوم الثالث، سار لي على طول سيميناري ريدج مع لونغستريت ومرؤوسيه. وكان الاقتراح الأولي للي هو أن تتقدم كل فصيلة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار فى وقت واحد- أوسترليتز أو واترلو. وكان لونغستريت ضده بشدة، ونظر بعين أكثر واقعية. وقد تم تمزيق الفصائل الثلاث التي هاجمت فى اليوم الثاني. وعموما فإن قوة الهجوم قد تكبدت خسائر بنسبة 50 فى المئة، وسقط واحد من قادة الفرق الثلاثة، وسقط معظم ضباط اللواء والفرقة كذلك. لذلك جاءت التسوية، وأدى الهجوم الكبير إلى إضراب الفصائل المتبقية، ست فصائل فى المجموع. وبعد ذلك خرج الأمر عن مساره. ولأسباب لم يتم توضيحها بشكل كاف، ذهب إيويل وهاجم بعد الفجر بقليل كولبس هيل ، حتى إن لي ناقش خططًا لهذا اليوم مع لونغستريت.

وكولبس هيل هو اليوم أحد الأجزاء المنسية من ساحة المعركة. والتجول التقليدي بالسيارة اليوم يتجاهل ذلك تماما، لأنه يتجاهل أيضا الخط الذي كان يسير عليه الفيلق الحادي عشر للاتحاد. ولكنه كان مرساةً ضرورية فى الجناح الأيمن للاتحاد وموقفًا دفاعيًّا رائعًا، ومحصنًا بشكل جيد قبل صباح اليوم الثالث. ومع هذا الهجوم، لجأ إيويل لإحدى القلاع وسرعان ما قتل. لذلك، فى نهاية المطاف، قل العدد إلى ثلاث فصائل والتي هاجمت المركز. ثم جاء البيان

الغامض من قبل لي مع احتياطيات إضافية، بمجرد أن هاجمت الفصائل الثلاث مركز خط الاتحاد. وبشكل مأساوي بالنسبة لهؤلاء المشاركين في الهجوم، تكبدت واحدة من الفصائل الثلاث خسائر مروعة في اليوم الأول.

وفي أي جيش في القرن العشرين، فمن المرجح أن تستريح الفصائل، وتستعيد نشاطها وتنظيمها. لكن جيش لي كان من الفيالق التي شاركت في معركة اليوم الأول، في ولاية كارولينا الشمالية، وفقد أكثر من خمسمائة رجل من الثمانمائة رجل. ومن بين الثلاثة مائة المتبقين، فإن أقل من مائة نجوا في المعركة النهائية. وكان هذا هو الفشل النهائي للي في جيتيسبورغ: سوء تقدير لعامل الروح المعنوية على كلا الجانبين. ومن جانبه، افترض أن رجاله سيفعلون ما يؤمروا به، بغض النظر عن الخسارة. ولكن لي أساء تقدير خصومه، وهو الخطأ الذي أشار إليه صن تزو، والكثير من الكتاب الآخرين حول نظريات الحرب، بأنه أسوأ خطأ للجميع: سوء الفهم، أو سوء التقدير، أو التقليل من الروح المعنوية وإرادة عدوك.

وفي كل مجال تقريبا من المعركة، كان لي ورجاله يرون اليانكيز يهربون عندما يتم دفعهم بقوة كافية. وتم ضرب جيش الاتحاد في اليوم الأول، وفر تقريبا في اليوم الثاني، والمنطق يقول الآن إن ثمة هجومًا واحدًا كبيرًا أخيرًا، وهو هجوم مدمر نفسيا عند تقدم الحرس الإمبراطوري في أوسترليتز، من شأنه أن يجعل اليانكيز يفرون. ولكن هذه كانت ولاية بنسلفانيا، وليس ولاية فرجينيا. ومن الصعب للقارئ الأميركي اليوم فهم ما حدث في عام 1863 بالكامل. نعم نحن فخورون بولايتنا.

ولكن هل يمكن المخاطرة بالموت من أجلها؟! إذا ما دعينا للموت في معركة ما، فسوف نقوم بذلك من أجل أمريكا، من أجل الولايات المتحدة الأمريكية. لم تكن الضربة التي عانينا منها في 11 سبتمبر ضربة ضد مدينة نيويورك بل كانت ضربة قوية ضد كل واحد منا. ولكن في عام 1863، بينما كانت القوات تشكل صفوفها، كانت الصيحة "من أجل فرجينيا!" أو "تقدموا إلى أوهايو، تقدموا!" وثمة مثال واحد على ذلك: بمجرد أن عبرت قوات الاتحاد خط مانسون ديكسون، وتركوا ميريلاند (التي كانت من الناحية الفنية ولاية جنوبية)، وعادوا إلى التربة الشمالية، إلى ولاية بنسلفانيا، ولاية كيستون القديمة، رفعت الأعلام، ودقت الطبول، وهللت الفيالق، "ثلاث مرات لبنسلفانيا القديمة!" وبكى أحد الضباط، الذي ولد ونشأ في

ولاية بنسلفانيا، وتحول إلى أحد الرفاق وقال: "أنا لا أظن أن هناك مصيرا أفضل من الموت على أرض ولايتي، والدفاع عن الاتحاد". وتحققت أمنيته لهذا المصير بعد يوم.

وكانت بطانة الجدار فى الزاوية هي من رجال نيويورك، وولاية ماين، ونيو هامبشاير، ونيو جيرسي، وبنسلفانيا. ولفترة طويلة كانوا يستدعون أكثر الذكريات الحقيقية قبل أن يهربوا من المتمردين بينما كانوا يدافعون عن التربة الشمالية. وبناء على هذه المشاعر، تكسب الحروب، ولم يشعر بها لي حتى خسر فى جيتيسبورغ. ولكن هل كان يمكنه أن يفوز؟ نعم، بالطبع، كان يمكنه أن يفوز فى جيتيسبورغ، ولكن الفوز يجب أن يأخذنا بعيدا خارج جيتيسبورغ ويدخلنا فى تفاصيل أنه إذا كان هذا الفيلق قد تحرك إلى اليسار بدلا من اليمين، فربما تغيرت نتيجة المعركة. وبعبارة أخرى، إذا كانت هناك معركة لم يتصرف فيها لي باعتباره لي، فإنها تلك المعركة فى جنوب ولاية بنسلفانيا. دعونا ننسى لي المجامل، وننسى "ماذا لو"، ونذهب إلى شعور أعمق فى المعركة، وسجل لي قبل وبعد المعركة. كان لي سيد الحرب التشغيلية، مع المسيرات الطويلة لمسافة عشرين، أو ثلاثين، أو حتى خمسين ميلا. وقد ذكرنا أن أعظم انتصار للي لم يكن فى معركة شنسلورسفيل، بل كان فى معركة ماناساس الثانية.

فتحت شنسلورسفيل للي طريقا جديدا تماما. وكان الطقس، وإطلاق النار العشوائي من قِبَلِ المدافع، والخلل التكنولوجي هي وحدها من أنقذت لي، أكثر بكثير من الشهامة وتحرك جاكسون بالفيالق. وبدلا من ذلك، كان يجب دراسة معركة ماناساس الثانية أكثر. وتعتبر الأوامر فى المعركة من جانب الاتحاد مربكة للكثيرين اليوم. لم يكن لي يواجه جيشا واحدا فقط. ولكنه كان يواجه جيشين فى الواقع. ولم يستطع الجنرال بوب، الذي تم إرساله لسحب القيادة من ميد، السيطرة أبدا رسميا على كل جيش بوتوماك بالكامل، وبدلا من ذلك قاد جيش فرجينيا، والتشكيلات التي بقت لحراسة واشنطن ، أو الحملة فى وادي شيناندواه بينما كان ماكليلان يتخبط فى شبه الجزيرة. وقد تم استدعاء قوات ماكليلان للتحرك إلى الشمال، وتم تشكيليها لتتحد مع بوب. وقد علم لي أنه يجب التحرك بسرعة لمنع هذا التقاطع وتشكيل قيادة مشتركة. وقد أمر لي جاكسون بالمسيرة الأكثر جرأة فى الحرب.

وبعد أكثر من خمسين ميلا فى يومين، تحت شمس أغسطس الحارقة، وصل جاكسون فى مستودع الإمدادات الشمالي فى مفرق ماناساس، ونهبوه تماما، وأحرقوا ما تبقى، وللمتعة دمر

رجاله كل قاطرة وصلت لأيديهم. ثم اختفوا ببساطة، واختبئوا بعيدا فى خط سكك حديدية مهجور وظلوا ينتظرون لونغستريت، لاتباع نفس الطريق الذي أخذه جاكسون. وكان بوب مرتبكًا ومتخبطًا، ثم مزقه لونغستريت عندما جاء مع جناحه ومؤخرته المكشوفين.

انتهى اليوم الأول مع تراجع الاتحاد من موقف دفاعي هامشي إلى موقف دفاعي رائع. ومن العجب أن لي لم يرى هذا فى مساء اليوم الأول.

تناقش المؤرخون عما إذا كانت الكونفدرالية قد انتصرت فى الحرب. أكد معظم العلماء على أن الاتحاد كان لديه مزايا طويلة الأجل لا يمكن التغلب عليها أكثر من الكونفدرالية من حيث القوة الصناعية والسكانية. أما الكونفدراليون، يجادلون، ويؤخرون الهزيمة فقط. وقد عبر المؤرخ الجنوبى شيلبي فوت عن وجهة نظره بإيجاز قائلا: "أعتقد أن الشمال خاض الحرب بيد واحدة وراء ظهره...أما إذا كان هناك مزيد من الانتصارات الجنوبية، وأكثر بكثير، لكان الشمال استخدم يده الأخرى التي كانت خلف ظهره. لا أعتقد أن الجنوب كان لديه أية فرصة لكسب تلك الحرب. سعت الكونفدرالية للحصول على الاستقلال خلال عهد لينكولن، ولكن بعد سقوط اتلانتا وهزيمة لينكولن لماكليلان فى انتخابات عام 1864، انتهى أي أمل فى تحقيق انتصار سياسي للجنوب. وهنا نجح لينكولن فى الحصول على دعم الدول الحدودية، ودعاة الحرب، والعبيد المحررين وكذلك بريطانيا وفرنسا. وحين تمكن من هزيمة الديمقراطيين ومكليلان، هزم أيضا ذوى الرؤوس النحاسية. كما وجد لينكولن القادة العسكريين مثل جرانت وشيرمان الذين سيستغلون التفوق العددي لجيوش الاتحاد فى المعركة ضد الجيوش الكونفدرالية. انتصر فى الحزب الجنرالات الذين لم يتورعوا عن سفك الدماء، واعتبارا من نهاية عام 1864 وما بعده لم يعد هناك أمل للجنوب.

من ناحية أخرى قال جيمس ماكفرسون : إن تفوق الشمال من ناحية السكان والموارد جعلت فوزه مرجحًا، ولكن لا مفرَّ منه. لم تكن الكونفدرالية فى حاجة لغزو وسيطرة على أراض العدو من أجل الفوز، ولكن فقط كانت فى حاجة لخوض حرب دفاعية لإقناع الشمال بأن تكلفة الفوز كانت كبيرة جدا. أما الشمال فكان بحاجة لقهر وسيطرة على مساحات شاسعة من أراضي العدو، وهزيمة الجيوش الكونفدرالية من أجل الفوز.

كان من المهم أيضا بلاغة لينكولن فى توضيح الغرض الوطني، وكذلك مهارته فى إبقاء الولايات الحدودية مرتبطة بالاتحاد. على الرغم مَن أن نهج لينكولن نحو التحرر كان بطيئا، إلا أن إعلان تحريرَ العبيد كان استخداما فعالا لصلاحيات الرئيس أثناء الحرب.

(16)

" معركة الحفرة " أو " النفق القاتل "

أخطاء التعامل مع تكتيكات الخصوم !

كان صباح يوم 30 من يوليو 1864، وكانت الإمكانية فى ذلك اليوم هو انتهاء حصار بطرسبورغ ، بولاية فرجينيا ، ومعها نهاية الحرب الأهلية. وتم حفر نفق بلغ طوله ما يزيد قليلا على أربعمائة قدم، من خطوط الاتحاد تحت موقع الكونفدرالية. وكان كل شيء فى مكانه لكن تحول الوضع إلى واحدة من المآسي الأكثر فشلا فى الحرب. وقبل شهرين، فى مايو من عام 1864، بدأ الجنرال يوليسيس غرانت فى جيش الاتحاد حملة الربيع فى ولاية فرجينيا، بهدف تدمير جيش الشمال بولاية فرجينيا بقيادة روبرت لي ثم السيطرة على ريتشموند. وما تلا ذلك خلال الأيام الخمسة والأربعين التالية كان أعنف حملة فى التاريخ العسكري الأمريكي، مع تكبد جيش الاتحاد أكثر من سبعين ألف قتيل.

وبعد أسابيع من التحضير، فى 30 يوليو، قامت قوات الاتحاد بتفجير منجم فى قطاع الفيلق التاسع بقيادة الجنرال أمبروز بورنسايد، مما فتح فجوة فى الدفاعات الكونفدرالية فى بطرسبورغ، بولاية فيرجينيا. ومن هذه البداية الملائمة، تدهور كل شيء بسرعة للمهاجمين من جيش الاتحاد. وتدفقت وحدة تلو الأخرى داخل وحول الحفرة، حيث تجول الجنود بارتباك. وقد اعتبر غرانت الهجوم "أتعس مسألة شهدتها فى الحرب". وتعافى جيش الكونفدرالية بسرعة وشن عدة هجمات مضادة بقيادة الجنرال وليام ماهون. وتم سد الفجوة، وتم صد قوات الاتحاد مع خسائر حادة. ونهشوا الجنود السود بقيادة الجنرال إدوارد فيريرو بشكل سيئ. وربما كانت هذه هي أفضل فرصة لغرانت لإنهاء حصار بطرسبورغ. وبدلا من ذلك، استقر الجنود فى الداخل لمدة ثمانية أشهر من حرب الخنادق. وتم إعفاء بورنسايد من القيادة للمرة الأخيرة لدوره فى الانهيار، ولم يعد أبدا إلى القيادة مرة أخرى.

وخلال الحرب الأهلية، كانت بطرسبورغ، بولاية فرجينيا، موقعا هاما للسكك الحديدية، حيث كانت تلتقي أربعة خطوط للسكك الحديدية من الجنوب قبل الاستمرار إلى ريتشموند، بولاية فيرجينيا، العاصمة الكونفدرالية. وكان يتم تسريب معظم الإمدادات إلى جيش لي وإلى مدينة ريتشموند من خلال هذه المنطقة. ونتيجة لذلك، اعتبرها الاتحاد بمثابة "الباب الخلفي" لريتشموند، والتي بدونها سيكون الدفاع عن العاصمة الكونفدرالية مستحيلا. وكانت النتيجة حصار بطرسبورغ (الذي كان فى الواقع حرب خنادق بدلا من حصار حقيقي)، حيث التقت فيه الجيوش على طول سلسلة من المواقع والخنادق المحصنة بطول بلغ أكثر من

20 ميلا (32 كم)، وكانت تمتد من ميناء كولد هاربور القديم والذي كان ساحة لإحدى المعارك قرب ريتشموند إلى مناطق جنوب بطرسبورغ.

وبعد أن أحبط لي محاولة غرانت للاستيلاء على بطرسبورغ في يوم 15 يونيو، وصلت المعركة إلى طريق مسدود. تعلم غرانت درسا قاسيا في ميناء كولد هاربور حول مهاجمة لي في موقع محصن وكان غاضبا من استحواذ لي وحده على الخنادق والحصون والخمول في المعركة. وأخيرا، تقدم اللفتنانت كولونيل هنري بليزانتس، قائد فيلق المشاة 48 بقيادة الجنرال أمبروز بورنسايد، باقتراح جديد لكسر الجمود.

اقترح بليزانتس، وهو مهندس تعدين من ولاية بنسلفانيا، حفر منجم طويل تحت خطوط الكونفدرالية وزرع عبوات ناسفة مباشرة تحت إحدى القلاع في منتصف خط الفيلق الأول للكونفدرالية. وفي حال نجاحه، فإن هذا من شأنه ليس فقط قتل جميع المدافعين في المنطقة، ولكنه أيضا سيفتح ثقبًا في دفاعات الكونفدرالية. وإذا ملئت قوات الاتحاد الخندق بسرعة كافية وتوغلت في المنطقة الخلفية للكونفدرالية، فإن جيوش الكونفدرالية لن تكون قادرة على حشد ما يكفي من القوة لطردهم، وقد تسقط بطرسبورغ. بورنسايد، الذي تشوهت سمعته من هزيمته في عام 1862 في معركة فريدريكسبيرغ وأدائه الضعيف في وقت سابق من هذا العام في معركة سبوتسيلفانيا، أعطى بليزانتس الضوء الأخضر للعملية.

بدأ الحفر في أواخر يونيو، ولكن رأى غرانت وميد العملية بأنها "مجرد وسيلة للحفاظ على نشاط الرجال"، وشكوا في أية قيمة استراتيجية فعلية لها. وسرعان ما فُقد الاهتمام وسرعان ما وجد بليزانتس نفسه مع مواد قليلة لمشروعه، لدرجة أن رجاله كانوا يبحثون عن الخشب لدعم الهيكل. ومع ذلك فقد تقدم العمل بشكل مطرد. وتم حفر الأرض بالأيدي، وعبئوا الركام في زلاجات بدائية مصنوعة من علب صغيرة مزودة بمقابض، وكانت أرضية، وجدران، وسقف المنجم تدعم بالأخشاب من طاحونة خشب مهجورة وحتى من حطام جسر قديم.

وتم حفر النفق نحو خطوط الكونفدرالية للتأكد من أن الرطوبة لم تسد المنجم، وتم سحب الهواء النقي للداخل بآلية بارعة لتبادل الهواء بالقرب من المدخل. وكانت قطع من القماش تعزل مدخل الهواء لعمال المنجم (مما سمح لعمال المنجم أيضا بالدخول والخروج بسهولة من منطقة العمل). وكان عمال المنجم قد شيدوا عمود عادم رأسيًا يقع أيضا خلف خطوط

الاتحاد. وفي قاعدة النفق الرأسي، كانوا يبقون على النار مشتعلة باستمرار. وكانت هناك قناة خشبية تمتد على طول النفق وتخرج إلى السطح الخارجي. وكانت النار تسخن الهواء داخل النفق ويخرج الدخان من المنجم عبر مدخنة. وكان الفراغ الناجم يمتص الهواء النقي للداخل من مدخل المنجم عبر القناة الخشبية، التي كانت تحمله على طول النفق إلى الموقع حيث كان عمال المنجم يعملون. وهذا ألغى الحاجة إلى فتحات تهوية إضافية والتي كان يمكن أن يلاحظها العدو، وعملت جيدا فى التمويه على تقدم الحفارين.

وفي يوم 17 يوليو كان النفق الرئيسي قد وصل إلى تحت موقع الكونفدرالية. وسرعان ما وصلت الشائعات عن بناء منجم إلى قوات الكونفدرالية، لكن لي رفض تصديقها أو العمل بناء عليها لمدة أسبوعين قبل بدء محاولات حفر نفق مقابل، والتي كانت بطيئة وغير منسقة، ولم يكونوا قادرين على اكتشاف المنجم. ومع ذلك أخذ الجنرال جون بيغرام، الذي كانت بطارياته ستكون فوق الانفجار، التهديد على محمل الجد بما يكفي لبناء خط جديد من الخنادق ونقاط للمدفعية خلف موقعه كإجراء احترازي.

كان المنجم على شكل حرف "تي". وكان النفق بطول 511 قدما (156 مترا)، بدءاً من منطقة غارقة أسفل التل وبطول أكثر من 50 قدما (15 مترا) تحت بطارية الكونفدرالية، مما يجعل اكتشافه صعبا. وكان مدخل النفق ضيقًا، بعرض 3 أقدام (1 متر) وبارتفاع 4.5 قدم (1.4 متر) تقريبا. وفي نهايته، كان هناك نفق عمودي بطول 75 قدمًا (23 مترًا) يمتد فى كلا الاتجاهين. وقرر غرانت وميد فجأة استخدام المنجم بعد ثلاثة أيام من اكتماله بعد هجوم فاشل عُرف فيما بعد باسم معركة القاع العميق الأولى. وقام جنود الاتحاد بملء المنجم ب 320 برميلاً من البارود، وبلغ وزنها الإجمالي 8000 رطل (3600 كجم). وكانت المتفجرات على بعد 20 قدما (6 أمتار) تقريبا تحت مواقع الكونفدرالية وتم ملء الفجوة على شكل حرف "تي" بـــ11 قدما (3 أمتار) من التراب فى الصالات الرئيسية و32 قدما (10 أمتار) أخرى من التراب فى الصالة الرئيسية لمنع خروج الانفجار من فتحة المنجم. وفي يوم 28 يوليو، تم شحن الأسلحة بالبارود.

قام بورنسايد بتدريب إحدى القوات الأمريكية الملونة بقيادة الجنرال إدوارد فيريرو لقيادة الهجوم. وتألفت القوة من لواءين، أحدهما معين للذهاب إلى يسار الحفرة والأخرى

إلى اليمين. وكان يتعين على الفيلق في كل لواء ترك عمود الهجوم وتوسيع الحفرة من خلال حفر حفرة عمودية على الحفرة الأصلية، بينما كان يتعين على الفيالق المتبقية الاستيلاء على طريق جيروزاليم بلانك رود على مسافة 1600 قدم (490 مترًا) فقط خلفها، تليها ساحة الكنيسة وإذا كان ذلك ممكنا، الاستيلاء على بطرسبورغ نفسها. ثم تقوم الفرقتان الأخريان بقيادة بورنسايد، واللتان تتألفان من القوات البيضاء، بعد ذلك بالدخول، ودعم أجنحة فيريرو وتهرول ناحية بطرسبورغ نفسها. وعلى بعد ميلين (3 كم) وراء الخطوط الأمامية، بعيدا عن أنظار الحلفاء، تم تدريب رجال فرقة الجنرال فيريرو لمدة أسبوعين على الخطة.

وعلى الرغم من هذا التخطيط الدقيق والتدريب المكثف (حسب معايير الحرب الأهلية)، وذلك قبل يوم من الهجوم، أصدر ميد، الذي كان يفتقر إلى الثقة فى العملية، أمرا لبورنسايد بعدم استخدام القوات السوداء فى الهجوم، مدعيا أنه إذا فشل الهجوم فإن الجنود السود سيقتلون دون داع، مما يخلق انعكاسات سياسية فى الشمال. وربما يكون ميد قد أمر أيضا بتغيير الخطط لأنه يفتقر إلى الثقة فى قدرات الجنود السود فى القتال. وقد احتج بورنسايد إلى الجنرال غرانت، الذي وقف إلى جانب ميد. وعندما كان المتطوعون ليسوا على وشك القدوم، اختار بورنسايد فرقة بديلة من الجنود البيض من خلال جعل القادة الثلاثة يجرون قرعة. وقد تم اختيار الفرقة 1 بقيادة الجنرال جيمس ليدلي، لكنه فشل فى إطلاع رجال على ما كان متوقعا منهم، وذكر أنه كان فى حالة سكر أثناء المعركة، وأيضا تواجده خلف الخطوط، ولم يتولَّ أيةَ قيادة. (تم فصل ليدلي من الخدمة بسبب تصرفاته أثناء المعركة).

وكانت الخطة هي تفجير المنجم بين الساعة 3:30 و 3:45 من صباح يوم 30 يوليو. وأشعل بليزانتس الفتيل وفقا لذلك، ولكن كما هو الحال مع بقية ظروف المنجم، تم إعطاؤهم فتيلا من نوعية رديئة، والذي كان يجب على رجاله توصيله بأنفسهم. ومر المزيد والمزيد من الوقت ولم يحدث أي انفجار (وكان الفجر الوشيك يشكل تهديدا للرجال فى نقطة التفجير، والذين كانوا على مرأى خطوط الكونفدرالية)، وزحف اثنان من المتطوعين من الفيلق 48 (الملازم جاكوب داوتي والرقيب هاري ريس) داخل النفق. وبعد اكتشاف أن الفتيل قد احترق حتى نهايته، وضعوا فتيلا جديدا وأشعلوه. وأخيرا فى الساعة 4:44 انفجر اللغم وغطى الأرض، والرجـال، والبنـادق. وتم حفر حفـرة (لا تـزال مرئيـة حتى اليـوم) بطول

170 قدما (52 مترا) وعرض 100-120 قدما (30-37 متر)، وعمق لا يقل عن 30 قدماً (9 أمتار).

وقد أسفر الانفجار على الفور عن مقتل 278 من جنود الكونفدرالية من ولاية كارولينا الجنوبية، ولم تقم قوات الكونفدرالية المصابة بالذهول بتوجيه أية بندقية أو نيران مدفعية على العدو لمدة 15 دقيقة على الأقل. ومع ذلك، لم تكن الفرقة بقيادة ليدلي مستعدة للانفجار، وتشير التقارير أنهم انتظروا عشر دقائق قبل أن يغادروا الخنادق الخاصة بهم. وكان من المفترض وضع جسور للمشاة للسماح لهم بالعبور من خنادقهم بسرعة، ولكنها لم تكن متوفرة، وهذا يعني أنه كان ينبغي على الرجال الدخول والخروج من خنادقهم فقط للوصول إلى أرض مهجورة. وخلال تجولهم فى الحفرة، بدلا من التجول حولها كما تم تدريب القوات السوداء للقيام بذلك، ظنوا أنها ستكون حفرة ممتازة لوضع البنادق وجيدة للاحتماء. لذلك، انتقلوا إلى أسفل داخل الحفرة نفسها، وأضاعوا الوقت الثمين فى حين أن قوات الكونفدرالية بقيادة الجنرال ويليام ماهون قاموا بجمع العديد من الجنود معا حسبما أمكنهم لشن هجوم مضاد. وفي حوالي ساعة واحدة، كانوا قد شكلوا صفوفهم فى كل أنحاء الحفرة وبدءوا بإطلاق النار من البنادق والمدفعية على داخل الحفرة. فشلت الخطة، ولكن بدلا من تقليل خسائره، أرسل بورنسايد رجال فيريرو للداخل ونزلوا فى الحفرة، وخلال الساعات القليلة التالية، ذبح جنود ماهون، جنبا إلى جنب مع جنود الجنرال بوشرود جونسون والمدفعية الفيلق التاسع عندما كانوا يحاولون الهرب من الحفرة. وتقدمت بعض قوات الاتحاد فى نهاية المطاف واصطفوا إلى اليمين خارج الحفرة بجوار أنقاض الحفر وهاجموا خطوط الكونفدرالية ودفعوهم للتراجع لعدة ساعات من القتال المتبادل. وشنت قوات الكونفدرالية بقيادة ماهون حملة فى منطقة أخدودية غارقة على بعد حوالي 200 ياردة (180 مترًا) من الجانب الأيمن لقوات الاتحاد. وقاموا بإزالة أعمال الحفر وأجبروا قوات الاتحاد على الفرار نحو الشرق.

وفي مراحل لاحقة من المعركة، كان العديد من ضحايا الاتحاد هم من الجنود السود الذين قتلتهم حراب الكونفدرالية ونيران بنادقهم حتى بعد أن استسلموا – وهو انتهاك مباشر لقواعد الحرب السائدة فى ذلك الوقت (قانون ليبر). وفي الوقت نفسه، تم طعن الجنود السود أيضا من قبل جنود الاتحاد البيض الذين كانوا يخشون الانتقام من القوات المنتصرة.

وكانت خسائر الاتحاد 3798 (504 قتلوا، 1881 جريحا، 1413 مفقودين أو أسروا)، وخسائر الكونفدرالية 1491 (361 قتلوا، 727 جريحا، 403 مفقودين أو أسروا). وكانت أكثر الخسائر التي تكبدتها قوات الاتحاد هي من فرقة فيريرو من القوات الأمريكية الملونة. وتم نقل السجناء الجرحى البيض والسود إلى مستشفى الكونفدرالية فى بوبلار لاون فى بطرسبورغ. ووجه ميد التهم لبورنسايد، ولم يتم تعيين بورنسايد مرة أخرى فى أية مهمة. وعلى الرغم من أنه كان مسئولاً عن الهزيمة مثل بورنسايد، هرب ميد من اللوم على الفور. ومع ذلك، فى أوائل عام 1865، برأت اللجنة المشتركة فى الكونغرس حول سلوك الحرب بورنسايد وأدانوا ميد لتغيير خطة الهجوم (وهو ما كان فى صالح بورنسايد نسبيا، والذي دمرت سمعته). أما بالنسبة لماهون، فقد انتصر إلى حد كبير بسبب جهوده فى دعم رجال جونسون المصابين بالذهول، مما أكسبه سمعة دائمة باعتباره واحدا من أفضل الجنرالات الشباب فى جيش لي فى العام الأخير من الحرب.

كتب غرانت لرئيس الأركان هنري جورج هاليك "لقد كانت أتعس مسألة شهدتها فى هذه الحرب". وقال أيضا لهاليك أن "هذه الفرصة لتنفيذ التحصينات لن تعود مرة أخرى أبدا".

تلقى بليزانتس، الذي لم يكن له دور فى المعركة نفسها، الثناء على فكرته وتنفيذها. وعندما أصبح جنرالا متقاعدا فى 13 مارس 1865، تمت الإشادة بدوره بشكل صريح. وأدلى غرانت بشهادته لاحقا أمام لجنة سلوك الحرب:

"الجنرال بورنسايد كان يريد أن يضع فرقته الملوَّنة فى الجبهة، وأعتقد أنه إذا فعل ذلك فربما كان سيحقق النجاح. وما زلت اتفق مع الجنرال ميد لاعتراضاته على تلك الخطة. وقد قال الجنرال ميد إنه إذا وضعنا القوات الملونة فى الجبهة (كان لدينا فرقة واحدة فقط) فإنهم سوف يفشلون، وعندئذ يمكن القول وبشكل صحيح جدا أننا كنا ندفع هؤلاء الناس حتى يُقتلوا لأننا لم نهتم بأمرهم. ولكن هذا كان لا يمكن أن يحدث إذا وضعنا القوات البيضاء فى الجبهة"

وعلى الرغم من كون المعركة انتصارا تكتيكيا للكونفدرالية، بقي الوضع الاستراتيجي فى المسرح الشرقي دون تغيير. وظل كلا الجانبين فى خنادقهم واستمر الحصار.

"معركة الحفرة" أو "النفق القاتل" ..

وتعتبر منطقة معركة الحفرة هي جزء كثيرا ما يُزار فى ساحة الحديقة الوطنية لمعركة بطرسبورغ. ومدخل المنجم مفتوح للتفتيش سنويا فى ذكرى المعركة. وهناك مناطق غارقة حيث تمتد مهاوي الهواء والخنادق فى شكل حرف "T" قرب النهاية. وتضم الحديقة مواقع أخرى عديدة، خاصة تلك التي كانت جزءا من خطوط الاتحاد حول بطرسبورغ.

وفي الليلة التي سبقت الهجوم، بمجرد أن حل الظلام، خرج ضباط الأركان وتسلموا وحداتهم. وكانت سلالم خشبية، والتي كانت عبارة عن جسور خشبية قوية للمشاة بطول عشرة أقدام تقريبا، قد شيدت كذلك. وبالإضافة إلى ذلك، بمجرد أن استقر الظلام، سارت القوات سرا بين الخطوط لإزالة الحواجز من الطريق فى مقدمة خط الاتحاد حتى يتم الهجوم بدون عوائق. وكان ثمة عيب واحد فى الموقف هو أنه كان مرئيا بوضوح من جانب الكونفدرالية. لذلك، تماما تم منع ظهور أي أضواء، وأي شيء يمكن أن يعكس صورتهم، مثل أكواب الصفيح وحقائب الظهر، وكان لا بد من تركها خلفهم، وتم ملء المقاصف، وخيم الصمت التام.

كل شيء كان معدًا. وكانت الروح المعنوية للقوات الأمريكية الملونة عالية. وشعروا بأهمية مهمتهم، وكانت الكلمة داخل وحدات أنهم سيموتون، إذا اقتضى الأمر، لانجاز ذلك وتثبت قيمة قتالهم. ثم جاء ميد وخطط للهجوم، وأعد بورنسايد عشرين ألف رطل من المسحوق الأسود (البارود) لاستخدامها. وعندما وصلوا إلى النفق أخيرا فى منتصف حصن الكونفدرالية، ما يقرب من ثلاثين قدما تحت الأرض، حفر عمال المناجم غرفتين لوضع المسحوق.

رفض ميد رفضا قاطعا طلب عشرين ألف رطل، مدعيا أن رجاله قالوا له أن ثمانية آلاف رطل كافية. وقال بورنسايد إن هذه الكمية من شأنها أن تسبب انفجارًا مدمرًا، ولكن هذه الاثنا عشر رطلا الإضافية، والتي لم يكن لدى الاتحاد نقص فيها، ستضاعف تأثير الانفجار وسيكون لها تأثير أكثر تدميرا على الروح المعنوية للناجين من قوات الكونفدرالية. رفض ميد. ولتفجير المنجم، طلب بورنسايد تفجير بطارية كلفاني، والتي تستخدم بالفعل بشكل واسع فى عمليات التعدين، بالإضافة إلى ستمائة قدم احتياطية من فتيل سريع. ومع أقل من يومين للذهاب، وصلت ثمانية الإمدادات- ثمانمائة ألف رطل من مسحوق البارود الموضوعة فى براميل، وبدلا من البطارية والصمامات السريعة، تم تزويد عمال الحفر بستة وأربعين فتيلاً بطيئًا بطول ثمانية أقدام بدون أي نظام دعم. وهذا يعني أن الرجال كان يتعين عليهم تقريبا تفريغ براميل

المسحوق وسحبها إلى غرف التفجير ثم إعادة تعبئتها هناك، وهي عملية محفوفة بالمخاطر للغاية، على أقل تقدير. ثم تقدموا ونفذوا مهمتهم على أية حال.

ومع أقل من ست عشرة ساعة للذهاب قبل الهجوم، أمر ميد بورنسايد أن يقدم له تقريرًا. وفي هذه المرحلة، أعلن ميد أنه سيغير ترتيب المعركة. القوات السوداء لا تقود الهجوم. ولم يستطع بورنسايد الرد، وقال أخيرا أن هؤلاء هم الرجال المخصصين لهذه المهمة منذ ما يقرب من شهر، وأنهم تدربوا بلا هوادة، وأنهم يعرفون مهامهم، وأنهم الوحيدون القادرون على تحقيق النصر فى صباح اليوم التالي. وتقدم ميد بعذر غامض أنه إذا تم ذبح القوات (إعلان صريح بأنه يتوقع فشل الهجوم)، فإن دعاة إلغاء عقوبة الإعدام فى الشمال سيشكون. ورد بورنسايد أنهم سيفشلون بالتأكيد إذا تم سحب الرجال المدربين أفضل تدريب لهذه المهمة من على خط القتال، لكن ميد كان مصرا، وأخيرا تراجع عن الموقف الذي كان قد تحدث عنه مع غرانت، والذي أيد تغيير الخطط.

وانتظرت 29 فرقة فى الميناء فى يوم 4 يونيو 1944 للذهاب إلى شاطئ أوماها، وتم سحب الرجال الذين تدربوا لهذا الهجوم لعدة أشهر من أجل المعركة، وأمر آيك برادلي باستبدالهم بالقوات غير المدربة للهجوم. ويمكن للمرء أن يتصور الكارثة التي كان يمكن أن تلي ذلك فيما عرف الجميع بالفعل أنها ستكون معركة صعبة. وكان هناك شك بأنه بجانب رغبة ميد اللاواعية بإحباط خطة بورنسايد، كان هناك سبب أكثر صراحة، وهو أنه إذا لم ينجح الهجوم، فإنه أراد أن تحظى القوات البيضاء شرف تولي هذه المهمة التي أكسبتهم الحرب.

وكان بيانه أن دعاة إلغاء عقوبة الإعدام سيصابون بصدمة من العيار الثقيل. ولم يكن مصدر قلق عندما قادت الفرقة الرابعة والخمسين الهجوم الانتحاري، أو أثناء الهجمات اليائسة الأخرى فى السنة الأخيرة من الحرب. وتقريبا كان كل عمل يشمل القوات السوداء وقد قاتلوا ببسالة. عاد بورنسايد إلى مقر عمله ونقل الخبر أن القوات السوداء قد خرجوا من الهجوم وسوف يتم وضعهم فى الاحتياط. وعند هذه النقطة، انهار الرجل الذي كان يتناوب بين العبقرية والجنون. التفت إلى القادة وطلب أن يتطوع أحدهم لقيادة الهجوم.

وكان الرد هو صمت ثلاثة منهم وتجنب الاتصال بالعين. وما حدث بعد ذلك كان استمرارا

لهذا الجنون. أخذ بورنسايد ثلاثة أعواد صغيرة، وطلب من الرجال السحب منها. سحب ليدلي العود القصير. وهذا من شأنه أن يكون واحدا من قرارات قيادة الأكثر غرابة فى الحرب، وأيضا كابوسا فظيعا. وقد يتصور المرء أن ليدلي، عندما سحب العود القصير، سيخرج من المقر، ويدعو مرؤوسيه، ويشكل صفوفهم قبل حلول الظلام، وفي عجلة من أمره، سيوضح ما يمكن القيام به وأين يمكن نشر الرجال.

وبدلا من ذلك، تقاعد فورا من منصبه كقائد، ولجأ لخندق محصن ضد القنابل وراء الخطوط، ودعا قادة الألوية التابعين له، وقال لهم بأن فرقهم هي من ستقود الهجوم الآن، ثم صرفهم. وذكر قادة الألوية فى وقت لاحق أنه كان بالفعل فى حالة سكر. ولم تكن هناك توجيهات ولا أوامر بالتحرك، ولا كلمة واحدة إلى أين ينتشرون، والأسوأ من كل شيء، ولا كلمة واحدة حول ما يجب القيام به متى سيبدأ الهجوم.وكان بورنسايد العبقري المتقلب يشعر بالاستياء.

وقد فشلت خطته الأساسية، وانسحب إلى مقره الخاص خلال الليل دون أن يفعل أي شيء آخر لضمان النجاح. وقد سحقه ميد واستسلم ببساطة. وبعد وقت قصير من منتصف الليل، اقتحمت القوات البيضاء من الكتائب الثلاث المخيم وبدأت تتغلغل فيما كان من المفترض أن يكون أماكن اختبائهم. ولكن الآن، مع التغيير فى أوامر المعركة، كان يتعين على رجال ليدلي احتلال موقع فيريرو، فى حين كان يتعين على كتيبة أخرى احتلال موقع ليدلي، وأعقب ذلك حالة من الفوضى. وكان هناك الكثير من الارتباك والضوضاء حيث كان الجنود يتشاجرون بجنون على طول الجبهة، وبدأ المتمردون فى الصراخ والسؤال عن سبب المشاجرة.

ولجعل الأمور أسوأ ، توصل لي، مع غريزة المقاتل، إلى استنتاج أن شيئا ما "قد حدث". وكان غرانت قد حاول إغراء بعض جنود الاحتياط التابعين للي للتوجه نحو ريتشموند قبل بضعة أيام، وفي هذا المساء شم لي رائحة هجوم وشيك. وكان قد تلقى تقارير كذلك بأن شيئا غريبا كان يحدث أمام طريق جيروزاليم بلانك رود ، وربما حتى نفق تحت القلعة لحراسة الخط. وأفاد الرجال بسماع أصوات جوفية، والخدعة القديمة من وضع صحن من الماء على الأرض، وهذا يعني أن شيئا ما كان يدور فى الأسفل.

والمحاولات القليلة للبحث لم تعثر على أي شيء. وأثناء الليل بدأ لي إعادة إرسال بعض

قوات الاحتياط إلى طريق جيروزاليم بلانك رود .. فقط تحسبا لأي أمر. وكان من المقرر أن يتم تفجير المنجم بين الساعة 3:30 والساعة 3:45 صباحا. وفي ذلك الوقت من السنة، وقبل التوقيت الصيفي القياسي، تبقت بضع دقائق تقريبا قبل الوهج الأول من الفجر. وقد أشعل أحد رجال فرقة بنسلفانيا ال46 الفتيل البطيء، وتم إلقاء أكياس الرمل فى المدخل، واختبأ الجميع وظلوا ينتظرون ... وينتظرون... وينتظرون.

بدأ أول ضوء يشق السماء فى الشرق، وهذا يعني وراء خطوط الاتحاد. وقبيل الساعة 4:15 صباحا، كانت السماء ساطعة بما فيه الكفاية لقراءة عناوين الصحف. وكانت القوة المهاجمة ترقد بشكل مسطح على بطونهم وراء خطوط جبهة الاتحاد، وعند هذه النقطة، كان الشيء الوحيد الذي يحميهم من الرصد هو زيهم الأزرق الداكن. وفي وهج الصباح الباكر، كان يمكنهم أن يروا حصن الكونفدرالية فوقهم بسهولة. وفي بضع دقائق أخرى، كان يمكن للرجل الأعمى أن يراهم من الجانب الآخر. وبشكل محبط، أرسل بورنسايد رسالة إلى عمال المنجم، وسألهم ما خطبهم بحق الجحيم. لكنهم عرفوا بالفعل.

ومع خمسين فتيلا قديما فى مكان ما كان فى النفق، كان هناك اثنان من أشجع المتطوعين من الحرب الأهلية يحملون فانوسًا ويتجولون لمعرفة ما هو الخطأ. وكان يتعين عليهم الزحف على طول النفق تقريبا، أي لمسافة 400 قدم. وكانت النيران قد خرجت حيث كان آخر فتيل بطيء متصل فى تقاطع على شكل حرف T مع فتيل سريع، مما كان سينشر النيران فى غرف التفجير إلى اليسار واليمين من النفق. ثم أخذوا نفسا عميقا وأشعلوا النهاية القصيرة من الفتيل البطيء، وسارعوا بالخروج، والقفز من مخرج النفق فى ثوان فقط قبل الانفجار، الذي وقع فى حوالي الساعة 4:45 صباحا. وأولئك الذين رأوا الانفجار وصفوه بأنه لا يزيد عن الانفجار الذي رأوه اليوم مع مواد مثل C4، بل كان صوت قعقعة مملة فى البداية، وهز الأرض بين القدمين، وبعد ذلك سحابة كبيرة مثل عيش الغراب والتي ارتفعت إلى السماء وخلفت دخانًا أصفر غامقًا .

وعندما نظر رجال ليدلي إلى السماء شاهدوا كتلا من الحطام تمطر عليهم. وأصيب بعضهم بالذعر وتوجهوا إلى العمق. وبشكل مثير للدهشة، نجا أحد جنود الكونفدرالية من الانفجار داخل الحصن، وقفز لارتفاع أكثر من مائة ياردة وهبط عاريا تماما أمام جنود

الاتحاد الذين كانوا يطوقون الخندق. وتعاطف معه اليانكيز وجروه للداخل وقدموا له شرابا.

انتشر الانفجار، وأمطر الحطام. ومزقت خط الكونفدرالية حفرة بطول مائتين وخمسين قدما وعرض ستين قدما تقريبا، وعمق أكثر من ثلاثين قدما. ولو استمعوا لطلب بورنسايد الأصلي، فإن الضرر كان سيقل إلى النصف على الأرجح، وربما صنع فجوة بعرض أربعمائة قدم فى صفوف الكونفدرالية. وبالنسبة لكلا الجناحين، على الرغم من أن قدامى المحاربين فى الزي الرمادي قد قالوا هذا بعد سنوات، كان هناك هرج ومرج. وزعم بعض المراقبين حدوث حفرة بعرض ربع ميل خط الكونفدرالية فى غضون بضع دقائق من الانفجار حيث ركض الناجون لإنقاذ حياتهم.

ويجب أن نتذكر المرء أن هذا كان عام 1864. والأسلحة الثقيلة من الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، مع قنابل بآلاف الأرطال وقذائف بوزن طن واحد ، كانت شيئا بعيدة تماما عن تجربة أي جندي فى الحرب الأهلية. وتفجير أربعة أطنان من البارود على مسافة أقل من مائة ياردة يجب أن يكون تجربة مرعبة فى ذلك الحين. لم يحدث شيء! لم توجه أي أوامر واضحة لرجال ليدلي باستثناء الذهاب إلى الأمام بمجرد أن يقع الانفجار واحتلال الخط. وبعد أن فوجئوا بالانفجار الذي لم يتدربوا عليه أو يتوقعون، وقفوا فقط. وتشير التقارير إلى أنه كانت هناك عشر دقائق أو أكثر قبل أن يخرجوا من خندقهم ويبدءوا الانحدار.

ولم يكن هناك وجود لجسور المشاة التي كان من المفترض أن يسيروا عليها عندما يخرجون من خنادقهم، وكانت العقبات أمام خطوطهم لا تزال فى مكانها. وللمضي قدما، كان يتعين عليهم النزول إلى خنادقهم، وتسلق الجانب الآخر، وشق طريقهم من خلال الغصون الحادة، ثم الوصول إلى أرض مهجورة. وتفككت كل مظاهر النظام العسكري على الفور. تاهوا أعلى المنحدر فى مجموعات صغيرة، واختفت القيادة والسيطرة جميعها لأن الوحدات اختلطت معا فى الليل وانتقلت إلى موقع غريب. ركض الضباط ذهابا وإيابا باحثين عن قيادتهم المفقودة. وكان الضجيج يصم الآذان كذلك.

لم يكن مجرد انفجار. وقام هانت قائد كل قوات المدفعية التابعة للاتحاد بوضع مجموعة كبيرة من البنادق لدعم الهجوم، أكثر من 140 قطعةً، بما فى ذلك قذائف الهاون الثقيلة الضخمة. وكان غرض سلاح المدفعية هو إسقاط حافة الأجنحة ثم فتح ثقب فى خط

الكونفدرالية. استعدوا لعملهم، ولكن النار والدخان زادت من الارتباك. تسلق رجال ليدلي أعلى المنحدر وألقوا نظرة واحدة على الحفرة الكبيرة، وكان الرأي الجماعي لتلك الفرقة المهترئة بالفعل أن الحفرة التي ينبعث منها الدخان ستكون مكانًا جيدًا للاحتماء، والبحث عن الهدايا التذكارية، ومشاهدة ما حدث بعد ذلك.

ويمكن للمرء أن يلومهم. بينما كانوا يقفون فى الخارج فى العراء وأضاعوا الوقت الثمين، كانت نيران الكونفدرالية قد بدأت تأتي من الأجنحة، وسقط رجل من هنا وهناك، وكانوا يعرفون أن هذا كان مجرد نذير لأمور قادمة. وبدت الحفرة للحظة أكثر مكان آمن. وأرسلت نداءات عاجلة من قادة الألوية التابعين لليدلي لطلب أوامر إضافية. وتقليديا، كان من المتوقع أن يمضي أحد قادة الفرق قدما، ليس بالضرورة فى الجبهة، على الرغم من أن الكثيرين قد فعلوا ذلك، ولكن بالتأكيد بين الموجة الأولى والثانية من المسيرة. كان ليدلي فى حالة سكر تام، وأصبحت النيران فى الأجنحة أكثر سخونة، على الرغم من أن البعض حاول دفعها وراء شفة الحفرة، والتحرك نحو الطريق.

وعلى جانب الكونفدرالية، سارع الجنرال ماهون، فى القيادة المباشرة، إلى حفر حفرة ضخمة. وأمر بضع مئات من مواطني فرجينيا بالاندفاع إلى الأمام، مع المجارف والمعاول، والبدء فى حفر بئر فى منتصف خط احتياطي الطوارئ بين نقطة الأنفجار والطريق، بينما فى الوقت نفسه قام بإرسال نداء يائس للي لطلب أي وجميع جنود الاحتياط. والآن ذهبت الفرقة الثالثة من القوات البيضاء، الغالبية العظمى منهم تراكموا فى الحفرة كذلك، بالرغم من أن بعضهم حاول توسيع الجبهة، وشغل مسافات قصيرة من الخنادق إلى جانبي الحفرة. ولكن لم يكن هناك رجل واحد فى هذا الميدان فى تلك اللحظة التي كان يتعين فيها تنفيذ الخطة الكاملة، أو أن الفرصة الذهبية لتحويل هذه إلى الفوز بالحرب كانت تذوب تحت حرارة يوليو.

وكان قائدا الألوية من الفرقة السوداء يعرفون، وانتظروا بإحباط فى موقف الاحتياط. ولم تكن هناك أوامر للقتال، وكان يمكنهم رؤية الكارثة تتكشف، ولكن ماذا يفعلون؟ وازدحم أكثر من تسعة آلاف جندي من جنود الاتحاد فى مرجل لا يزيد على مائتي ياردة، مع حفرة فى الوسط. ولبضع دقائق، فكروا فى عصيان أوامر القيادة العليا والذهاب لوحدهم. ولكن القيادة والسيطرة القوية على جيش بوتوماك لعبت دورها مرة أخرى فى ذلك اليوم.

فأمر قائد اللواء بانتظار الأوامر من خلال القنوات المناسبة، واستدار وركض، ووقف فقط لفترة كافية فى مقر ميد ليقول له إنه أصبح فى القيادة المباشرة الآن. ثم سار بعيدا عن الميدان، وركب قاربا وذهب. وما حدث بعد ذلك بين ميد وبورنسايد كان، فى رأي هذا الكاتب، أحد أكثر الأفعال المثيرة للاشمئزاز لفشل القائد، والأفعال الصبيانية، والجبن فى الحرب كلها. وكان مقر بورنسايد يطل على واد حيث انتشرت القوات خلال الليل على المنحدر إلى حيث كانت تقع الحفرة التي ينبعث منها الدخان. وكان مجال الرؤية لديه لا يتجاوز وراء الجبهة وكان يتطلب الأمر رحلة لا تقل عن نصف ساعة ذهابا وإيابا من قبل أحد السعاة عبر الأرض التي تزداد خطورتها، حيث بدأت مشاة الكونفدرالية تندفع لإغلاق الحفرة وعزل الرجال فى الحفرة.

وربما يرغب المرء فى العودة عبر الزمان وإعطائهم بعض النصائح. فى جيتيسبورغ، كان الجنرال هانكوك على خط الجبهة عندما تولى بيكيت المسئولية. ويعاب كثيرا على الجنرال دان سيلكس من قبل الكثيرين، ومع ذلك وقف جنبا إلى جنب مع رجاله فى جيتيسبورغ كذلك، وفقد ساقه نتيجة القيام بذلك. وإذا كان بورنسايد قد ذهب إلى الأمام فقط وسيطر بشكل مباشر، لكان قد عكس كل ما كان يحدث من خطأ، على بعد نصف ميل من بورنسايد، أبعد من العودة من الجبهة. وقد تم توصيل الاثنين معا عن طريق التلغراف، وتوجد نسخ من اتصالاتهم عبر عدة ساعات تالية فى السجلات الرسمية لحرب التمرد. وبدأ ميد يسأل بورنسايد لماذا لم تتقدم قواته، ورد بورنسايد أن الوقت قد حان لإطلاق سراح جنود الاحتياط، والذي كان لا يزال من الممكن استغلالهم على الرغم من الارتباك. فرد ميد صائحا أنه لن يطلق جنود الاحتياط، حيث إن التقارير كانت تأتيه أن رجال بورنسايد فقد تحطموا بالفعل.

استثنى بورنسايد هذا وأعقب ذلك مشادة بين الاثنين، وتبادلا الشتائم ومطالب الاعتذار، وأخيرا تهديد ميد بإعفاء بورنسايد من القيادة. وهو أمر مضحك عندما تقرأه، باستثناء حقيقة أن الرجال الصالحين كانوا يموتون فى حين كان جنرالاتهم يتناوبون مطالب الاعتذار. ويمكن للمرء أن يتصور فقط باتون، أو شيرمان يمشي فى يوم مثل هذا المشهد وما ترتبت عليه. وصرح بورنسايد فى نهاية المطاف للفرقة الرابعة بالذهاب.

ويقدر هذا الكاتب أن الوقت كان بين الساعة السابعة والساعة العاشرة فى وقت متأخر. وكان هذا أملا يائسا، ولكنهم تقدموا ببسالة إلى الأمام على أية حال. وكان الجنرال ماهون بقوات الكونفدرالية قد عمل ببراعة لاحتواء الخرق. وكان مشاة الكونفدرالية يستصلحون الخنادق على جانبي الحفرة وإنشاء محيط وراء الخرق كذلك.

حاول الرجال العبور من خلال فتحات ضيقة على جانبيّ الحفرة، والمضى قدما فى تحقيق الهدف الأساسي، وكان ضباطهم يصيحون فى القوات للاختباء داخل الحفرة. ومع ذلك، استجاب عدد قليل. وبدأ المسئول عن القوات السوداء فى الانهيار. ومرة أخرى، فإن القياس مع الحرب العالمية الأولى هو مناسب. كان الرجال يسقطون فى المعركة التي تحولت الآن إلى معركة وحشية.

تم إسقاط سارية العَلم، فى محاولة للخروج من الخندق وتصاعدت وتيرة القتال حولهم وضاع العلم وأصيبوا بإصابات مروعة، ورفض الآلاف من الرجال وراء الحفرة الانضمام إليهم. هربت القوات السوداء وبحثوا عن مأوى فى الحفرة أيضا. الحرب. اقتربت درجة حرارة الهواء إلى مائة درجة فى أسفل فى الحفرة التي ينبعث منها الدخان، جنبا إلى جنب الرجال المكدسين. وتشير التقديرات إلى أن درجة الحرارة قد بلغت 120 درجة مئوية أو أكثر.

قامت قوات الكونفدرالية بنقل عدة قذائف مورتر خفيفة، والتي تحتاج فقط إلى أُوقِيَّة (أونصة) أو اثنتين من البارود لإطلاقها على بعد بضع عشرات من الأمتار على وحدات المشاة التابعة لقوات الاتحاد. التقط المتمردون البنادق المكسورة والملقاة وأطلقوها عليهم مثل الرماح، فى حين أن آخرين، نتيجة للمعركة الجنونية، قفزوا إلى شفة الحفرة بأسرع ما يمكنهم للحاق برفاقهم وحاول بعض الضباط تنظيم رجالهم لبدء حفر خندق على الجانب الغربي من فوهة الحفرة، ولكن جهودهم باءت بالفشل.

وانتشرت شائعات رهيبة عبر القوات البيضاء المحاصرين أنه إذا تم القبض عليهم إلى جانب القوات الملونة سوف يتم إعدامهم. وكان يعتقد أن عشرات من الجنود السود قد قتلوا. وفي الوقت نفسه، واصل بورنسايد التوسل لميد على الأقل لإرسال قوة الإغاثة لمحاولة فتح ممر لاستخراج الجنود، لكن ميد رفض. وأخيرا، وبعد فترة وجيزة فى فترة ما بعد الظهر، دفع الجنرال ماهون رجاله حتى شفة الحفرة. وكانت الدقائق القليلة التالية عبارة عن مذبحة.

وصب مئات من المتمردين، الذين أصيبوا بالجنون من هول الانفجار، والحرارة، والقرب من العدو، وحقيقة أن العديد منهم كانوا من السود، النيران على القوات المذعورة داخل الحفرة.

تمت محاولة الهروب الجماعي الآن، آلاف من الرجال زحفوا حتى المنحدر الغربي من الحفرة، وتركوا أسلحتهم جانبا، واندفعوا بجنون لتأمين خطوطهم. وكان هناك معرض لإطلاق النار، وسقط المئات. وأخيرا انتهت المعركة، وجمعوا الأسرى الباقين على قيد الحياة ونقلوهم إلى المؤخرة. وكانت التقارير متضاربة. كانت هناك بعض المطالبات بإعدام الجنود السود، وبعد تقارير أخرى تشير إلى المعاملة الإنسانية إلى حد ما، حيث أمر الجنرال لي بمعاملة جميع الأسرى بنفس القدر. ومثل ماهون للاستجواب الأولي أمام حوالي ثلاثين ضابطا، الذين اصطفوا وتساءلوا ما هي الوحدات التي كانوا يقودونها.

وكانت هناك مأساة أخرى فى ذلك اليوم. فى وقت متأخر من بعد الظهر، أرسل بورنسايد، من تلقاء نفسه، عَلَمَ الهدنة لماهون، طالبا وقف إطلاق النار بحيث يمكن نقل الجرحى بين الخطوط، وهو العرض الذي وافق عليه لي على الفور. وكان طلب الهدنة طقسًا تشريفيًّا، ولكن كان يجب على الجنرال المهزوم التقدم به. وعندما وجد ميد مخرجا، ضرب الطلب بعرض الحائط. وكان يجب استئناف الأعمال العدائية، وكان من المرجح أن يواجه بورنسايد اتهامات إضافية لتجاوز سلطته.

صدم لي من قسوة هذا التراجع، وأعيد فتح إطلاق نار، وقتل عدة مئات من الرجال بين الخطوط نتيجة لذلك. وبعد اقتراح غرانت، تم استدعاء ومحاكمة ميد على الفور أمام محكمة رسمية عقدت للتحقيق فى كارثة 30 يوليو 1864، برئاسة الجنرال وينفيلد سكوت هانكوك. وتم استدعاء اثنين من الماعز الأضاحي على مدى الأسبوعين التاليين من الشهادة. وكان أولهما بورنسايد. وبعد البحث والدراسة، مزقه ميد إربا، وألقى اللوم الكامل والوحيد للكارثة على الجنرال غريب الأطوار.

وكانت هناك محادثةٌ مع بورنسايد، خارج قاعة المحكمة، والتي كشفت عن الكثير من طباع الرجل. وكان الكولونيل بلسنتون، الرجل الذي كان أول من اقتنع بالفكرة ثم حفروا النفق، يتعذب من الحزن على فشل الخطة. وكان يود أن يدلي بشهادته أمام المحكمة للتحقيق بشأن

الانعدام التام للتعاون من قبل ميد، خطط الهجوم القريب. وقد أمر بورنسايد بلسنتون بالذهاب فى إجازة مؤقتة.

وكان السبب لديه: "لا يوجد شيء يمكنك القيام به الآن. لقد اتخذوا بالفعل القرار بشأن مصيري وأنا لا يمكنني أن أتركك تخاطر بعملك فى قضية عقيمة ". وأمر بلسنتون بالذهاب فى إجازة حتى تنتهي الضجة. وعند الانتهاء من محاكمة بورنسايد، أمروه بأن يأخذ إجازة. ولم يعمل أبدا فى الجيش بعد ذلك، وتقاعد بهدوء فى وقت مبكر من العام التالي. وقد أمروا الجنرال باركر بتولي القيادة. كبش الفداء الآخر: القوات الأمريكية الملونة.

وخلال يومين من المعركة، كانت عناوين الصحف المناهضة للإدارة الأمريكية وإلغاء الدستور فى الشمال "القوات الملونة تهرب مثل الجبناء"، وهو الكذب الذي انتشر فى بعض نصوص المعركة حتى يومنا هذا. وتم التغاضي عن فشل الفرق البيضاء مرارا وألقوا اللوم على القوات السوداء، الذين أنتقلوا بالفعل إلى الأمام. لقد كانت كذبة مفيدة أيضا، لأنها وفرت غطاء لكثير من الضباط الذين فشلوا فى القيام بواجبهم فى ذلك اليوم، من دون شك وصولا إلى ميد، وبطرق عديدة، وغرانت أيضا. وكان عذرهم أن بورنسايد أسكر ضابط مع القوات البيضاء وادعى الكذب، مدعيا أنه إذا كانت القوات السوداء قد تراخت، فلماذا مات الكثير منهم، ولماذا عثر على جثثهم فى مقدمة الصفوف. وأعلن هذا الضابط بمرارة أنه لو تم اتباع الخطة الأصلية فإنهم كانوا سيحققون النصر كتتويج للحرب.

كانت المعركة مثالا كلاسيكيًا لانهيار القيادة والسيطرة، ومخاطر سخيفة من المنافسات خلال الساعة 8:00 صباحا. وفي ذلك اليوم المشؤوم، إذا تم دعم القوات الأميركية الأفريقية من قبل القوات المدربة تدريبا جيدا الأمر الذي رفضه ميد، لكان من الممكن أن يفوزوا فى هذا اليوم. وكانت معركة الحفرة واحدة من أكثر المعارك غير المفهومة فى الحرب الأهلية. وهي تبدو حقا أشبه بإحدى معارك القرن العشرين، وتضمنت مظاهر واضحة من الحماقة العسكرية وعدم الالتزام بالكثير من المبادئ الأساسية للحرب، وخاصة وحدة القيادة.

جورج برنارد شو، فى مسرحيته الرائعة التي تدور أحداثها خلال الثورة وتحمل اسم "تابع الشيطان"، صور ضابطًا وهو غاضب ويصرخ عند سماع أن الجيش البريطاني سوف يهزم فى ساراتوجا، "يا إلهي، ماذا سيقول التاريخ يا سيدي؟" فأجاب صديقه، "سوف يكذب،

"معركة الحفرة" أو "النفق القاتل" ..

يا سيدي، كما كان دائما". ولما يقرب من 130 عاما، أعلن أن معركة الحفرة كانت السبب الرئيسي فى الهزيمة فى مراحل لاحقة من الحرب وذكر البعض أنها كانت جبنا من جانب القوات السوداء..وهذا العذر المناسب يغطي فشلاً أوسع بكثير من كبار القادة فى معركة ميئوس منها، ولكنهم قاتلوا بشجاعة. كانوا رجالا فى الحرب، والرجال أفضل بكثير من أولئك الذين ادَّعوا أنهم قادتهم.

(17)

" معركة ايساندلوانا " .. الإنجليز والزولا

السبب ضعف خطوط الإمداد !

بسبب النجاح الكبير للفيلم الشهير من بطولة مايكـــل كين وستانلي بيكـــر وإخـراج ساى اندفيلد، تأتي كلمة "الزولو" إلى الأذهان مع الدفاع الباسل من قبل الحامية البريطانية التي كانت تتكون من 140 رجلا ضد قوة من 4000 مقاتل من الزولو فى رورك دريفت فى جنوب أفريقيا. وعلى الرغم من أنهم كانوا يفوقونهم عددا، فقد قاتل البريطانيون لمدة يومين، وعند هذه النقطة توقف المقاتلون الزولو عن القتال وانتقلوا إلى هدف آخر. الخسائر فى صفوف الزولو: 350 قتيلا، الخسائر البريطانية: 17 قتيلا، و 10 مصابين. ونتيجة لذلك الموقف البطولي، تم منح أحد عشر جنديًا منهم صلبان فيكتوريا، وهو رقم قياسي لمعركة بريطانية واحدة. وكان فوزهم نتيجة للتخطيط الدقيق والسريع، والتدريب المثالي، والانضباط، والشجاعة فى مواجهة المعركة. لقد كانت لحظة مشرقة للجيش البريطاني.

شعرت الأمة الزولوية على وجه الخصوص أنها ظُلمت من قبل الإدارة السابقة تحت حكم البوير (من نسل المستوطنين الهولنديين وليس "المواطنين" الأفارقة) بشأن تعاملات عقارية معينة معهم، وكذلك مع الفصائل الأخرى، مثل السوازي والكافير. وعند وفاة والده، أعلن المحارب ستشوايو نفسه حاكما مطلقا لأمة الزولو بأكملها، ودرب جنوده باستخدام الأساليب التي تعلمها من خاله شاكا، وقام بتحديثها قليلا حتى استخدموا الأسلحة النارية من هؤلاء الدخلاء الجدد، حتى إنه دربهم على استخدامها وهي الأسلحة التي حصل عليها من خلال التعامل مع الفصائل الأخرى أو كغنائم حرب. حكم ستشوايو بقبضة من حديد، وكان يعتبر من قبل البعض طاغية بربري (وزعم أنه ذبح عددًا كبيرًا من الشابات من قبيلته واللاتي تزوجن رجالا آخرين غير هؤلاء الرجال الذين اختارهم لهن)، ولكن على الرغم من ذلك ثبت نجاحه فى توحيد شعبه ضد الغازي المشترك وقاد البريطانيين لإلقاء السلاح والعودة إلى الوطن فى 11 ديسمبر 1878.

تم إعلان الحرب. البريطانيون، تحت قيادة فريدريك أُوغسطس ثيسيجر، البارون الثاني لتشيلمسفورد، نقلوا قواتهم فى جنوب أفريقيا من بيترماريتزبرج إلى معسكر فى جريتاون، ثم، قبيل 9 يناير 1879، إلى رورك دريفت، وبعد يومين إلى قلب زولولاند نفسها. وعسكرت الحامية فى ايساندلوانا هيل.

وبدلا من أخذ الوقت لتحصين معسكر القاعدة بشكل صحيح، نصبت خيام على قمة التل، وقام ثيسيجر بتقسيم قواته، وترك خلفه أربعة عشر جنديا فى معسكر القاعدة فى حين قاد البقية بحثا عن فرائسه من الزولو، وترك المعسكر فى الساعة الرابعة صباحا فى صباح 22 يناير. وأولئك الذين تركوا فى الخلف وضعوا تحت قيادة الكولونيل انطوني دورنفورد. وبعد أربع ساعات، هوجمت الحامية من قبل قوة من حوالي عشرين ألفًا من مشاة الزولو.

وكان المخيم مجهزًا بشكل سيء للهجوم، وافتقار دورنفورد لمهارات القيادة قد دمر كل الجنود تحت قيادته، حيث انهارت قواته بسرعة أمام هجوم الزولو. هرب القليل من الرجال من المذبحة (تم منح صلبان فيكتوريا للملازمين ميلفيل وكوجهيل، اللذّين تمكنا من إنقاذ رايات الملكة فى الكتائب)، ولكن معظمهم ذبحوا على رماح الزولو. وعندما انتهت المعركة، والتي لم تستغرق حقا وقتا طويلا جدا، قتل 1329 من أصل 1400 مقاتل بريطاني. وقتل ثلاثة آلاف من 22 ألف محارب من الزولو أيضا.

وعلى الرغم من أن ذلك لم يؤثر على نتيجة هذه المعركة أو المعسكر فى رورك دريفت، إلا أنه أضعف قوة الزولو على المدى الطويل من حملتهم. وفي الواقع، أصابت الرماح بطون كل مقاتلي الزولو. وعندما عاد ثيسيجر مع رجاله فى ليلة 22 يناير، أجبر هو ورجاله على الإقامة المؤقتة بين القتلى للسماح لأرواحهم بمغادرة أجسامهم بسلام إلى أرض الموتى. لذا ما هو الخطأ الذي حدث؟ أولا، ثيسيجر اختار مكانًا فقيرًا للغاية لإقامة الحامية. وكان هناك القليل جدا من الغطاء الطبيعي وكانت الأرض شديدة السخونة والصلابة، وعدم وجود أدوات مناسبة للحفر زاد من صعوبة الحفر فى أحسن الأحوال. وعلاوة على ذلك، فإن حجم قواته منع استخدام عرباتهم (عن طريق وضعها فى دائرة تسمى " لاجار " ، قد وفرت خط الدفاع الأخير والتقوية) لتعيين محيط منظم ويمكن الدفاع عنه لمعسكرهم.

وعلاوة على ذلك، لم يوجه ثيسيجر رجاله لاستطلاع المنطقة بالكامل، ونتيجة لذلك، كانوا محرومين من رؤية خطوط العدو، وبالتالي كانوا غير قادرين على تقديم تقييم كامل، قبل فوات الأوان، من أي تهديد يقترب. وبالإضافة إلى ذلك، لم يعوضهم ثيسيجر عن الطبيعة المختلطة من قوته. وعلى الرغم من أنها كانت تتألف من قوات على ظهور الخيل والمشاة، والمساعدين، كانوا يستخدمون أيضا عربات تجرها الثيران، والتي كانت مناسبة للسفر على الطرق الوعرة، ونتيجة لذلك تباطأ أي عمل تقوم به القوة.

وعلاوة على ذلك، لم يقم ثيسيجر بتأمين خطة دفاع للحامية قبل أن يقسم جيشه والذهاب للقاء الزولو. ولو كان فعل هذا، فربما كانت حامية ايساندلوانا قد قامت بعمل أفضل من حفظ قوة المحاربين. ويجب إلقاء اللوم أيضا على دورنفورد (وبالفعل دفع حياته ثمنا لذلك).

وبالإضافة إلى تقسيم قواته عن طريق إرسال الرجال لإشراك مقاتلي الزولو فى مناوشات قبل أن يصلوا إلى المعسكر، وبالتالي نشر قواته القليلة بالفعل بعيدا عن بعضها البعض، فقد فشل أيضا فى حشد معسكر القاعدة لتشكيل ساحة يمكن الدفاع عنها بسهولة وتأمين الذخيرة (التي كان يجب تفريغها ولم يكن من السهل تزويد الرجال بها). والنظريات الحديثة الأخرى عن هذه المشاركة تشير أيضا إلى أن دورنفورد وضع خط المناوشة بشكل متباعد جدا.

وحيث كان ينبغي أن يكونوا جنبا إلى جنب، انتشروا بدلا من ذلك فى محاولة على ما يبدو لتغطية مساحات أكبر من الأراضي. أو ربما أمر دورنفورد رجاله بالتراجع، مما شجع مقاتلي الزولو، الذين اعتبروا ذلك عملًا جبانًا . وأخيرا، والأهم من ذلك، استخف ثيسيجر ودورنفورد بعدد من المحاربين الذين بلغت نسبتهم تقريبا 20-1، وعلاوة على ذلك كانوا على استعداد لتكبد خسائر حتى يتمكنوا من تجاوز القوة المتدنية، وذبحهم بالرماح.

وعدم وجود خطة دفاعية وانضباط أضعف هذه القوة وجعلها صيدا سهلا للزولو. وكما أثبتت رورك دريفت فى وقت لاحق، فيمكن التغلب على عدو ذي أعداد متفوقة، لاسيما عندما تتوفر الأسلحة المتفوقة. وفي ايساندلوانا، لم تنفد الذخيرة من القوات، ولكنهم لم يتمكنوا من الحصول عليها فى الوقت المناسب.

وكان كل من ثيسيجر ودورنفورد قد افترض هذا الافتراض الطبيعي بأنهم كانوا أفضل استعدادا من العدو. وافترضوا أنه كانت لديهم اليد العليا من حيث العدد والتكنولوجيا والتكتيكات، وكما أثبتت المعركة فى اليوم التالي، فقد كانوا مستعدين لها. المدافع لا تطلق النار من تلقاء نفسها، بل هم الرجال من يطلقونها فى ايساندلوانا هيل. الأحد عشر صليبا من صلبان فيكتوريا والرجال الشجعان الذين قاتلوا فى اليوم التالي دفاعا عن شرف الإمبراطورية وولي العهد ضد صعوبات جمة لا يمكن أبدا أن تغير هذه الحقيقة.

(18)

" معركـــــة ماجــوبا هيــــــل " ..

فاتورة عدم الاستماع لضباطك !

كان البوير (والذين يسمون أيضا الأفارقة أو الفورتريكرز) منحدرين من المستوطنين الهولنديين فى جنوب أفريقيا، والذين وجدوا أنفسهم للأسف فى ظل الحكم البريطاني عندما ضم السير ثيوفيلوس شيبستون جنوب أفريقيا بعد الحرب الإنجليزية الزولوية فى عام 1877، عندما أفلست الجمهورية. وكان هناك بالفعل اثنان من جمهوريات البوير المستقلة، ودولة أورانج الحرة وجمهوريات ترانسفال. وقد اعترف البريطانيون باستقلالها فى البداية، على الأقل مؤقتا، فى أوائل خمسينيات القرن التاسع عشر..

قد غلف البريطانيون هذا الكرم بالقول علنا بأن كِلا المنطقتين سيتم ضمهما فى النهاية بسهولة عن طريق الوسائل السلمية فى غضون بضع سنوات. لقد كانوا مخطئين. وبدلا من الانضمام إلى الإمبراطورية، عقد البوير فى جمهورية جنوب أفريقيا البرلمان للعودة والاعتراف باستقلالهم. وتم رفض ذلك وقد احتجوا على الرفض، ولكن دون جدوى. لذلك، فى عام 1880، ثار البوير وشكلوا بسرعة وحدات كوماندوز، مع ما مجموعه سبعة آلاف من القوات غير النظامية، وبدأت حرب العصابات.

وقد كلف اللواء السير جورج كولي، حاكم ناتال المعين مؤخرا، والتي تطل أيضا على منطقة الترانسفال، بإخماد هذا التمرد. وقد حصل على نصائح متضاربة حول البراعة التي ينبغي أن يتحلى بها. وكقائد عسكري ناجح ويحظى باحترام بالغ مع العديد من الانتصارات فى حملات أخرى تضاف لرصيده، انتهج الخيار العسكري وانطلقوا مع قوة من ما يقرب من ألف رجل فى مناوشات مع العدو فى لينجز نيك وفي نهر ايني جوجو، ووضع كولي نصب عينيه على ماجويا هيل.

وهذا كان حيث كان يتعين على البوير اتخاذ موقف، حيث وفر التل نقطة استطلاع استثنائية والتي يمكنهم من خلالها السيطرة على الممر الرئيسي بين أراضي ناتال وترانسفال. وبعد أن غزوا نصف سكان العالم فى القرنين الماضيين، لم يكن هناك بصيص من شك فى تحقيق فوز سهل فى معركة سهلة من قبل الجنود البريطانيين المحنكين. وفي يوم 26 فبراير، قاد كولي مفرزة من 350 رجلا من إجمالي قواته فى مسيرة ليلية حتى الهاوية شديدة الانحدار. وخطط كولي أنه تحت جنح الظلام سيتمكن رجاله من السير على الأرض المرتفعة بسهولة، دون أن يتم اكتشافهم من قبل البوير حتى يصلوا إلى القمة.

ويمجرد وصول البريطانيين للقمة، هاجم البوير القوات وذبحوا أو قبلوا تقسيم تمردهم. والحركة لم تكتشف، على الرغم من التضاريس الحادة والصعبة للغاية. ونتيجة لذلك، وصل كولي ورجاله بالكاد للقمة قبيل الفجر، بعد أن صارعوا المنحدر الغادر طوال الليل. استنفدت قوة الجنود البريطانيين، ولكن كولي كوفئ مع رؤية واضحة لمعسكر البوير أسفله.

أعلن كولي أن جميع الذين شاركوا يستحقون قسطا من الراحة، بما فى ذلك كولي نفسه. واعتقد اثنان من ضباطه الصغار، هاميلتون وماكجريجور، أنه يجب التحضير لمسائل أخرى أولا. ربما ينبغي إجراء استطلاع شامل أكثر للمنطقة والتلال حول القمة قبل إنشاء المعسكر بالفعل؟ ربما بعض المسارات التي اتبعت، والتي قدمت وصولا أفضل وأكثر تنوعا لموقعهم، ربما ستكون هذه المسارات أكثر وضوحا فى النهار؟ وقدم اقتراح قوي آخر من قبل هذين الضابطين .بأن الرجال يجب أن يرسخوا قواتهم، ويجهزوا أنفسهم للاعتداء والهجوم، فى حين حمايتهم من نيران القناصة التي تعرضوا لها فى وقت سابق من قبل عدوهم.

وعلاوة على ذلك، ينبغي توجيه الذخيرة والإمدادات الاحتياطية والتي كانت فى الجزء الخلفي من العمود إلى القمة بحيث تكون جاهزة فى حالة إعادة تموين القوات. اعترض كولي على كل الاقتراحات. وبدت حججه مقنعة، لنفسه على الأقل. الحجر الصلب فى القمة جعل من الصعب حفر خنادق. لن يكون هناك وقت لذلك فى وقت لاحق. قد أنهكت قوة الرجال وقوته أيضا. كان يمكنه أن يرى العدو بوضوح وهم يهبطون أكثر لأسفل. لم يبد أن هناك أي هجوم.

بالتأكيد لا يوجد ضرر سيأتي من أخذ استراحة لبعض الوقت والحصول على قسط من الراحة. وبعد كل شيء، استغرق هو ورجاله الليل بطوله للوصول إلى هناك. إن أي اعتداء من أسفل كان سيستغرق وقتا طويلا، وبحلول الوقت الذي نظموا فيه أنفسهم واستراحوا جيدا، بدءوا الحفر وكانوا جاهزين. ومع ضوء الفجر تمكن البوير فى الأسفل من رؤية القوات البريطانية فى الجزء العلوي من تل ماجوبا هيل، وتم إرسال قوة للاشتباك معهم. ومع معرفة التضاريس جيدا إلى حد معقول، بقي البوير تحت غطاء وهم يحاولون تسلق منحدر حاد مع قوات كولي على طول الطريق، وعادة مع دقة مميتة، واصطياد خصومهم من مسافة فى وقت واحد.

وعندما وصل البوير إلى القمة أعربوا عن وجودهم على الفور مع إطلاق النار بشكل سريع ومستهدف جيدا مما خلف مثل سحابة من الدخان بحيث تمكن البريطانيون بالكاد من رؤية عدوهم الذين كانوا يركضون نحوهم. وكان رد فعل البريطانيين هو الارتباك، يليه الميل إلى التراجع، مما حول الأحداث إلى هزيمة. وهذا لم يكن متوقعا على الإطلاق. كيف تمكن هؤلاء المتمردون مع سوء التجهيز والتدريب من الوصول إلى القمة بسهولة، في حين اصطياد جميع الجنود البريطانيين المدربين بشكل جيد؟ البرقيات من رجال كولي تروي الحكاية: الساعة 9:30 صباحا. "الجميع مستريحون جدا. البوير أضاعوا الذخيرة". الساعة 11:00 صباحا "البوير لا يزالوا يطلقون النار بكثافة ... والبوير من المتوقع أن يكونوا هنا خلال يومين على الأقل .... البوير لا يمكن أن ينالوا منا .... بالتأكيد خسائر البوير هي أثقل من خسائرنا". الساعة 2:35 ظهرا "رجالنا طُردوا من التل ... العديد من الضباط وبعض من ذوي الرتب العالية قتلوا وجرحوا".

(من مراسل صحفي يوم من جبل بروسبكت القريب) "... كانت المذبحة مخيفة ... لكن المعركة انتهت. انتصر البوير في كل نقطة تقريبا، وكانوا يطلقون النار بكثافة، وأسقطوا رجالنا في كل مكان .... كانت الخسارة مخيفة". كولي، على الرغم من إطلاق النار بشكل متفرق والذي بدأ منذ أن لوحظ وجودهم من الأسفل، كان نائما عندما وقع الهجوم الفعلي... ولكنه نهض على الفور وبدأ يلقي بأوامره في محاولة للتعويض عن الوقت الضائع. وقد قتل تقريبا بنيران قناص من البوير. ماكدونالد، الذي نصحه حول قضية ترسيخ القوات في وقت سابق، قاد قوة من عشرين رجلا في محاولة لصد القوة القادمة على الجانب الغربي من التل وقاتلوا ببسالة.

تم اقتناص رجاله واحدا تلو الآخر حتى لم يبق إلا هو وعريف مساعد معه. وعندما نفدت ذخيرتهم استمروا في إلقاء الحجارة على البوير وفي نهاية المطاف وقعوا في قبضتهم عندما نفدت الحجارة. وعندما انتهى كل شيء كانت خسائر البريطانيين 93 قتيلا، و 133 مصابا، و 58 أسرى، فقط من 350 رجلا. وقد تم القضاء على القوة بكاملها في غضون ساعات قليلة. ومن بين هؤلاء المعتقلين كان الملازم الثاني الباسل ماكدونالد، الذي هزم في نهاية المطاف فقط بعد أن فقد مسدسه وسيفه، ثم ألقي القبض عليه من قبل أربعة رجال مسلحين

من البوير. وكانت خسائر البوير قتيلاً واحدًا وخمسةَ جرحى. واستمر الهجوم نفسه لمدة ساعة، ولكن هذا فقط بعد أن قام البوير باقتناص قوات كولي بنجاح لساعات. ما الخطأ الذي حدث؟ صحيح هو كان معروفا بالتكتيك العسكري الاستثنائي مع العديد من الانتصارات الاستراتيجية فى ماضيه، ولكن خطأ واحدًا غبيًّا فقط أنهى حياته المهنية اللامعة والمشرفة.

كانت هزيمة مرِّوعة. ولو تمكن الرجال من الحفر لكانوا قادرين على الدفاع عن أنفسهم، ولكن هذا لم يكن هو الحال. ونتيجة لذلك، كانوا يجلسون فى العراء، وتم اقتناصهم من قبل القناصة حادي البصر كالنسور من الأسفل. وعلاوة على ذلك، من خلال عدم السيطرة على الأرض بشكل كامل والتعرف على التضاريس بمجرد وصولهم للقمة، فشل فى تنظيم قواته فى موقع أكثر دفاعا. لم يتوقع كولي ببساطة أنهم فى حاجة إلى موقع يمكن الدفاع عنه. وقد صعدوا إلى القمة لتحويلها إلى موقف هجومي لمهاجمة المعسكر فى الأسفل.

ولم يتوقع كولي الوضع بأن ثمن تجاهله للنصيحة الأكثر حذرا من ضباطه الصغار هو حياته. وعلاوة على ذلك، بمجرد أن بدأ الهجوم بالفعل، رفض كولي التصديق بأنهم كانوا فى خطر حتى كان الوقت متأخرا جدا للرد بشكل كاف. وقد قللت القوات الملكية من شأن وعدد المحاربين البوير. افترض البريطانيون أنه لأنهم كانوا يقاتلون زملاء من أصل أوروبي، فسوف يقاتلون مثل الأوروبيين.

كان لدى البوير أفكار أخرى. وبادئ ذي بدء، هم كانوا يرتدون ملابس الكاكي التي امتزجت بالمناظر الطبيعية. وقد تعلموا أن هذا يجعل صيد الحيوانات البرية أسهل، كما أنه ثبت بأنه مفيد بنفس القدر عند صيد هدف أكثر خطورة – الجيش البريطاني. ولباسهم غير الموحد سهل عليهم أيضا كمحاربين الانسجام مع المواطنين البوير من غير المشاركين فى القتال. وكان أيضا نهاية عهد النيران الشاملة كسلاح رئيسي للحرب.

وكانت البنادق أكثر دقة، وكان مداها الفعال عشرة أضعاف فى بداية هذا القرن. كان البوير رماة ممتازين وكانت يقتنصون الجنود البريطانيين من أماكن خفية، بدلا من تقييد أنفسهم بالوقوع فى اشتباكات مباشرة فى ساحة المعركة.

وكانت هناك أيضا غطرسة سائدة فى هذا القرن تقريبا، باستثناء فى ايساندلوانا، حيث لم تتمكن أية مجموعة من السكان المحليين والذي يرتدون ملابس رثة هزيمة الجيش النظامي. لم

يفشل كولي فقط فى تنظيم قواته، بل إنه أنشأ معسكره على القمة، وقطع كل إمكانية للتغطية، والتراجع، والهروب. وكان قد قاد رجاله إلى موقع حيث كانوا جالسين كالبط، وكانوا من المؤكد جاهزين للقنص من قبل رماة البوير غير الرياضيين. كان الخطأ الحقيقي الذي ارتكبه كولي هو أن قواعد الحرب قد تغيرت، وأنه فشل فى قبول هذا. وهو لم يتعلم من أخطائه، وهذا أدى إلى هزيمة تلو الأخرى لجنود صاحبة الجلالة. وفي أغسطس من عام 1881 أعلن البرلمان برئاسة رئيس الوزراء جلادستون استقلال جمهورية الترانسفال، بالرغم من وجود الرقابة من قبل ولي العهد، الذي كان نفوذه وآراؤه غير قابلة للتطبيق تماما بسبب التقصير فى أداء خدمات صاحبة الجلالة أثناء الحرب.

(19)

"معركة حصار الخرطوم" ..
جوردون يواجه المهديَّ !

"معركة حصار الخرطوم" ..

في 26 يناير 1885، بعد مواجهة لمدة تسعة أشهر تقريبا، ومع عدم وجود عمود للإغاثة فى الأفق والمحيط الدفاعي للمعقل أضعفه انحسار المياه الموسمية لنهر النيل، سقطت مدينة الخرطوم، تحت قيادة الحاكم الجنرال تشارلز جورج غوردون، أمام قوات المهدي محمد أحمد. والأغرب أنهم لم يواجهوا بعضهم البعض فى ساحة المعركة. ولكن كان هناك رد من أحد الجهاديين والذي كان صاحب سلطة أعلى. وكان الرد الآخر بأوامر من ولي العهد لأداء مهمة بشرف، على الرغم من عدم موافقته على تلك المهمة، وافتقاره للدعم لتحقيق ذلك. وكان تشارلز جورج "الصيني" غوردون الأقرب لإنجلترا الفيكتورية أحد المشاهير العسكريين.

وكواحد من قدامى المحاربين فى حرب القرم وحرب الأفيون الثانية، مع الانتصارات المتتالية على التايبنجس (الحملة التي حصل منها على لقب غوردون "الصيني")، فقد شن حملة شبه ناجحة أيضا لقمع تجارة الرقيق فى السودان. وكان صريحا ويؤمن بالكفاءة، ونتيجة لذلك تمكن من السيطرة على العديد من القيادات فى كل من الجيش والحكومة، ولم يكن مستعدا أبدا لتمضية الوقت لفعل شيء سياسي لهؤلاء العائدين إلى الوطن. لقد كان رجل أفعال والذي لم يهمه أبدا وصف منصبه بالكلمات المناسبة أو، فى الواقع، الاستماع إلى هذه الكلمات من رؤسائه ومرؤوسيه. ومع ذلك، كان الساسة فى إنجلترا ورئيس الوزراء جلادستون أقل من راضين، وعندما كانت تتاح لهم الفرصة لإسكاته من خلال إرساله لإخلاء الخرطوم، كانوا ينتهزونها ويفعلون.

وكانوا يريدون أن يبينوا له من هو الرئيس. ومع ذلك، كانت لدى غوردون أفكارٌ أخرى. كان المهدي محمد أحمد يعمل نجارا وباني قوارب وتلقى وحيا إلهيا لقيادة شعبه داخل الأراضي المصرية، والمطالبة بالسودان باسم الإسلام. ودون تدريب غربي رسمي، تمكن من جمع جيش قادر على اجتياح الميليشيات المصرية ومواجهة القوات الأوروبية على نحو متساوٍ.

وعلاوة على ذلك، أنشأ شبكة استخبارات والتي كانت تتألف من الأجانب ونجحت فى تقويض الهيمنة فى المنطقة. وعندما تخير بين اتباع مجموعة من الأجانب الذين يبدون لك كمواطنين من الدرجة الثانية وأقنان (عبيد) وزعم أحدهم بأنه يتبع إرادة الله القوية والانتقام، فقد اعتبر المهدي مقنعا جدا، وسرعان ما فرض هيمنته وقوته، وطرد الكفار من بلاده. وكانت الخرطوم فى طريقه، وكان ذلك هو الموقع الذي أرسل إليه غوردون لإخلائه قبل أن يطالب به المهدي مع قواته المتفوقة.

وفي غضون شهر من وصول غوردون فى الخرطوم ، وجد أن المدينة محاصرة تقريبا من قبل قوات المهدي، مما يعوق أي جهد كبير لمواصلة إخلائها وفقا لأوامره المباشرة. ونتيجة لذلك، قرر المحارب الأسطوري والمدافع عن التاج الاستعداد للموقف من خلال الاستفادة من الدفاعات الطبيعية التي توفرها المدينة على الجانبين من النيل الأبيض والنيل الأزرق ، وتحصين جزء من محيط المدينة ضد أي اعتداء مباشر من قوات المهدي.

وبعد ذلك جلس الزعيمان فقط وانتظرا لما يقرب من ستة أشهر. وخلال هذا الوقت، ترك غوردون أي خطط (إذا كانت لديه أي خطة أصلا) للإخلاء، وبدلا من استخدام الأنهار والعديد من المراكب والبواخر التي كانت تحت تصرفه لحمل الرسائل أسفل النهر، شن هجمات ضد منشآت العدو، وزاد من إمداداته المتوفرة من خلال الغارات على مخازن العدو. وعلل ذلك، فى نهاية المطاف، بأن جلادستون ورفاقه سيأتون لتأمين معقل ضد قوات المجاهد الذي كان يواجهه.

وبالمثل، جلس المهدي وانتظر، ووجه القوات ضد أهداف أخرى، وربما على افتراض أن قائد الأعداء فى معقله سوف ينتهز الفرصة فى نهاية المطاف ويقوم بإخلاء المكان بسلام. وعندما ذهب المجاهدون، كانوا حريصين على قتل المصريين الكفار والخائنين. وكان من الجيد أن يبتعد الأجانب. حاول غوردون إقناع المهدي بالتخلي عن الجهاد، فى حين أن المهدي حاول إقناع غوردون باعتناق الإسلام.

وفي سبتمبر، أصبح رجال المهدي أكثر عدوانية، حيث سبق أن استولوا على أقرب حامية، والتي كانت تقع فى بيربر ، وبالتالي زيادة عزل معقل غوردون ووقف على نحو فعال أي ثغرات فى حصار المعقل، ولم يتبق سوى الأنهار كوسيلة للخروج من الخرطوم. وفي منتصف نوفمبر، بدأت قوات المهدي التركيز على الهجمات على البواخر التي كان يستخدمها غوردون (سلاح المدفعية / القوة الوحيدة لغوردون. فقد غوردون إحدى بواخره المتبقية خلال هذه الحصارات، واستمر مستوى المياه فى النيل فى الهبوط مع استمرار موسم الجفاف.

وسرعان ما أصبحت الباخرة الأخرى غير قادرة على الإبحار، وأصبحت قوات المهدي قادرة على عبور نهر النيل عوما، وتطويق الخرطوم تماما. وفي منتصف ديسمبر أرسل غوردون آخر باخرة لديه نحو المصب. وكان المهدي قد وافق على السماح للباخرة بالعبور، بشرط أن

تكون الأخيرة. بقي غوردون فى المؤخرة، وكان متيقنا من وصول التعزيزات، وتجاهل تماما أوامره وجميع التقارير. تم تطويق الخرطوم.

لم يعد هناك وسيلة لإعادة الإمداد. لم يكن هناك أي بوادر لوصول التعزيزات. لقد انتهى أمرهم. بدأ الحصار بشكل جدي، وأصبحت الحصص اليومية من الغذاء أصغر وأصغر. وصلت التعزيزات المتمة الإثيوبية فى يوم 14 يناير، والتقت مع البواخر الأربعة التي أرسلها غوردون أسفل النهر بما يكفي بالقرب من الخرطوم لعبوره عوما. وتمكنت قوات المهدي من الهجوم من جميع الجوانب، وفعلوا ذلك. وانخفاض منسوب المياه فى النهر ترك جزءا واحدا من المدينة غير محمي بجدار، أو خندق، أو متراس، أو الماء.

فرضت قوات المهدي حصارا على هذا الانتهاك، وفي صباح يوم 26 يناير، كانت المدينة قد فقدت وقُتل غوردون. ما هو الخطأ الذي حدث؟ ليس من العدل ولا البساطة القول إن التعزيز فقط لم تصل فى الوقت المحدد، أو أن الخونة والمرتدين تمكنوا من تخريب الدفاع عن المدينة وقوات غوردون، أو أن تغير المد والجزر وإضعاف الدفاع عن محيطهم كان لا مفر منه، أو أن قوات المهدي كانت أكثر شجاعة وذات قوة أكبر بما فيه الكفاية.

وعلى الرغم من الاحتفاء بغوردون على الفور فى الصحافة كشهيد بطل، فليس هناك شك فى أن مصيره كان يُحسد عليه، ورأسه معلق على رمح، وكان هذا إلى حد كبير خطأ منه، بعد أن أعطى أوامر مباشرة بإخلاء الخرطوم فى واحدة من العديد من الفرص قبل الوصول إلى المراحل النهائية من الحصار. وبعد سقوط الخرطوم ومقتل غوردون، فإنه ينبغي أيضا أن نتذكر أن المهدي قد أمر بالقبض عليه حيا، وبالتالي فإن قتله هو خطأ أكثر منه مأساة.

وبالإضافة إلى ذلك، يجب أن نتذكر أن الأوامر الأساسية التي أعطيت لغوردون، والتي كانت فى الواقع السبب وراء إرساله إلى الخرطوم ، كانت لإخلاء المدينة وليس للدفاع عنها. وكان رؤساؤه فى إنجلترا قد وزنوا الحقائق، وراعوا السياسة والنفقات واستقروا على مسار العمل هذا. وحقيقة أنه يعتقد أنه كان يفتقر إلى كمية كافية من القوارب للقيام بهذه المهمة، ووجود تهديد خطير وكبير للهجوم عليهم أثناء الرحلة للوصول إلى بر الأمان، قد تكون دقيقة، ولكن نظرا للبديل (الذي وقع)، فيبدو أن هناك إشارة إلى خلل فى تقدير الأوامر.

وهذه ليست لخصم لخصم ذنب الفصائل المختلفة المعادية لغوردون فى إنجلترا ، والذي، على الرغم من غضب الجمهور وزعم الشفاعة الشخصية من الملكة، جر أقدامهم فيما يتعلق بإرسال التعزيزات المطلوبة له. وسواء كان هذا بسبب تردد جلادستون المعتاد أو مجرد الكراهية لغوردون، حيث كان الكثيرون يسعون لإفشال مهمته (وصمة عار للرجل)، فمن الواضح أن المساعدة لم ترسل له فى الوقت المناسب فى أفريقيا.

وكان المستقبل من نصيب الميجور كيتشنر. وبعد ثلاثة عشر عاما انهارت إمبراطورية المهدي إلى الأبد فى مذبحة أم درمان، والتي كان يعتقد بعدها أن الاحتفال الديني تكريما للجنرال غوردون ينبغي أن يقام فى القصر فى الخرطوم . وكانت المراسيم تقام من قبل أربعة من رجال الدين من الكنيسة الكاثوليكية، والأنجليكانية، والمشيخية، والميثودية وكانت تنتهي بالنشيد المفضل للجنرال "امكث معي". واتفق الجميع على أنه قد تم الانتقام للجنرال غوردون فى النهاية.

(20)

" معركــة مانيـلا " ..

انتزاع الهزيمة من فكَّيْ النصر !!

مقدار قليل قاتل من سوء الفهم يمكنه فى بعض الأحيان انتزاع الهزيمة من بين فكي النصر، أو على نحو أدق، الموت الذي لا معنى له والدمار من بين فكي الاستسلام السلمي والتسوية. منحت الحرب الأسبانية الأمريكية أمريكا فرصة لبناء إمبراطورية خاصة بها، والتي يمكن بسهولة أن تكون آمنة على الجانب الآخر من الحرب فى حين شنت الحرب على شواطئ كوبا وأماكن أخرى. وكان الأدميرال جورج ديوي بالفعل أحد أبطال الحرب الأمريكية قبل أن يغامر بالذهاب إلى مانيلا باي فى الفلبين. خدم ببسالة مع القوات البحرية الأمريكية فى معارك نيو أورليانز وميناء هدسون خلال الحرب الأهلية. (على الرغم من أن الحرب الأهلية لا ينظر إليها عادة على أنها حرب بحرية، ومعارك عديدة بين قوات الاتحاد والكونفدرالية والتي أسفرت عن اشتباكات عبر أعالي البحار خلال سنوات الحرب، وقدمت أيضا لكلا الجانبين خبرة أساسية فى الاستخدام الفعال للحصار البحري).

وفي السنوات التي أعقبت الحرب، شق طريقه إلى صفوف الخدمة قبل الالتحام فى واشنطن العاصمة، فى تسعينيات القرن التاسع عشر، حتى تعيينه فى عام 1897، من قبل مساعد وزير البحرية ثيودور روزفلت آنذاك كقائد جديد للأسطول الآسيوي فى الشرق الأقصى. وهذا وضعه فى مكان العمل عندما بدأت الحرب الأسبانية الأمريكية فى أبريل من عام 1898، مع تسلسل الأحداث التي بدأها الغرق المفترض للسفينة مين من قبل القوات المتعاطفة مع الأسبان فى كوبا.

وكان يخطط مسبقا للحرب مع أسبانيا، وتم إطلاع ديوي على أن الهدف من السرب الآسيوي تحت قيادته، بمناسبة الحرب، هو الدفاع عن الفلبين. لذلك، فى أول مايو 1898، قاد ديوي بفخر قواته إلى مانيلا باي، ولم يخش من التقارير حول الألغام التي كانت مزروعة فى مدخل الميناء والتهديدات الأخرى بالدفاع، لمواجهة العدو الأسباني المحلي. وفي أقل من يوم واحد، تم تدمير الأسطول الأسباني فى الموقع وحوصر مانيلا باي.

وكانت الحملة فى هذا الجزء من المحيط الهادئ قد انتهت تقريبا بمجرد أن بدأت، ودون فقدان روح أمريكية واحدة. كان ديوي منتصرا. وكان كل ما يتعين عليه القيام به هو ترتيب استسلام سلمي وانتظار وصول قوات الاحتلال الأمريكية. ولسوء الحظ، فإن تلك القوات لم تأت إلا بعد ثلاثة أشهر على الأقل. وصلت أربع مفارز أخيرا، مما سمح لديوي فى نهاية

المطاف بالضغط من أجل إضفاء الطابع الرسمي على استسلام القوات الأسبانية. وعندما لم يحدث استسلام رسمي من واشنطن، أرسل ديوي إنذارا لقائد القوات الأسبانية بأن القصف الذي يعقبه هجوم مباشر سيبدأ ما لم يتم تسليم الميناء. (أدرج تأخير لمدة 48 ساعة أيضا للسماح بالإجلاء السلمي للمدنيين غير المقاتلين).

ويبدو أن قائد القوات الأسبانية قد قبل الأمر، لكنه أشار إلى أن قوات ديوي منعت الإجلاء السلمي للمدنيين، الذين لم يكن لديهم أي مكان آخر يذهبون إليه فى الواقع. وهذا أجل الجدول الزمني لأربع وعشرين ساعة إضافية، تليها مزيد من التأخير لمدة ثلاثة أيام بسبب الأمور التي أبطأت وصول القوات الأمريكية المحتلة، قبل وقوع الاستسلام فى الواقع. وكل هذه التأخيرات أعطت الوقت الكافي لديوي ونظيره الأسباني لعقد اجتماع بشأن الكيفية التي يمكن أن يتم بها الاستسلام مع أقل الخسائر فى الأرواح والممتلكات المحتملة.

وكانت الخُطة أن قوات ديوي توجه قصفًا على مالات فورت (التي سبق أن قصفت بشكل كبير ومن ثم تم التخلي عنها فى مشادة كلامية خلال الجلسة السابقة، الآن ثلاثة أشهر فى الماضي) لمدة ساعة تقريبا كاستعراض جديد ومباشر للقوة من جانب الحاكم الأسباني مع سبب ضروري للاستسلام. وكان بعد ذلك سيرفع الراية البيضاء من الحصن لتوجيه جميع قواته بالتنحي والسماح للقوات الأمريكية بدخول المدينة وسلميا بدء الاحتلال دون أية خسارة أخرى فى الأرواح على أي من الجانبين، وبدون إحراج قادة القوات الأسبانية فى الموقع.

كان ديوي فخورًا جدا بنفسه. وكان التأخير بين هجومه الأولي وقراره الذي تأخر الآن لعدة أشهر لم يولد أي إصابات جديدة أو خسائر فى قواته. فقط القليل من استعراض القوة، يليها التلويح بالراية البيضاء، وبعد ذلك كل شيء سيكون موضع ترحيب فى شوارع مانيلا. وبدأ كل شيء وفقا للخطة الموضوعة. وتم استهداف السفن على الحصن لقصفها. وكانت القوات الأمريكية مستعدة للدخول السلمي للمدينة. وكان الحاكم الأسباني على استعداد لرفع الراية البيضاء، والشروع فى الاستسلام. وكان ديوي واثقا، بل مغرورا، وعلى استعداد ليربت نفسه على ظهره، لذلك فلندع القصف يبدأ ! أعطيت الإشارات ورفع الحاكم الراية البيضاء لإعلان الاستسلام كما هو متفق عليه سابقا. وللأسف، لم يرها ديوي ورجاله فى الميناء. وكان الحاكم قد رفع الراية بالفعل، ولكن الرياح جعلتها تطير فى زاوية حيث اختفت على خلفية الجدار

الأبيض المحيط بها، مما جعلها غير مرئية تقريبا للسفن فى عرض البحر.

وبعد ما اعتبره فترة فاصلة مقبولة، نفد صبر ديوي وفتح النار مرة أخرى، على أمل دفع الأمور قُدما. وحينها فقط تمكن من رؤية الراية البيضاء على خلفية الدخان، والنيران، والركام الناجم عن الجولة الثانية من القصف. وعلى الفور، أمر سفنه بوقف إطلاق النار. ومع ذلك، تسببت هذه الإجراءات فى المزيد من الارتباك للقوات على الشاطئ. والقوات الأمريكية التي كانت قد شرعت فى دخول المدينة بعد وقف القصف الأول فوجئت باستئناف إطلاق النار، وانتهى بهم الأمر إلى الاشتباك مع القوات الأسبانية المرتبكة أيضا، مما أدى إلى ست عشرة حالة وفاة من الأمريكان والذين كانوا يحتشدون ضد القوات الإسبانية خلال فترة الحصار، والتخطيط لمساعدة الأمريكيين فى الهجوم النهائي (ولكن كان من الواضح أن القوات الأمريكية لم تراع هذا، وبالتالي لم تكن لديهم فكرة عن الخطة)، فشنوا الهجوم على موقع القوات الأسبانية والذي سقط بسرعة فى أيدي الأمريكيين.

ما هو الخطأ الذي حدث؟ أولا، حتى استعراض القوة يجب أن يؤخذ على محمل الجد، ومراعاة جميع تداعياته مقدما. أنت لا تزال تستخدم الذخيرة الحية، والناس لا يزالون يتعرضون للإصابة (في هذه الحالة فإن هذا أدى إلى سقوط ضحايا من القوات الأمريكية وحدهم فى مسرح الفلبين خلال هذه الحرب الصغيرة). ثانيا، مهما كانت الخطة جيدة (أو ذكية)، فيجب أن يكون لديك دائما خطة احتياطية جاهزة، والأهم من ذلك، وسيلة للتأكد من أن جميع الأطراف هي دائما على نفس الصفحة. ثالثا، كان يمكن لديوي استخدام الوقت المنقضي بين الهجوم الأول ووصول قوات الاحتلال لوضع خطة أكثر اكتمالا لتنفيذ الاحتلال بحيث لا يحدث تأخير فى إجلاء المدنيين ووضع قوات الاحتلال فى أماكن الاستعداد فى الوقت المناسب. رابعا، حافظ على جميع الأطراف المعنية فى الحلقة - عامل التمرد كان يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار والتعامل معه مسبقا.

ظنوا أنهم كانوا هناك للمساعدة. وفقط لأنهم لم يكونوا جيشًا نظاميًّا لا يعني أنهم بحاجة إلى أن يتركوا فى العراء. وفي الواقع، كانت قاعدة بوتري بارن قائمة حتى في ذلك الوقت ("إذا كسرتها، فيجب عليك شراؤها")، وبالتالي كلف قوات الاحتلال الأمريكية بوظيفة استعادة

النظام فى مانيلا وفي نهاية المطاف فى الفلبين بالكامل، وفرض ما يشبه السلام على الأرض. وفي كثير من الحالات، هذا انطوى على قمع وكبح جماح قوات المتمردين، والذين أرادوا فى البداية فقط المساعدة فى هجمات على الأسبان، ولكنهم تمنوا الآن أن يكونوا جزءا من انتزاع السلطة الذي يسير جنبا إلى جنب مع غزو دولة مضطهدة. ووسائل نشر القوات بالتكنولوجيا المتطورة اليوم تقضي بشكل فعال على مثل هذا التأخير بين النصر والاحتلال. وما يحدث بعد ذلك يبدو أنه إفساد لتفكير القادة العسكريين الأميركيين.

(21)

" معركة سـاموا " ..

الصراع بين الأسبان والأمريكان !

في أواخر القرن التاسع عشر، أدى الصراع بين الولايات المتحدة والتوسع الأوروبي إلى العديد من الدعاوى العنيفة (مناوشات أو حروب صغيرة) فى الأراضي البعيدة لتحقيق مصالح الاستحواذ على القوى العظمى بعد ذلك. وكانت جزر ساموا نقطة خلاف بين ألمانيا والإمبراطوريات فى المحيط الهادئ. وكانت الولايات المتحدة قد أمنت دبلوماسيا محطة للتزويد بالفحم فى باغو باغو فى مقابل الحماية ضد البلدان المعادية.

ولسوء الحظ، كانت لألمانيا خطط فى المنطقة أيضا، وتمنوا تأمين مكان لهم فى ميناء آبيا هاربور القريب، مما أدى إلى المواجهة مع القوات الأمريكية فى عام 1888، عندما قصفت السفن الألمانية ميناء آبيا – وتحالف الولايات المتحدة والسفن الحربية البريطانية التي رست هناك. عقد الكونغرس بالفعل وأمروا الأسطول بالانتقام لحماية المصالح الأمريكية فى المنطقة، وهو ما فعلوه، ولكن تم وضع الحرب الفعلية على قائمة الانتظار حتى عقد مؤتمر بين السلطات الثلاث فى برلين. وفي انتظار حدوث ذلك، فى 16 مارس من عام 1889، حسم إعصار الأمر، ودمرت السفن الحربية الأميركية الثلاث والسفن الحربية الألمانية الثلاث التي كانت فى المواجهة فى آبيا.

وقررت السلطات الثلاث عدم الضغط، وأعربت الطبيعة الأم بالفعل عن رأيها والدعوة للتحكيم بالأرصاد الجوية، وقسّموا ساموا إلى ثلاثة أجزاء فيما بينهم. وللأسف، لم يهتم أحد بمواطني ساموا، وأطلت الحرب الأهلية خلال التمرد المحلي بوجهها القبيح. وفي عام 1899، صعد الزعيم القَبلي الدمية الألماني إلى السلطة، ووحد ساموا اسميا وانتهك دبلوماسيا المعاهدة الثلاثية التي تم التفاوض عليها.

وشعرت الولايات المتحدة و بريطانيا بالغضب وشكلتا تحالفا لإعادة ألمانيا إلى مكانها، أو، كما زعموا فى ذلك الوقت، إعادة تأسيس النظام فى ساموا. واستخدمت القوات المشتركة تحت القيادة المشتركة بنجاح قوة النيران لقصف المعارضة لإخضاعها. واسميا، وجه هذا تجاه المتمردين فى ساموا خلال الحرب الأهلية، على الرغم من حقيقة أنهم تمكنوا أيضا من السيطرة على القنصلية الألمانية وزورق حربي ألماني وربما لم يكن هذا من قبيل الصدفة.

تم إعادة تأسيس النظام القَبلي بمساعدة من القوات المتحالفة، وتم تتويج ماليتوا تانو كملك لساموا بمباركة من التحالف الأمريكي البريطاني، وعند هذه النقطة قام المنافس على

العرش والمدعوم من ألمانيا وحلفاؤه بإطلاق النار على الائتلاف الحاكم الجديد. وكان التحالف قد لاقى نجاحا كبيرا مع قمع هذه القوات من قبل، من خلال قصف المتمردين. وكانوا يعرفون أنهم كفوا عن قتال الألمان. وكانت هذه مجرد قوة صغيرة أصلية. وسرعان ما تم استعادة قدر صغير من السلام والنظام الداخلي. أو على الأقل هكذا كانوا يتصورون. وفي أول أبريل 1899، دخلت قوة مشتركة من 122 من الجنود البريطانيين والأمريكيين مدعومة بمائة جندي غير نظامي الأجمة تحت قيادة اللفتنانت فريمان من البحرية الملكية.

وبمجرد أن تقدم بما فيه الكفاية داخل الأجمة التي لم يعد من الممكن ملاحظتها من السفن البحرية (وبالتالي حُرموا على الأقل مؤقتا من التعزيزات المباشرة أو غطاء ضد نيران القصف)، تعرضوا لكمين من قبل المتمردين وقائدهم، حيث فتحوا النار عليهم من مواقع مختارة بعناية فى الحشائش العالية، مما وفر لهم نقطة حماية ممتازة لإطلاق النار وكذلك الحصول على غطاء للحماية.

وبعد أن فكر بسرعة، أمر فريمان قواته بالتراجع إلى شاطئ الأمان، حيث إن نيران الطائرات أنقذتهم من مجزرة مروعة. ومع ذلك، لم يعودوا كلهم بسلام. وتم اكتشاف ضابطين أمريكيين وضابط بريطاني واحد فى اليوم التالي، مع رؤوسهم منزوعة من أجسادهم، وآذانهم مفقودة، وربما أخذت كهدايا تذكارية من قبل قائد المتمردين. ما هو الخطأ الذي حدث؟ بادئ ذي بدء، القوى الكبرى الثلاث (الولايات المتحدة، وبريطانيا، وألمانيا) لم تنظر أبدا فى صراعهم على أنه أكثر من مجرد صراع على المصالح الوطنية.

كان كل شيء على ما يرام عندما لعبوا بموجب القوانين الأوروبية مع البنادق الكبيرة والقوارب الكبيرة وإطلاق النار على بعضهم البعض بعيدا عن الساحل، ولكن عندما يتعلق الأمر بالقتال رجل لرجل فى الأجمة ضد الشعب (أو بالأحرى، حيث اعتبرهم الحلفاء "السكان الأصليين") الذين عاشوا هناك، فإنه لا ينبغي أن نقول لهم بحماقة بأنهم ربما كانوا أقل عددا وكفاءة، لاسيما عندما فشلت المدافع الرشاشة للقيام بواجبها للملكة والوطن. وعقد مؤتمر آخر لتسوية المناوشات بين الأسبان وساموا مرة أخرى. وكان هذه المرة بين الولايات المتحدة وألمانيا، مع قبول بريطانيا التفكير فى منطقة أخرى من العالم. ومن المثير للاهتمام، أن الولايات المتحدة تمكنت من الحفاظ على مصالحها هناك، ولا تزال ساموا الأمريكية جزءا من الإمبراطورية الأمريكية.

(22)

ثورة الملاكمين فى الصين ..
الشيطان فى التفاصيل !

إنه لشيء مضحك - فى بعض الأحيان البلدان لا تراعي سيطرة المصالح الأجنبية على مصيرهم. ويغضبهم فقدان الأراضي واحتلالها من قِبَلِ قوى أخرى، وانهيار المركزية والسلطة القائمة باسم جيل جديد من السيطرة وإعادة الأمور إلى المسار القديم، عندما كانت الأمور أفضل. وكان هذا هو الحال فى الصين فى عام 1898، عندما عادت الإمبراطورة الأرملة تسيشي إلى السلطة كنائب، ومراقبة الصراع مرة أخرى مع الإمبراطور الشاب، الذي كان متعاطفًا بشكل مفرط مع (يمكن للمرء أن يقول تحت أمر) المصالح الأوروبية، ودعا إلى العودة إلى سبل الأيام الخوالي.

ومن تشجيعها الفعال، ظهر مجتمع ثقافي سري أطلق عليه اسم "جمعية الحق والقبضات المتآلفة" (إلى حيز الوجود)، والذي كان يؤيد أجندة كراهية الأجانب وإلقاء اللوم بشأن جميع ويلات الصين على الشياطين الأجانب، ودعا إلى مزيج من القيم الصينية التقليدية والصوفية التي من شأنها التغلب على عيوب الغرب وتحييد تكنولوجياته وأسلحته. وكانوا معروفين للأوروبيين باسم "الملاكمين"، وهي ترجمة فضفاضة للاسم الصيني الأصلي الذي أثار ممارسة الطقوس الخاصة بهم للعبة الملاكمة.

وعلى الرغم من أنها لم تكن بالضرورة منظمة لمعاقبة النظام القديم المعاد تأسيسه، فقد دعوا إلى العودة للطرق القديمة عن طريق تنفيذ هجمات إرهابية ضد المصالح الخارجية (مثل السكك الحديدية) داخل الصين، ومناهضة التنازلات التي قدمتها السلطات المحلية بشأن التعدين لتصب فى المصالح الخارجية. وفي البداية، كانت هجمات الملاكمين موجهة ضد المسيحيين الصينيين، الذين يُنظر إليهم على أنهم يتعاونون مع الشياطين الأجانب، وعادة ما كانت تأخذ شكل حرائق تستهدف بيوتهم وأعمالهم.

وبدأت الأمور حقًّا تزداد سخونةً فى 30 ديسمبر 1899، عندما تم إلقاء اللوم على الملاكمين بشأن وفاة أحد المبشِّرين البريطانيين، وظهرت على الفور احتجاجات قوية من الحكومتين البريطانية والألمانية، والتي أسفرت عن اعتقال وإعدام بعض المشتبه بهم ممن يعتقد أنهم هم المسئولون وشاركوا فى انتفاضة الملاكمين. ولم تظهر أية إدانة من الإمبراطورة الأرملة أو المتورطين فى انتفاضة الملاكمين، والذي أعتقد بأنه تأييد ضمني لأنشطة هذه الجمعية السرية. استمر الملاكمون فى إثبات وجودهم، وفي 29 مايو 1900، تعرض اثنان من المبشرين البريطانيين لهجوم، وقتل أحدهما.

وبعد 24 ساعة أدينت ما تسمى بانتفاضة الملاكمين وتم قمعها فورا، صعد الملاكمون من هجماتهم على المصالح الأجنبية، وتخريب السكك الحديدية وقطع خطوط التلغراف؛ ونتيجة لذلك، أرسلت المفوضيات الأجنبية فى بكين طلبا للمساعدة والتعزيزات للدفاع عن مواطنيها ومصالحها الوطنية من هؤلاء الإرهابيين.ونظرا للتعاطف الواضح من قبل الحكومة الصينية مع هؤلاء المتمردين، تم تشكيل تحالف من ثمان دول (الولايات المتحدة، وبريطانيا، والإمبراطورية النمساوية المجرية، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا، وروسيا، واليابان) تحت الاسم المستعار "حملة إغاثة الصين" والتي كانت مهمة علنية فقط لحماية وإنقاذ مواطنيهم ومصالحهم الوطنية فى الصين.

وفي يوم 9 يونيو، طلب وفد أجنبي فى بكين المزيد من التعزيزات لحماية أنفسهم من فصائل الملاكمين التي كانت تحكم الشوارع – تماما قبل قطع خطوط التلغراف خارج المدينة. ورد التحالف على الفور، وتشكلت قوة مشتركة من السفن قبالة مصب نهر بى هو، والتي بلغ مجموعها ما يزيد قليلا عن ألفيّ رجل فى الوحدات التي تتراوح فى حجمها من 25 من البحارة النمساويين إلى ثمانمائة من مشاة البحرية البريطانية، تحت قيادة بريطانية (كما يعرف أحيانا باسم حملة سيمور للإغاثة) والتي كانت تعتزم التقدم من تيان تسن إلى بكين فى أقرب وقت ممكن.

وجاء عمود الإغاثة هذا من عدة قطارات، حيث إن خط السكك الحديدية كان مباشرا أكثر وكذلك أسرع. وسارت القطارات بسرعة بدون أي تأخير، وكانت تحمل الحد الأدنى من الإمدادات حتى لا تثقل وتبطئ الحملة. وكان الهدف هو الوصول إلى هناك بسرعة، وتأمين المصالح، والقيام بهذه المهمة بسرعة وسهولة.

ولسوء الحظ، لم تسر الأمور بهذه السرعة أو السهولة. منذ لحظة مغادرتهم تيان تسن، اجتمعوا مع المعارضة، مما أبطأهم وتورطوا فى مناوشات استنزفت إمداداتهم. ووفقا للوثائق الأمريكية التي تؤرخ للحملة: من تقرير وزير البحرية جون د. لونج 11/17/1900 "في ليلة 9 يونيو، تلقى الأدميرال سيمور من البحرية البريطانية، وضابط بحري رفيع المستوى، برقية من الوزير البريطاني "ما لم يتم إغاثة هؤلاء فى بكين بسرعة، فإنه سيكون قد فات الأوان". وفي تمام الساعة 9:30 من صباح اليوم التالي تحرك عمود إغاثة، تحت قيادة

الأميرال سيمور، إلى العاصمة الصينية بالقطار، وكانت الحملة تتكون من 915 من الضباط، البحارة ومشاة البحرية البريطانيين، و 450 من الألمان، و 312 من الروس، و 158 من الفرنسيين، و 112 من الأمريكان، و 54 من اليابانيين، و 40 من الإيطاليين، و 25 من النمساويين، ما مجموعه 2.066 مقاتلا.

وقد وجدوا أن السكك الحديدية فى لانغ فانغ قد تضررت كثيرا لدرجة تجعلها عديمة الفائدة كوسيلة للتقدم، وتعرض هذا العمود، بعد قتال لمدة عشرة أيام فى بلد صعب، بدون وسائل نقل، أو ذخيرة، أو المستلزمات الضرورية للحملة الطويلة، لمزيد من الجرحى الذين وصل عددهم إلى 230، وقطعت وسائل الاتصالات من الأمام والخلف، وفي 20 يونيو، عادوا أدراجهم، وبعد عودتهم استولوا على الترسانة الإمبراطورية بالقرب من هسيكو، على بعد بضعة أميال فوق تيان تسن، وكانت التعزيزات تنتظرهم هناك.

ومن بين الجزء الذي نقل فى هذه الحملة الخطرة من قبل البحارة الأمريكيين، وردت إشارة شرفية فى جميع التقارير. وفي هذه الأثناء تم تعريض التسوية الخارجية فى تيان تسن نفسها للهجوم، وتم التواصل بين مشاة البحرية الذين تم إرسالهم من كافيت من قبل نورك وناشفيل، ووصلوا إلى تاكو. وأعطيت تعليمات على الفور بأن هذه القوة يجب أن تشارك فى المسيرة لإغاثة المحاصرين فى تيان تسن. ولكن هذه القوة، التي بلغ عددها أكثر قليلا من 500 رجل، كانت صغيرة جدا لإنجاز هدفها، وتراجعوا بسرعة بسبب الأعداد الهائلة. وفي اليوم التالي، 22 يونيو وصلت التعزيزات البريطانية، والروسية، والألمانية، والإيطالية، واليابانية، مما جعل القوة المشتركة تتكون من حوالي 2000 رجل.

وتم دخول المدينة الأجنبية تيان تسن ورفع الحصار. وفي صباح يوم الأحد 25 يونيو تم إغاثة القوة بقيادة الأدميرال سيمور، والذين كانوا متحصنين فى نقطة على بعد 8 أميال تقريبا من تيان تسن. وقد تحققت هذه الحركة مع معارضة لا تذكر، وفي وقت مبكر من صباح يوم 14 يوليو تم احتلال مدينة تيان تسن المسوَّرة من قِبَل قوات التحالف. ونتيجة لذلك، فإن حملة سيمور لم تصل أبدا إلى بكين، بعد أن اضطروا إلى التخلي عن السكك الحديدية فى يوم 19 يونيو، على بعد 25 ميلا خارج مواقعهم، وتعيين خط مناوشة بينهم وبين تيان تسن. واضطر رجال سيمور إلى اللجوء إلى مبنى حكومي صيني محصن، والذي تحول بعد ذلك إلى

ترسانة هسيكو، حيث إنهم كانوا قادرين على استعادة إمداداتهم المنضبة مؤقتا من المخزون من الأرز والتي كانت هناك، واستقروا فى انتظار هجمات أخرى من قبل الملاكمين حتى وصول التعزيزات حتى يتمكنوا من الاستمرار فى القتال فى طريق عودتهم للوطن.

وبعد الاستقرار واقتناص فرصة لمواصلة "التراجع الاستراتيجي" غادر رجال سيمور ملاذهم المؤقت، وقاموا بتدمير أية لوازم تركوها وراءهم لمنعها من الوقوع فى أيدي الملاكمين. وفي يوم 26 يونيو، عادوا من حيث أتوا، بعد أن فشلوا فى إغاثة بكين، مع سقوط ضحايا بمقدار 295 ضابطا وجنديا بعد يوم واحد من وصولهم. ما هو الخطأ الذي حدث؟ أول شيء كانت حملة الإغاثة تحتاج إلى القيام به هو تأمين وسيلة للوصول إلى وجهتهم.

أدرك سيمور بحق أن خطوط السكك الحديدية كانت تستهلك المزيد من الوقت للإصلاح لتوفير وسيلة للوصول الى مقصدهم. وفي الواقع، تبين أن أحد بحارة البحرية الأمريكية فى الشركة هو أكثر الأعضاء الذين لا يقدرون بثمن، لأنه كان الوحيد من بين أكثر من ألفي رجل قوي والذي تمكن من "إصلاح السكك الحديدية"، مما أدى إلى تنفيذ الإصلاحات الضرورية للغاية على طول الطريق. وسرعان ما تم تخريب القضبان أمامهم وخلفهم، مما حفر فجوات كبيرة بين قطارات العمود وتباطؤ تقدمهم إلى الزحف.

وعلاوة على ذلك، بدأ ينفد الحد الأدنى من الإمدادات حيث إن التأخير غير المتوقَّع قد استهلك الاحتياطيات الأقل من كافية. وتبين أن الجسر المدمر ما هو إلا القشة التي قصمت ظهر البعير وأعاقت تقدمهم، واستدعت التخلي عن مهمتهم، والتراجع فى وقت لاحق. وأيضا، لم يتحر سيمور بشكل كاف عن نفوذ الملاكمين فى المنطقة التي كان عليهم عبورها. وهم لم يعودوا مجرد عصابة أو مشكلة جنائية، وإنما هو تمرد منظم انضم إليه أفراد من الجيش الإمبراطوري فى مهمتهم التي كانت بالفعل مهمة إنسانية؛ بدعم من القادة الصينيين.

كما اعتمد سيمور على التكنولوجيا الحديثة التي جلبوها إلى الصين ، وخطوط التلغراف والقطارات، والأسلحة الرشاشة، وهلم جرا، ولكن عندما حُرموا من الوسائل للحفاظ على هذه المزايا، فإنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم فى رحمة قوة السكان الأصليين الذين أرادوا منهم أن يغادروا البلاد. وفشلت مهمتهم، وشعرت إمبراطوريتهم بالحرج.

(23)

" خطة شليفن " الألمانية ..
الفاتورة الباهظة لعدم الواقعية !

"خطة شليفن" الألمانية ..

كانت هيئة الأركان العامة الألمانية تشتهر بخبرتها التنظيمية والتقنية منذ تأسيسها خلال الحروب النابليونية. ولم تكن تتمتع فى كثير من الأحيان بالخيال، مع استثناء ملحوظ فى هجوم آردن فى عام 1939. وكانت بداية الحرب العالمية الأولى والجمود فى نهاية المطاف نتيجة مباشرة لهذا الافتقار إلى الخيال والخطة. وكانت هيئة الأركان العامة الألمانية تنظر لخطة شليفن كمخطط لهزيمة فرنسا فى ستة أسابيع أو أقل. وهذا من شأنه السماح للجيش الألماني لإعادة الانتشار ضد روسيا قبل أن تجلب هذه الأمة مواردها الضخمة، وتستدعي الملايين من جنود الاحتياط والمجندين.

وكانت المشكلة أنه عندما كتب الكونت ألفريد فون شليفن خطته لهذا الغزو، كانت مجرد ممارسة نظرية. وأيضا، فإنه يفترض أن التجيش الألماني المكون من عشرين فرقة كاملة كان أكبر من حجمه الفعلي فى كل من عامي 1905 و 1914. وترتب على هذا الإصدار الأول من الخطة آثار واسعة النطاق بسبب الشروط التي وضعتها على الجنود لتنفيذ الخطة. وبالإضافة إلى ذلك، كان المقصود من خطته حقا هو إثبات للقيصر الحاجة إلى إضافة عشرين فرقة فى الجيش حتى تصبح ألمانيا قوية بما فيه الكفاية لكسب الحرب الأوروبية واسعة النطاق. لكن رسالة الخطة قد نُسيت بسرعة، وخاصة بعد وفاة الكونت. وما تذكروه هو الوعد بهزيمة فرنسا فى ستة أسابيع وتحقيق النصر فى حرب قصيرة.

وكانت خطة شليفن تهدف إلى الاستفادة من حقيقة أن جزءًا واحدًا من الحدود الفرنسية كان أكثرَ دفاعا عن بقية الأجزاء. وكانَ هذا هو الجزء الغربي المجاور لبلجيكا ، والتي كانت حليفة لفرنسا. وتقرر أن يتم الهجوم من خلال بلجيكا، إلى داخل فرنسا وهذا لن يسمح فقط للفرق الألمانية بتدمير الدفاعات الفرنسية على بقية الحدود، ولكن أيضا من شأنه أن يوفر مسارا واضحا نسبيا إلى باريس. وخلصوا إلى أن انهيار فرنسا بعد استسلام باريس فى الحرب الفرنسية البروسية التي استمرت لمدة أربعين عاما كانت تشير فى وقت سابق إلى أن انقلاب مماثل من شأنه أن ينبع من خطة الكونت فون شليفن.

لذلك كانت الخُطة تضم أكثر من نصف الجيش الألماني الذي سيعبر من خلال بلجيكا وغزو الحدود الفرنسية البروسية السهلة نسبيا. وكانت هذه هي الخطة. وكانت وثيقة مثيرة للإعجاب، والتي بررت بالكامل إضافة عشرين فرقة إلى الجيش الألماني وهو بالضبط ما أراده

ألفريد فون شليفن. وما صدمه هو لأكثر من عقد من الزمان تم دراسة الخطة قبل الحرب العالمية الأولى، ولم يتم وضع خطة بديلة أخرى. وكانت المشكلة هي أن الهيكل السياسي فى تلك السنوات العشر قد تغير فى أوروبا. وعلى سبيل المثال، تحولت إنجلترا من كونها المنافس التقليدي لكونها حليفا لفرنسا.

وكانت الخطة واحدة، وليست سلسلة من المتغيرات. ولم تكن هناك بدائل، ولا أية أحكام، ولا شيء ليعكس ما يسمى ضباب الحرب. ولأنه وضعت لإظهار الحاجة إلى المزيد من القوات، وليس لتكون الخطة الوحيدة للعمل لأكبر حرب فى التاريخ الألماني، فلم تكن هناك حاجة للمرونة، لا شيء على الإطلاق. وعدم وجود المرونة حكم عليها بالفشل منذ البداية. ويقال، وهذا ينسب للجنود الألمان، الذين تم استدعاء معظمهم مؤخرا من وظائفهم المدنية، أن خطة شليفن كانت قريبة جدا من النجاح، على الرغم من عيوبها.

ما هو الخطأ الذي حدث؟ كيف نجحت فرنسا فى وقف الهجوم حسب الخطة والفوز بحرب صعبة بعد أربع سنوات؟ تعاون الفرنسيون بقدر ما أمكنهم. وفي حين أن هيئة الأركان العامة الألمانية قد خططت للهجوم عليهم، كانت الخطة الفرنسية تهدف للاستفادة من همة جنودهم لدفع الألمان من المقاطعات المتنازع عليها فى الألزاس حتى ألمانيا، مما اضطرهم إلى قبول السلام. ولا بد من التذكير أنه قد مر أكثر من أربعين عاما قليلا منذ أن فقدت فرنسا تلك المقاطعات واستولت عليها ألمانيا فى نهاية الحرب الفرنسية البروسية. وكانت هذه هي خطة الحرب الفرنسية المتوقعة، والحفاظ عليها ساهم فى الواقع فى تحقيق نجاح لا يذكر لخطة شليفن.

ولم يكن الخلل الحقيقي فى خطة شليفن فقط أنه كان من المستحيل تقريبا تنفيذ الخُطة، ولكن لم يكن بها أي مجال للخطأ. وافترض مخطط هيئة الأركان العامة أن كل جندي ألماني سيسير فى المسافة المتوقعة كل يوم، ضاربة عرض الحائط بكل المعارضة. وبعد كل شيء، كانوا يعرفون أن أعضاء هيئة الأركان سيفعلون ذلك. والمشكلة هي أنه بغض النظر عن مقدار الضغط الذي وضع على القادة الميدانيين للوصول فى الموعد المحدد، فإن هذا لم يحدث.

وكان معظم الجنود الألمان مدنيين منذ بضعة أسابيع فقط والذين تم استدعاؤهم للخدمة. وربما مرت عدة سنوات منذ أن تم تدريبهم ووضعهم فى صفوف الاحتياط. ولم يكن هناك

وقت للتكييف، لأن القدرة على حشد جنود الاحتياط بشكل أسرع مما كان أي شخص آخر يستطيع كانت إحدى المزايا الحقيقية لألمانيا، ولا يمكن تبديد هذه الميزة بإضاعة الوقت فى التدريبات والمسيرات. وبمجرد استدعائهم، كان يجب على القوات الامتثال بسرعة. وهذا شمل الأسلحة والذخائر، والأدوات، ومعطفًا ثقيلاً، والجراية.

وكانت هناك حتى خمور ضمن الجراية، والتي كان يتم التفتيش عليها ليلا للتأكد من أن الجنود لم يكونوا فى حالة سكر قبل إعطاء الأوامر لهم. وكان من المتوقع أيضا أن يقوم الضباط لفحص أكثر من مائتي قدم كل ليلة للتأكد من البثور وغيرها من المشاكل قد عولجت بسرعة. ولكن معظم الضباط كانوا أيضا كتبة مخازن وباعة فى الشهر السابق، ومعظمهم كانوا أكثر إنهاكا لتفقد أي شيء بعد مسيرة يوم طويل. وكان بيت القصيد من كل هذا أن الجيش الألماني كان ببساطة غير قادر على السير بالسرعة التي طالبت بها هيئة الأركان العامة.

ومع هذا كانت هناك مشكلة أخرى لوجستية. وكان هذا الجيش مكونا من الفرسان، وكانت الشاحنات بدعة لا يمكن الاعتماد عليها. ولم يكن هناك ما يكفي من القطارات لحمل كافة المستلزمات اللازمة لجيش مكون من مليونَيّ جندي إلى الحدود. وفي المنطقة المعادية، كانت الطريقة الوحيدة لنقل الإمدادات هي العربات. واستخدام الخيول له مشاكله. الحصان يأكل، ويأكل كثيرا، عند العمل. ومع أكثر من أربعة آلاف طن من المواد الغذائية والأعلاف اللازمة كل يوم فقط لإطعام الرجال والخيول، كان يتعين أن تنقل نصف العربات المواد الغذائية. ولم تكن هناك ببساطة عربات كافية لنقل كل شيء.

لذلك، تم تغيير القرارات لعدة مرات: ما يجب حمله؟ الذخيرة وقذائف المدافع، أم الطعام الذي يكفي ليومين فى كثير من الأحيان، ليس العلف أو الطعام. ولكن الخيول الجائعة ببساطة تتحرك ببطء أكثر، كما يفعل الرجال الذين يعانون من الجوع. وحيث كانت الخيول أو العربات خلفهم تحمل كلا من المواد الغذائية والذخيرة، فقد تباطأ الجيش الألماني كله معهم. وبدلا من السير لمسافة 25 ميلا باستمرار يوميا حسب الخطة، كان المعدل الحقيقي للمسيرة ما يقرب من نصف هذا المقدار.

ولكن فى مناورات الحرب التي استخدمت لصقل خطة شليفن فإن الإمدادات لم تكن مشكلة، وكان المعدل الأسرع للمسيرة مهما لنجاح الخطة. وعندما بدأت الحرب، سرعان ما

أدركوا أن لا شيء يمكن أن يسمح لإبطاء الأمور إلى أبعد من ذلك. وحتى أسوأ العواقب لم تفعل شيئا. وحيث كان العنصر الأساسي فى الخطة هو أن يتقدم الجيش ثم يهاجم جناح ومؤخرة الجيش الفرنسي، فمن المدهش كيف أن القليل من الوقت قد خصص لاحتلال بلجيكا بالكامل.

واعتبر ذلك أساسا مجرد مسيرة، وتم تحديدها بالسرعة التي كانت تقريبا نفس السرعة التي ستستخدم لعبور الأراضي الألمانية الصديقة. لكن الجيش البلجيكي استغرق بضعة أيام للهزيمة، وصمد بعناد فى بعض الحصون. وهذا تسبب فى مزيد من الضغط فى اتجاهات عشوائية مما أبطأهم أكثر. وتم إطلاق النار بشكل عشوائي على أي مبنى مجاور وقتل المئات من البلجيكيين العزل، وخلقت صورة البربري الهمجي.

كان كابوس الدعاية هذا نتيجة محاولة للحفاظ على الجدول الزمني. وهناك مفارقة فى هذا هو أنهم اعتبروا الخطة كوثيقة للعلاقات العامة. وقد ساهم هذا التصور إلى حد كبير بالتأكيد فى دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء، وربما كلف ألمانيا انتصارا. ثم كانت هناك مشكلة صغيرة أخرى غير مدرجة فى خطة شليفن. عندما كتبت الخطة، كان الوضع السياسي بين إنجلترا و فرنسا قد توتر. وبعد كل شيء، كان للدولتين سجل من مئات السنين من الحرب بينهما. ولكن بحلول عام 1914، أدركت الحكومتان أنهما تحتاجان إلى بعضهما البعض من أجل إتاحة الفرصة لجيش القيصر. وبدلا من مواجهة عدد قليل من الوحدات الفرنسية التي كانت قد هبطت إلى الحدود الصديقة، تقدم الألمان إلى أسفل الساحل الأقرب إلى بريطانيا وواجهوا فرقة المشاة البريطانية.

وفقد المزيد من الوقت، وكان الهجوم الألماني يتأرجح داخليا بعيدا عن البريطانيين (ونحو باريس) قبل الموعد المقرر. ونسي أحدهم أن يقول للبريطانيين إنه، فى خطة شليفن، كان من المفترض أن يأخذوا شهرين، وليس أقل من أسبوع لعبور قوة كبيرة القنال. ولم يتوقع الألمان أبدا أن يكون هناك أكثر من بضعة بريطانيين فى فرنسا، والذي يبدو غريبا، لأن بلجيكا المحايدة كانت تتعرض للغزو فقط عبر القنال من أقرب حلفائها "بريطانيا" وأكبر قوة بحرية فى العالم. ولكن حتى إذا أتوا، فقد رفضت هيئة الأركان العامة الجيش البريطاني الضئيل "الحقير" وكانوا يمزحون أنه إذا لم يتدخل البريطانيون، فإنهم سيرسلون "بعض رجال الشرطة" لإلقاء القبض عليهم. وفي الواقع، وجد ما يقرب من عشر فرق من الجيش الأول فى

أقصى اليمين من التقدم أن فرقة المشاة البريطانية كانت خصما صعبا. لذلك، مع القوات التي كانت تواجه فرقة المشاة البريطانية، كان هناك عدد أقل من الرجال متوفرين لمواجهة القوات الفرنسية.

تدخل عاملان آخران لوقف التدمير السريع لفرنسا، وكلاهما كان تماما من أخطاء هيئة الأركان العامة وقراراتها. ولم يتم أبدا إضافة العشرين فرقة التي أرادها شليفن. وهذا يعني أن القوى العاملة كانت مهمة للغاية. ولكن بعد معرفة أن الفرنسيين كانوا فى طريقهم للهجوم من خلال المركز وغزو الأراضي الألمانية، فقد كان الهدف الأساسي من هذه الفرق هو وقف ذلك. وهذا ساعد على وقف الاعتداءات الفرنسية فى غضون أيام قليلة، ولكن تأرجحت الخطة ضد الجيش الفرنسي، وتم استعادة أية أراضٍ مفقودة بسهولة. وبدلا من ذلك، لم تكن هذه الفرق عند نقطة القرار. وكان الخطأ الآخر أنه عندما بدأت الحرب، فقد كان هناك شخص ما قلق من الروس، الذين كانوا يتحركون بسرعة أكبر من طاقتهم.

لذلك تم تحميل اثنين من الفرق على القطارات وإرسالهما إلى الشرق. وقد وصلوا تقريبا إلى هناك عندما وصلهم خبر تمكن فالكنبرج من هزيمة اثنين من الجيوش الروسية الأكبر بكثير بدونهم. ونفس هذه الفرق، أي ما مجموعه حوالي 100.000 رجل، تحولت ببساطة وأرسلت إلى الجبهة الغربية، حيث وصلت متأخرة جدا للمشاركة فى المراحل الحاسمة من المعركة.

وسار الجيش الألماني إلى فرنسا من بلجيكا ، ولكن بدلا من التحرك جنوبا ثم غربا إلى باريس، فقد أجبره الوقت والمقاومة على التحرك بشكل مائل نحو هدفه. واستغرقت المسيرة كلها وقتا طويلا، وكانت فرنسا قادرة على إعادة تنظيم وإنشاء جيش جديد، والذي التقى الجيش الألماني المنهك وسيء التجهيز فى نهر المارن على بعد أقل من مائة ميل شمال باريس وأوقفوهم. ومع عدم وجود خطط بديلة، كان هذا هو الحال.

فلماذا فشلت خطة شليفن؟ الافتقار إلى المرونة كان عاملا أساسيا مُنذ البداية. وعند الجمع بين هذا مع معدلات السير والتوقعات غير الواقعية، وعدم قدرة الخدمات اللوجستية على المواكبة والقوات غير الكافية المخصصة للاختراق، والتقسيم غير الضروري للقوات، فإن فشل خطة شليفن كان مؤكدا.

(24)
"انتفاضة عيد الفصح" ..
المنتصرون لا يتعلمون من أخطائهم !

في عيد الفصح الموافق يوم الاثنين من شهر أبريل 1916، بدأ تمرد فى دبلن والذي سجل فى تاريخ استقلال آيرلندا فى إطار مجموعة من الأسماء، بدءًا من تمرد عيد الفصح إلى انتفاضة عيد الفصح، أو ببساطة أكثر، انتفاضة عام 1916. و كان من المفترض أن تكون إظهارًا للقوة من جانب الجيش الجمهوري الايرلندي من أجل استقلال آيرلندا والقومية الآيرلندية، بما فى ذلك الرئيس ورئيس الوزراء المقبلان.

وكان هناك أيضا مؤسس الجيش الجمهوري الآيرلندي ورئيس الدولة الآيرلندية الحرة. ومن خلال تأمين السيطرة على مقعد السلطة لولي العهد على جزيرة إمرالد ، إلى جانب عرض للتضامن مع الانتفاضات ضد ولي العهد فى وقت واحد فى المناطق المحيطة بها، فكانوا يريدون إرسال رسالة، ليس فقط عبر القنال، ولكن لبقية العالم بأن الوقت قد حان لحصول آيرلندا على الاستقلال. وبدلا من ذلك، كان تعبيرا عن الفوضى التي أسفرت عن إعدام خمسة عشر قادة من الجيش الجمهوري الآيرلندي. (إيمون دي فاليرا، الذي كان سيصبح رئيس الجناح السياسي للجيش الجمهوري الآيرلندي، وشين فين، الذي أصبح فيما بعد رئيسا لوزراء جزيرة إمرالد، والذي تم تأجيل إعدامه بسبب جنسيته الأمريكية، مما أدى إلى تأخير صدور الحكم عليه حتى تهدأ المشاعر بشكل كاف تجاه الحد من عمليات الإعدام) . وكانت هناك أيضا حملة أخرى من قبل السلطات البريطانية، الذين يرغبون فى قمع التمرد مرة واحدة وإلى الأبد.

وكان السعي من أجل استقلال آيرلندا قد بدأ قبل سنوات عديدة، تقريبا بقدر ما يعود إلى البيضة الأولى لأحد الملوك الإنجليز فى أيام فتوحات نورمان، وكذلك من خلال مؤامرة دبرها العديد من المغتربين الآيرلنديين الذي كانوا يأملون فى غزو كندا وبيعها لولي العهد من أجل استقلال آيرلندا. ولكن على الرغم من جهود هؤلاء الرجال العظماء مثل اللورد إدوارد فيتزجيرالد، وروبرت ايميت، وتشارلز بارنيل، وآرثر غريفيث، فإن الشعب الآيرلندي لا يزال محتجزا بقوة تحت النظام الملكي البريطاني القمعي.

وبعد أن نجوا بالفعل من القوانين الجزائية المختلفة التي جردت العائلات من الموروثات وإمكانيات تحقيق الرخاء، كان الآيرلنديون غير مستعدين لتحمل المزيد من الإجراءات القسرية من قبل ولي العهد وأذناب ملاك الأراضي الخاصة بهم. وجاء عام 1913 وجلب معه أحدث الإهانات القسرية، وهو ما أصبح يعرف باسم تأمين دبلن ، حيث تم استبعاد

عشرين ألفًا من العمال الذين كانوا يحاولون إنشاء نقابات من العمل من قبل أرباب عملهم. وضرب هذا التأمين بقسوة الرجال الذين كانوا قادرين بالكاد على العيش من وظائفهم. ونتج عن هذا معاناة عائلات بأكملها من البرد وسوء التغذية.

وفي نهاية المطاف فقد كان لابد من التخلي عن الأمل فى وجود اتحاد من الحاجة الماسة لضرورة العمل ودعم أسرة واحدة، وحتى على مستوى الكفاف. ونتيجة لذلك، فقد عملت البلاد على تحسين راحة ووضعية البروتستانت وغيرهم من المواطنين الموالين للتاج. وكان التغيير فى الداخل غير ممكن تماما. وربما سيكون من الأفضل الحصول على مراعٍ أكثر اخضرارا فى أرض الفرص، أمريكا. لكن المتمردين الحقيقيين لم يستسلموا. آيرلندا لابد أن يحكمها الآيرلنديون، أو أنهم سيواصلون الكفاح بالتأكيد طالما أن هؤلاء الغزاة عبر البحر يرفضون المغادرة.

وكان المجلس الأعلى للإخوة الجمهوريين الآيرلنديين قد وضع خططًا مختلفة للاستفادة من إنشغال إنجلترا فى الحرب العالمية الأولى، بما فى ذلك النظر فى العمليات العسكرية ليتم تنفيذها من قبل المتطوعين الآيرلنديين، الذين كانوا، على الرغم من أنهم كانوا يشاركون العديد من الأعضاء، يعتبرون مجموعة منفصلة ومتميزة من الإخوة الجمهوريين الآيرلنديين، ولهم سلسلة خاصة بهم من القيادات. وقد أدركوا أن الاحتجاجات وطلبات الإصلاح من خلال الوسائل القانونية كانت تزيد بشكل مطرد.

ولم يكونوا فقط موظفين ساخطين وضحايا التحيز. لقد كانوا مظلومين ومقهورين، ومجبورين على العيش تحت الحكم الأجنبي الذي فُرض من قبل محتلين غير شرعيين، وعلى الرغم من أنه كان احتلال فإنهم لم يستسلموا وواصلوا الدفاع عن النفس. الحرب تتطلب التخطيط العسكري، والاستعداد للقتال ومواجهة القوة بالقوة، مهما كانت النتائج.

وكان الهدف المباشر للإخوة الجمهوريين الآيرلنديين هو السيطرة على مقر الحكومة فى آيرلندا، وإجبار البريطانيين على منح حكم ذاتي للآيرلنديين واستقلالهم عن التاج البريطاني. وكانت تهدف هذه الخطة، كما وضعها زعيم الإخوة الجمهوريين الآيرلنديين جوزيف بلونكيت (والتي كانت تشبه الخطة التي وضعها جيمس كونولي للجيش الوطني الآيرلندي، ولكنهم كانوا جماعة متمردة أخرى)، للاستيلاء على مركز البلدية فى دبلن وتطويق مركز المدينة من

القوات التابعة للتاج البريطاني والذين سيأتون لاستعادتها. وعلى الرغم من أن أعدادهم كانت أقل من الواضح من أعداد البريطانيين، فقد رأى الإخوة الجمهوريون الآيرلنديون أنه يمكنهم تشتيت انتباه القوات البريطانية بانتفاضات أخرى فى المنطقة، مما يسمح لهم بالاستقرار فى مقر الحكومة فى دبلن، وبالتالي اتخاذ موقف قوة والذي يمكنهم من خلاله جعل العالم كله يسمع مطالبهم.

وسيكون مقر الحكومة والمحاكم، ومكتب البريد المركزي تحت سيطرتهم، وهم لن يتنازلوا عنها. وعلاوة على ذلك، عرف الإخوة الجمهوريون الآيرلنديون أنه على الرغم من أن عددهم كان أقل بكثير من المحاربين البريطانيين الجاهزين للقتال من أجل تبعية آيرلندا للتاج البريطاني، من صفوف مجموعات مثل الجيش الوطني الآيرلندي، جاءت المتطوعات الآيرلنديات، وحتى الحزب الاشتراكي المزدهر. وكان عدد المجموعات المناهضة للتاج (وأعضائها) مذهلا، وكان هذا مفيدا للقضية، ولكن أيضا كان هناك العديد من المشاكل.

أولا، كانت هناك مشاكل حول القيادة. من هي المجموعة التي ستضع الخطة وتقود الطريق؟ ونظرا للأعداد (والعضويات المتداخلة)، كان يتعين تنفيذ الهجوم الفعلي من قبل المتطوعات الآيرلنديات بموجب خطة الإخوة الجمهوريين الآيرلنديين، ولكن حيث إن العقول العظيمة قد تفكر فى بعض الأحيان بنفس الطريقة، فقد واجهوا مشكلة جديدة على الفور: ماذا لو أن مجموعة أخرى، وربما تكون أقل تنظيما، ومع خطة رديئة، هي من تهاجم أولا؟ كما كانت هناك مشكلة قديمة وحديثة بشأن المقاومة الآيرلندية: ماذا لو كان هناك شخص موالٍ لقوات التاج (سواء كان من المتعاطفين مع ولي العهد أو زعيم فصيل منافس، مثل زعيم المتطوعين الآيرلنديين، أوين ماكنيل، الذي فضل التفاوض والمساومة على أعمال التمرد)؟ أي مشكلة من شأنها أن تؤدي إلى كارثة.

ونتيجة لذلك، أعلن بادريج بيرس، مدرس فى إحدى المدارس ومدير منظمة متحالفة مع قائد الجيش الوطني الآيرلندي (والذي كان يخطط أيضا لهجوم مماثل)، أنه ستكون هناك مسيرات ومناورات فى عيد الفصح، وهكذا يبدو أن هذا كان استباقا لتمرد هذه المرة. وفي الواقع، كانت رسالة بيرس تحمل معنى مزدوج لأولئك الذين كانوا أيضا أعضاء فى الإخوة الجمهوريين الآيرلنديين، ليثبت لهم أن الوقت قد حان للتمرد.

وفي عيد الفصح، انتقلت خمس كتائب من الثوار للموقع - أربع تحت قيادة الإخوة الجمهوريين الآيرلنديين، وواحدة مكونة من الأعضاء الآخرين تحت قيادة بيرس. وضمت هذه الكتيبة الخامسة أيضا النجوم المتمردين مثل جوزيف بلونكيت، وجيمس كونولي، وضابطا شابا اسمه مايكل كولينز. وكانت الكتيبة الأولى، مسلحة وجاهزة واستولت على المحاكم الأربعة العزلاء فى شمال غرب البلاد، وحصنوها من التدخل من قبل الشرطة البريطانية / الجيش البريطاني وتوجهت الكتيبة الثانية جنوبا، وتوجهت الثالثة (تحت قيادة إيمون دي فاليرا) شرقا، وتوجهت الرابعة إلى جنوب غرب البلاد، فى حين أن الكتيبة الخامسة سيطرت على مكتب البريد العام وأقامت مقرا لها فيه.

وأصبحت المواقع مأهولة، وظلوا ينتظرون المعارضة والتفاوض. كونولي، وهو اشتراكي متعصب والذي كان يعتقد أن التمرد الآيرلندي كان مجرد جزء من الثورة الاشتراكية فى العالم كله ضد النظام الرأسمالي الذي تبنته إنجلترا وغيرها من القوى العالمية، أقنع الآخرين أن ولي العهد لن يستخدم المدفعية ضد ما اعتبروه دولتهم تماما بعد ذلك بوقت قصير.

تحركت القوات البريطانية بأعداد كبيرة جدًا (أكثر أربع مرات من المتمردين، حيث إن بيانات بيرس كانت مضللة، بل واستبقت الثورات الأخرى فى جميع أنحاء المدينة والريف، والتي من شأنها أن تحول قوات ولي العهد بعيدا عن وسط المدينة) وعزلوا المقر فى مكتب البريد العام عن الكتائب الأخرى، والتي سرعان ما هوجمت وقصفت بالمدفعية التابعة للتاج البريطاني. وبمجرد إخضاع أو تشتيت هذه القوات، حولوا انتباههم إلى المقر المعزول وقصفوه بنيران الجيش البريطاني.

وفي يوم السبت الموافق 29 أبريل أصدر بيرس أوامر لجميع الشركات للاستسلام. ما هو الخطأ الذي حدث؟ كل شيء تقريبا. أدى انعدام الثقة إلى نقص فادح فى الاتصالات والتنسيق. أدى الخوف من قبل المخبرين والحاجة إلى التضليل إلى الخلل فى الاتصالات، والتي عطلت حركات التمرد التي كانت ضرورية لهزيمة القوات التابعة للتاج وإبعادها عن وسط المدينة. وقد أعمتهم المعتقدات الاشتراكية لكونولي بشأن استخدام الجيش البريطاني للقوة ضد مبانيهم الخاصة، وجميع معتقدات المتمردين المثيرة للقلاقل عن واقع عدم وجود دعم نشط من قبل مواطني دبلن (الذين تحمسوا فقط بعد الانتفاضة، وكانوا ينظرون لمعظم

المتمردين على أنهم مجرد مثيرين للشغب)، مما أدى إلى نقص غير متوقع فى الإمدادات والقوات، مما أدى إلى تضاؤل قواتهم من قِبل مَن يعارضونهم.

وأخيرا، من خلال وضع مقارهم فى مركز العمل، جعلوا أنفسهم أسهل للقنص من غيرهم، وانقطع الاتصال والتنسيق، وانعدمت أية وسيلة للهروب. أعدم بيرس، وبلونكيت، وكونولي من قبل ولي العهد عن أخطائهم وسخافتهم فى هذا الحدث. ذهب دي فاليرا إلى السجن. الشاب كولينز حالفه الحظ، وتمكن من الذوبان فى الحشد، حتى أنه عاش ليقاتل فى يوم آخر (والذي جاء بعد ذلك بوقت قصير، عندما شكل ما نشير إليه الآن باسم الجيش الجمهوري الآيرلندي).

وعلاوة على ذلك، فإن عدم الكفاءة التي سمحت لدي فاليرا وكولينز بأن يظلا فاعلين نشطين فى التمرد أدت أيضا إلى التعامل مع المتمردين باستهانة، مما سمح للجيش البريطاني بتكرار كل الأخطاء التي ارتكبوها خلال حرب البوير الأولى. وفي بعض الأحيان، فإن المنتصرين قد لا يتعلمون من أخطائهم.

(25)

الغزو الأوروبي السيبيري

سوء التنظيم هو العدو الأول !

ليس كل الدوجبويز عادوا إلى ديارهم فى نهاية الحرب العالمية الأولى. وهؤلاء الدجبويز هم عناصر البحرية الأمريكية المنخرطون فى المعارك ومن يقومون منهم بعمليات الاستطلاع على وجه الخصوص . فى عام 1918، أدت الثورة فى روسيا إلى عدم استقرار واسع النطاق على الجبهة العالمية، مع التهديد بالاحتلال الياباني لسيبيريا مما تسبب فى ذعر كبير لأمريكا فى الحرب الأهلية (لم يتم التعرف حتى الآن على أنها ثورة، سواء الثورة البلشفية أو غير ذلك)، ولكن الأضرار الجانبية من الصراع العسكري الداخلي، والفلتان الأمني المستشري فى المجتمع فى حالة اضطراب، استلزم تدخل مسلح والذي يعكس الحياد التام فى السياسة الروسية ومسائل السلامة الإقليمية. أو كما ذكر وزير الخارجية نيوتن د. بيكر عنه فى تصريح للجنرال ويليام جريفز، الذي تم تعيينه لقيادة القوات الأمريكية فى سيبيريا، "راقب خطواتك، وسوف تمشي على البيض المشحون بالديناميت".

وبالإضافة إلى الأهداف غير الأيديولوجية للحملة، أوكلت العديد من المهام البراغماتية أيضا إلى رجال جريفز: إنقاذ الفيلق التشيكي الذي تم عزله من الغرب بسبب الحرب، ومنع الاحتلال الياباني والمطالبة بالأراضي فى سيبيريا التي تحمل المصالح الأمريكية، ومطاردة والقبض على الجنود النمساويين والمجريين الذين وصلوا إلى المشهد: الفيلق التشيكي لم يعد بحاجة للإنقاذ. كان لدى اليابانيين 72 ألف جندي منتشرين فى أنحاء المنطقة. وكان الجنود النمساويون والمجريون أكثر من سعداء للاستسلام مقابل الحصول على امتيازات كونهم أسرى الحرب- الغذاء والمأوى. وحيث كان رجال جريفز ينتظرون فى البرد خلال فصل الشتاء المتجمد فى سيبيريا، كانت واشنطن تناقش الوضع. وبحلول الربيع، تقرر أن القوات العسكرية المتحالفة ينبغي أن تحمي السكك الحديدية ترانسيبيريان من هجمات حرب العصابات، وكذلك محاولة الحفاظ على خطوط الاتصالات (خطوط التلغراف) آمنة. أو كما قال جريفز لقواته، "هدفنا هو تقديم المساعدة الحقيقية لجميع الروس لحماية التحركات اللازمة فى قطاعات السكك الحديدية المخصصة لنا .... وسوف يستفيد الجميع على حد سواء، وسنتعامل مع كل الفصائل على حد سواء". ولسوء الحظ، كان السكان المحليون غير داعمين لمهمتهم، وشكل أمراء الحرب القوزاق، سعيا للاستيلاء على السلطة، عصابات مسلحة لترتبك كل من هو غير مرحَّب به وغير حكيم.

واقترن هذا بأعمال أنصار الثورة البلشفية، الذين كانوا يكتسبون قوتهم بشكل مطرد مع استمرار انتشار الاضطرابات والفوضى فى جميع أنحاء روسيا. وكان أنصار الثورة البلشفية قد اكتسبوا تعاطف السكان المحليين، وكانت أهدافهم الرئيسية تخريب شبكات النقل والاتصالات، وعدم الترحيب بالغرباء باسم القومية الروسية الجديدة، مما جعل قوة الدعم الأمريكي لقمة عيش، وجحيمًا باردًا من قضمة الصقيع، وسوء التغذية، وتهديدات مستمرة بالقتل.

وسرعان ما أصبح واضحا أن القوزاق يتم تمويلهم من قِبَلِ اليابانيين، مما أدى إلى علاقات مريرة بين الحزبين المتطفلين. وعلاوة على ذلك، ضربة الفحم المدعومة من قِبَلِ البلاشفة (والتي ألهبت صفوف العمال) أدت إلى نقص الوقود على خطوط السكك الحديدية التي كانت تدار من قبل مناهضي الثورة البلشفية، والموقف السياسي لجريفز ورجاله لم يفعل شيئا لتحسين موقفهم مع أي حزب. استمر جريفز فقط فى نقل رجاله فى جميع الأنحاء بدون مهمة واضحة، مما أدى إلى العديد من المهاترات المؤسفة ولم يحرزوا أي تقدم فى موقعهم.

حدث وضع فظيع للغاية بالقرب من رومانوفكا فى يوم 25 يونيو، حيث تشكلت قيادة مشتركة لفوج المشاة الحادي والثلاثين، وقاد رجاله إلى قاعدة تلة بالقرب من نقطة مهمة من السكك الحديدية التي تربط وادي زوخان مع فلاديفوستوك. وأمر بوضع حارس على أعلى التلة ليلا، مع أوامر بالعودة إلى المعسكر عند الفجر- وهذا ما فعله. عاد الحارس إلى المعسكر مع عدة مئات من المحاربين غير النظاميين. وكان القناصة قد اتخذوا مواقعهم على أرض مرتفعة، واستمروا فى اصطياد الجنود الأمريكان فى المعسكر أسفلهم وهم يحاولون بشكل مهزوز الاستيقاظ من النوم بعد نوم عميق. حاول بتلر حشد رجاله من هذا الهجوم المفاجئ، ولكنهم كانوا أقل عددا (ثلاثة أو أربعة إلى واحد)، وعندما انقشع الدخان (توقف الهجوم بسبب وصول تعزيزات من قطار عابر، مما أدى إلى انسحاب القوات غير النظامية إلى داخل البرية)، وقتل ثلاثون أمريكيا وجرح عشرون منهم . ما هو الخطأ الذي حدث؟

من حيث وقوع الحادث فى رومانوفكا، فإن العديد من الأخطاء قد ارتُكبت. الضابط المبتدئ بتلر لم يعرف أن المعسكر كان بدون حراسة خلال الساعات الأخيرة من استراحة الرجال الطويلة، مما جعلهم صيدًا سهلاً للقتلة. وبالمثل، فإن وضع المعسكر عند قاعدة التل سمح برؤيتهم بسهولة من قبل المهاجمين وإطلاق النار عليهم من الأرض المرتفعة. وأخيرا،

بتلر ورجاله كانوا لا يزالون ينظرون إلى ذلك على أنه خدمة دعم مدنية ولم يكن لديهم رؤية أبدا على مستوى "الحرب" للحفاظ على أرواحهم.

الرجال لم يناموا مع أسلحتهم بجوارهم، وكان الاستعداد للمعركة قد تلاشى مع الهدنة. ومع عدم وجود الاستعداد والاعتراف بالمخاطر التي تنطوي عليها المعركة، فضلا عن أخطاء الزمان والمكان، فقد كانت مصائرهم على حافة الخطر. ومن حيث حملة سيبيريا بشكل عام، فيمكننا القول إن الخطأ كان فى التورط فيها فى المقام الأول. وعندما يحدث قدرًا معينًا من الزحف فى أي حملة، فقد كانت حملة سيبيريا أكثر من ضحية ل"التسكع فى الحملة". ولم يكن لها هدف واضح منذ اليوم الأول.

وكان هدف ويلسون لحفظ السلام غير واقعي، وكان الهدف العملي هو حماية المصالح الأميركية ولكنه لم يتمكن من تحقيقه. وفي النهاية، تبخرت المصالح الأمريكية فى روسيا، وقتل آخر جنود جريفز فى أول أبريل 1920.

قُتل ما مجموعه 353 جنديا أمريكيا فى سيبيريا فى الفترة ابتداء من الهدنة وانتهاء بخروجهم شاعرين بالحرج. وبعد سنوات، خلال الحرب الباردة، كان الاتحاد السوفيتي كثيرا ما يشير إلى هذا "التدخل" سيء التنظيم كمثال على الجشع الأمريكي الإمبريالي فى محاولة لاستيلاء على الإمبراطورية العفية والخربة بعد القيصر. وكان يمكنهم أيضا استغلالها بصورة أكثر دقة، كمثال واضح على العجز.

(26)

عملية سيليون وحرب البرق

الأخطاء تقود لأخطاء !

أنت هيرمان غورينغ، القائد الأقوى بلا منازع لسلاح الجو الأقوى، والأحدث والأكثر كفاءة فى العالم على الإطلاق. وكانت قواتك المقاتلة قد حطمت القوات البرية للعدو وأسقطت العديد من السفن. وكانت قاذفاتك، فى حين أنها ليست كبيرة أو واسعة المدى، سريعة وقاتلة ويقودها طيارون مخضرمون وقادرون على تدمير أهدافٍ على الأرض أو فى البحر.

لكنَّ كبرياءك قد اكتوى بهؤلاء الإنجليز المزعجين من سلاح الجو الملكي. عندما عبأ الجيش الألماني البريطانيين فى زجاجات فى دونكيرك، وكانوا طعما سائغا، أنت ناشدت هتلر للسماح لك بالتحرك. وكانت طائراتك ستقصفهم فى غياهب النسيان! كانت هذه هي الخطة، على الأقل. ولكن هؤلاء المقاتلين الأعداء طاروا على الجانب الآخر من إنجلترا، ومنعوا قاذفاتك من إلحاق الكثير من الضرر للجيش الذي كان ينفذ الإجلاء.

وكانت هذه هي ساعة سلاح الجو الألماني للتألق. كانت معركة بريطانيا هي الأولى من نوعها وضمت اثنين من أحدث القوات الجوية فى العالم فى عام 1940. وفي النهاية، كانت هذه هي المرة الأولى التي أحبطت فيها الطموحات العدوانية للدولة النازية- ولكن ليس بدون تكلفة كبيرة للمدافعين الذين وصلوا تقريبا لنقطة الانهيار. وعلى الرغم من أن المعركة كانت ذات مغزى عميق، فلم تكن السيطرة على الجو فى حد ذاتها هي الهدف الأساسي للألمان فى شن حرب ضد بريطانيا خلال فصل الصيف وأوائل الخريف من عام 1940.

وفي الواقع، كان المقصود من المعركة الجوية فقط هي أن تكون خُطوة أولية، والإعداد لغزو برمائي كبير من جنوب إنجلترا: عملية سيليون. وكان هذا الهجوم الواسع فى مراحل التخطيط منذ أواخر عام 1939، حيث كان هتلر يتوقع الحاجة إلى توجيه ضربة قاضية ضد أحد الحلفاء والوحيد الذي لا يستطيع ببساطة غزوه بكل الفيرماخت. وكعملية برمائية، بطبيعة الحال، احتاج سيليون التنسيق بين جميع القوات العسكرية الثلاثة، جوا، وبرا وبحرا. ومن الجدير بالذكر أنه، منذ البداية، كان كل من الجيش الألماني والبحرية (كريغسمرين)، غير متحمسين للخطة تماما.

وعلى الرغم من أن دبابات البانزر قد اجتاحت البلدان المنخفضة وفرنسا، والفوز بانتصارات سريعة وصادمة لتلك الدول فى مايو وأوائل يونيو من عام 1940، فهو نفسه من توقع أن الإنجليزي سينهارون ويطلبون السلام، بعد الغزو المفاجئ لجميع حلفائهم. ومع

ذلك، بحلول نهاية يونيو، أصبح من الواضح أن المملكة المتحدة، بزعامة رئيس الوزراء المشاكس الجديد، ونستون تشرشل، كانت مصممة على القتال. وفي يوليو، أمر هتلر بتنفيذ عملية سيليون، مع تحديد الموعد المقرر للغزو الفعلي فى 15 سبتمبر. وعلى الرغم من معارضتهم التي لم تتغير، لم يكن أمام الجيش الألماني والكريغسمرين أي خيار سوى أن ينفذوا أوامر الفوهرر.

بدأت القوات البحرية فى جمع البوارج الراسية من جميع أنحاء أوروبا المحتلة، وشحنها برا أو عن طريق النهر إلى موانئ المغادرة فى شمال فرنسا. وبطبيعة الحال، كانت البحرية الملكية البريطانية لا تزال على حالها، ولا تزال موجودة فى إنجلترا. وعلى الرغم من أن الكريغسمرين كانوا يمتلكون بعض الطرادات السريعة والحديثة، إلا أنهم كانوا يفتقرون إلى أي أسطول قادر على مواجهة الإنجليز فى معركة بالبوارج.

وحتى لو كان متوفرا، فإنه لم يكن يضاهي سلاح المدفعية فى الأسطول البريطاني. وبالتالي، السيطرة على البحر، وهي الهدف الأساسي لأي عملية برمائية، كانت ستتم عن طريق الجو. وفي هذا المسعى، كان للألمان قائد واحد يتمتع بثقة مفرطة، حتى إلى حد التهديد والوعيد، فى قدرة قواته لإنجاز الهدف المطلوب. وقد كان الرايخسمارشال هيرمان غورينغ طيارا مقاتلا خلال الحرب العالمية الأولى، وكان نازيًا مخلصًا ومن المؤيدين المتحمسين لأدولف هتلر منذ الأيام الأولى للحزب. وكانت هذه المؤهلات كافية لإقناع الفوهرر بأن يمنحه السيطرة الكاملة على القوات الجوية الأقوى فى العالم — كان هذا هو أحد أخطاء هتلر العديدة والتي يشكرها له العالم الحر إلى الأبد.

كان غورينغ غير كفء، وكان العديد من الرجال الذين اضطروا إلى العمل تحت قيادته يعرفون ذلك جيدا. وكان معروفا بالتصريحات المتهورة والواسعة حول قدرات سلاح الجو الألماني لهتلر، فقط ليجد أن الرجال والمعدات تحت قيادته لم تكن قادرة على الوفاء بوعوده الباهظة. وكان أول هذه الإخفاقات عدم القدرة على خلق موطئ قدم لهم فى دونكيرك من الجو.

وفي الواقع، كان سلاح الجو الألماني يهدف لتكملة القوات البرية الألمانية فى تكتيك جديد وناجح بشكل لافت للنظر والمعروف باسم "حرب البرق" ضد جيوش بولندا، وبلجيكا، وهولندا، وفرنسا، حيث قام الغواصون الألمان بترويع القوات المدافعة، وحطموا المعنويات وسحقوا

النقاط القوية، وبالتالي تمكنت دبابات البانزر من شن هجمات اختراق فتاكة. ودعمت القاذفات الخفيفة والمتوسطة من هذه الدبابات، وقطعت خطوط الإمداد الخاص بالحلفاء وضربت القواعد الجوية وغيرها من المنشآت.

وقد تعرضت المدينة الهولندية روتردام لقصف وحشي فى محاولة ناجحة لإجبار البلاد على الاستسلام، وفي ذلك الوقت تعرض العالم لصدمة كبيرة فى هذه الهمجية، وإن كان فى السنوات اللاحقة تمكنت القاذفات الثقيلة الخاصة بالحلفاء من إلحاق الضرر الذي من شأنه أن يحجب الهجمات على روتردام من قبل عدة قيادات. وكانت المقاتلة " إم.إي.109" فى الخطوط الأمامية طائرة رائعة، ولكن لا يمكنها أن تحمل ما يكفي من الوقود لتحلق طويلا فوق إنجلترا، مقارنة مع الطائرات رباعية المحركات المستخدمة بالفعل من قبل البريطانيين والأميركيين.

وفي الواقع، كان غورينغ يمتلك بعض المزايا الهامة. وقد تمكن من إرسال 2800 طائرة فى المعركة، فى حين أن البريطانيين قابلوه ب650 مقاتلة فقط. وقد تمكن من الهجوم على عدد وافر من القواعد، لأن الألمان احتلوا فرنسا والدول المنخفضة، وكذلك النرويج والدنمارك. وكانت البلدان الأخيرة بعيدة عن المقاتلين، ولكن التهديد المتمركز هناك أجبر البريطانيين على الدفاع عن الساحل والريف شمالا حتى اسكتلندا.

وضد هذه المجموعة من القوة الجوية، فإن البريطانيين كانوا سيقاومون تحت قيادة قائد القوات الجوية المارشال السير هيو داودينج. وقد قام بتنظيم مقاتليه إلى حوالي خمسين سربًا، وانتشروا فى الكثير من الريف الإنجليزي، مع التركيز الأكبر فى جنوب شرق إنجلترا، بين لندن والقنال الإنجليزي وسواحل بحر الشمال. وكانت الغالبية العظمى من المقاتلات البريطانية هي من نوع (هوكر هوريكان)، وهي طائرات حديثة لكنها لا يمكن أن تضاهي تماما المقاتلة إم.إي.109" فى السرعة والقدرة على المناورة، على الرغم من أن الهوريكان أثبتت أنها تضاهي المقاتلة ستوكاس ، والمقاتلة "إم.إي.110"، والطائرات الألمانية الأخرى.

أفضل مقاتلة فى الترسانة البريطانية - وفي الواقع فى أي سلاح جو غير ألماني فى ذلك الوقت -كانت " سوبرمارين سبيتفاير ". وكانت هذه المقاتلات الأنيقة تضاهي المقاتلة 109 فى معظم فئات القتال. وعلى الرغم من أن لديهم مجموعة أصغر قليلا من المقاتلات

الألمانية، كانت المقاتلات سبيتفاير تتمتع بميزة القتال فوق قواعدها الخاصة، لذلك لم يكن يتعين عليها أن تطير إلى أقصى حد للوصول إلى المعركة، وبالتالي كانت مفيدة للاستخبارات، والقيادة، والسيطرة عليها مركزيا من خلال مجموعة كبيرة من الموظفين القادرين على إرسال المقاتلات البريطانية أينما يريدون عن طريق الاستخدام غير المسبوق للرادار، والذي أعطى معلومات محدثة لسلاح الجو الملكي البريطاني حول مكان وجود التشكيلات الجوية الألمانية، وضخامتها، ووجهتها. وفي حين أن هذا المستوى من التحكم كان مفيدا للغاية، فإن التنفيذ كان فى حاجة للصقل مع تقدم المعركة. وحيث كان الألمان يرسلون مجموعات كبيرة من الطائرات التي تحلق معا، فقد شعر داودينج أن المقاتلات البريطانية يجب أن تحشد عدة أسراب فى "جناح كبير" قادر على لقاء المهاجمين مع أعداد كبيرة من المدافعين.

وفي الممارسة العملية، فإن هذا التجمع من القوة كثيرا ما أدى إلى مضيعة للوقت، وبالتالي فقد كان يمكن اعتراض الألمان فقط بعد أن أسقطوا قنابلهم وكانوا فى طريق العودة لوطنهم. وبناء على طلب من مساعدي القادة، رضخ داودينج فى نهاية المطاف، وسمح للأسراب البريطانية بالتحرك للهجوم فى أقرب وقت حيث كان يمكن حملها جوًّا. وأدى هذا التكتيك إلى اضطرابات أكبر بكثير من الغارات، والتي كانت موجهه فى المقام الأول ضد موانئ جنوب إنجلترا، وتم الانضمام لمعركة بريطانيا بشكل جدي فى 8 أغسطس 1940.

وخلال ذلك اليوم حلقت طائرات سلاح الجو الألماني فى خمسمائة طلعة (كل طلعة هي مهمة واحدة على متن طائرة واحدة) فوق القواعد الجوية والموانئ المستهدفة. وكان الهدف هو جر المقاتلات البريطانية إلى الجو، حيث يمكن تدميرها. ولمدة عشرة أيام، دارت معارك جوية وحشية فى معظم أنحاء إنجلترا. وبمساعدة من رادار بالغ الأهمية، كان البريطانيون قادرين على توجيه مقاتلاتهم أينما يريدون، وعلى الرغم من أن الجانبين قد تكبدا خسائر فادحة، كان سلاح الجو الملكي البريطاني قادرا على الحفاظ على السيطرة على ساحة المعركة الجوية.

وخلال هذا الجزء من المعركة، وجه الألمان بعض جهودهم ضد أبراج الرادار نفسها، ولكن ثبت أنها صعبة التدمير بشكل ملحوظ. وحيث إن الأبراج تطلبت الدقة المتناهية من جانب المهاجمين، فقد تم استخدام الغواصين أولا فى هذه الهجمات، ولكن تعرضت الطائرات المتثاقلة مع الهبوط للتدمير بالجملة من قبل سلاح الجو الملكي البريطاني.

وكانت القاذفات الأسرع من المتوسط، والتي كانت تهجم من ارتفاع أعلى، قادرة على النجاة ولكنها كانت تفتقر إلى الدقة لضرب الأبراج، وبالتالي فقد تم التخلي عن هذه الجهود، بالنسبة للجزء الأكبر منها، في وقت مبكر من المعركة. وعلى الفور تقريبا، كان هناك مفتاح آخر في القتال هو العمل الخطير، وبطبيعة الحال، تكبد كلا الجانبين خسائر كبيرة. وما يقرب من نصف الطيارين الذين أسقطت طائراتهم إما قتلوا أو أصيبوا بجروح خطيرة. ومع ذلك، تمكن النصف الآخر من النجاة، إما عن طريق المظلات أو الخروج من الحطام.

وفي حالة الطيارين البريطانيين، فقد تمكن هؤلاء الرجال من العودة إلى المعركة، غالبا في أقرب وقت في اليوم التالي. ومع ذلك، فقد تحتم على كل طيار ألماني قضاء ما تبقى من الحرب في الأسر. واصلت المصانع البريطانية إنتاج الطائرات، وعلى الرغم من أنها لا يمكن أن تستمر تماما مع خسائر القتال، بقي سلاح الجو الملكي البريطاني قادرا على الحفاظ على قوته. والألمان، من ناحية أخرى، واجهوا خسائر فادحة.

وبعد الأيام العشرة الأولى من القتال العنيف لكن غير الحاسم، رأى غورينغ أن قواته لن تحقق التفوق الجوي الحاسم لجميع العمليات المستقبلية. وفي غضون أسبوع آخر، أجرى تغييرا في التكتيكات التي حولت المعركة إلى المرحلة الثانية. وفي 24 أغسطس، تحول الهدف إلى استهداف قواعد سلاح الجو الملكي البريطاني الأكبر، والتي كانت أبعد إلى الداخل من المنشآت الساحلية التي تعرضت للهجوم في بداية المعركة. وزادت الهجمات في الحجم والشراسة، مع المزيد من المقاتلات. ومع استهداف قواعد سلاح الجو الملكي البريطاني، بدأ البريطانيون يشعرون بالضغط. وعلى الرغم من الجهود القوية، لم يتمكنوا من تفريق الأساطيل الجوية الضخمة، وتعرضت الكثير من القواعد لأضرار جسيمة أو خرجت من العمل.

وأصبحت المواقع مثل بيجين هيل، وويست ميلنج، وورثي داون، واندوفر هي مفاتيح المعركة. وتم تدمير أكثر من أربعمائة مقاتلة بريطانية، وأصبح عدد الطائرات القادرة على التحليق في الجو للدفاع أقل وأقل كل يوم. ومن داودينج في الأسفل، استشعر قادة سلاح الجو الملكي البريطاني خطر هزيمة وشيكة. واستمرت هذه الهجمات بلا هوادة حتى 5 سبتمبر، وبحلول ذلك التاريخ كان المدافعون يتدافعون بيأس لمجرد الحصول على عدد قليل من المقاتلات في الجو بينما استمرت موجات من القاذفات الألمانية تتدفق.

وقد وقعت الأحداث التي من شأنها إنقاذ اليوم لصالح إنجلترا، وكذلك أشياء كثيرة فى الحرب، من خلال حدث عرضي، والآثار التي تم تضخيمها من قبل الخطأ الجسيم لأحد القادة العسكريين. وفي حالة معركة بريطانيا، وقع الحادث خلال المرحلة الثانية من المعركة، وكان نتيجة لفقدان إحدى المقاتلات الألمانية من التشكيل، والتي كانت تحمل شحنة قنابل كاملة، وتحلق فوق إنجلترا بعد تفجير لندن ليلا، خوفا من الانتقام مما آثار البريطانيين ضد المدن الألمانية.

سقطت القنابل على جزء صغير من تلك المدينة المعزولة، وسرعان ما اقتنص تشرشل على هذه الذريعة لضرب ألمانيا مباشرة. وخلال الجزء الأخير من شهر أغسطس، نفذت قيادة القاذفات عدة غارات جوية على برلين ومدن ألمانية أخرى. وكانت الأضرار التي لحقت بها ضئيلة، ولكن العواقب الاستراتيجية كانت كبيرة- غضب غورينغ وهتلر على حد سواء وشعروا بالذل جراء انتهاك المجال الجوي النازي. وفي الوقت ذاته عندما تم تدمير سلاح الجو الملكي البريطاني عن طريق تدمير قواعده، غير الألمان تكتيكاتهم.

وأراد الرايخ الثالث الانتقام! لذلك، صدر أمر سلاح الجو الألماني بتركيز جهودهم ضد لندن لمعاقبة الإنجليز الوقحين على هجماتهم ضد المدن الألمانية. وكان توقيت هذا القرار أكثر فائدة لسلاح الجو الملكي البريطاني.

وابتداء من 7 سبتمبر وحتى ما تبقى من هذا الشهر، قام سلاح الجو الملكي البريطاني بشن غارات جوية بلا هوادة ليلا ونهارا ضد قواعدهم الجوية، واستجمع قواه طوال الشهر وألحق خسائر كبيرة بقاذفات ومقاتلات سلاح الجو الألماني. وفي هذه الأثناء، بدأت قيادة القاذفات فى ضرب تجمعات المراكب الألمانية، وبحلول نهاية سبتمبر دمروا 10 فى المئة أو أكثر من معدات الغزو المحتمل.

ومع الحلم بالنصر، أمر هتلر سيليون تأجيـــل العمليـــة أولا حتى 15 سبتمبر، ثـم حتى 21 و 24 و 27 سبتمبر لإعطاء الوقت لسلاح الجو بقيادة غورينغ بالتحرك. ولكن اتجاه القتال أصبح واضحًا الآن: أصبحت معركة استنزاف، فى ظل الظروف التي لا يرجى فيها الألمان الفوز. وبحلول أكتوبر علقوا الهجمات فى وضح النهار ضد لندن لأنهم وجدوها مكلفة للغاية، على الرغم من أن الغارات الليلية كانت ستستمر خلال فصل الشتاء وتتوقف ثم تستأنف طوال مدة الحرب.

ولكن هذا الأخير كان مجرد تفجير إرهابي، وعلى الرغم من أن عشرات الآلاف من سكان لندن كانوا سيفقدون حياتهم، فإن "الغارة" لا تأتي أبدا إلى حد كسر الروح المعنوية البريطانية التي لا تقهر. وبالنسبة لعملية سيليون فقد أمر هتلر فى يوم 12 أكتوبر بتأجيلها حتى عام 1941. وبحلول الربيع من تلك السنة، حيث كان الطقس يسمح بتنفيذ الغزو، تحول انتباه الدكتاتور النازي إلى عدو جديد: الاتحاد السوفيتي. وكانت الحرب ستستمر لسنوات، بطبيعة الحال، ولكن لن يكون هناك احتلال ألماني أبدا مرة أخرى. وحتى مع ذلك، خلال تلك الأيام البائسة من شهر أغسطس وشهر سبتمبر من عام 1940، كان سلاح الجو الألماني قريبا جدا من تحقيق أهدافه- وإذا كان الألمان قد اكتسبوا التفوق الجوي على إنجلترا والقنال الإنجليزي، فقد كان من المحتمل جدا أن يحدث الغزو، وكان يمكن أن يحقق النجاح.

وإذا كان هناك قائد أكثر قدرة من غورينغ فى القيادة، فربما كان التاريخ مختلفا جدا. ولحسن الحظ من أجل قضية الحرية هزمت أخطاؤه قواته الجوية عندما كانت على حافة قريبة جدا من الانتصار. وأصبحت تلك الأخطاء الآن جزءا من التاريخ: حاول غورينغ استخدام القوة الجوية التكتيكية لإنجاز مهمة استراتيجية. بيد أنه فشل فى تقدير "ميزة الوطنية" – إغاثة الطواقم الجوية، واستهلاك كمية أقل بكثير من الوقود للتحليق إلى ساحة المعركة. كما أنه لم يدرك كيف يمكن أن يؤثر الرادار على الحرب الجوية الحديثة. وأخيرا، سمح لعدوه باستدراجه للتخلي عن خطته، فى نفس اللحظة عندما كانت تلك الخطة على وشك النجاح. وكان هذا خطأ لم ينسه أبدا.

(27)

كارثة اسمها بيرل هاربر والسبب تجاهل التحذيرات !

القصة معروفة جيدًا حتى إن هذا الاسم أصبح كناية عن أي هجوم مفاجِئ ناجح بشكل مذهل. وظلت الحرب العالمية الثانية مستعرة لأكثر من عامين، لكنها جاءت إلى الولايات المتحدة الأمريكية من السماء المشمسة فى "يوم العار" هذا، فى صباح يوم أحد جميل فى هاواي. وخلال الهجوم دون سابق إنذار فى 7 ديسمبر -1941 قبل أي إعلان بالحرب - قام الأسطول البحري الأمريكي القوي والقوات الجوية فى الجيش بالهجوم على جزيرة أواهو.

أغرقت المقاتلات قوة حربية كاملة من أسطول المحيط الهادئ وأطلقوا النار على أعداد كبيرة من الطائرات الأمريكية حيث كانت الطائرات تصطف على الأرض. (حلقت اثنتان فقط من الطائرات الأمريكية المقاتلة خلال الهجوم). وبعد أن فقدوا بضع عشرات فقط من ما يقرب من أربعمائة طائرة والتي شاركت فى الغارة الجوية، فرت المقاتلات، والقاذفات، والطائرات اليابانية المحملة بالطوربيد وعادت إلى سفنهم، وتركوا مرفأ وعدة قواعد للجيش وهي تحترق. وبطبيعة الحال، فإن الطائرات اليابانية التي ضربت فى صباح يوم الأحد الناعس هذا قد أيقظت بوقاحة القاعدة البحرية والمنشآت العسكرية المحيطة بها مما أثار أمة بأكملها. وفي نواحٍ كثيرة، أثبت هجوم بيرل هاربر أنه أمر سيئ للغاية بالنسبة لليابانيين على المدى الطويل.

إنهم لم يستيقظوا فقط، ولكنهم غضبوا، وهو عدو قوي جدا، وسوف يحصدون بذور الغضب فى رماد هيروشيما وطوكيو، مما يؤدي إلى الاستسلام العسكري للإمبراطورية اليابانية. ومع ذلك، وقد أصبح معروفا لكلا الجانبين أن اليابانيين قد حققوا انتصارا تكتيكيا فادحا. وكانت خطة الهجوم من بنات أفكار الأدميرال ياماموتو، والتي قدمها لأول مرة لقيادة سلاح البحرية ومجلس الوزراء فى فبراير من عام 1941.

وقد تم وضع الخطة من قِبَل فريق ماهر تكتيكيا بقيادة الأدميرال غيندا. وكانت الخطة جريئة ومبتكرة: استخدام أسطول من حاملات الطائرات السريعة للسباق عبر المحيط الهادئ قبل إعلان الحرب، والضرب ليس بالمدافع الثقيلة على البوارج ولكن بمجموعات من الأشخاص المدربين تدريبا عاليا من حاملات الطائرات الست. وكانت الجهود الدبلوماسية قد بذلت حيث أن العلاقات مع أمريكا قد قطعت قبل دقائق من بدء الهجوم.

وبالطبع، كانت هناك عقبات هائلة للتغلب على ذلك. وكانت المفاجأة مخطط لها بإتقان، لدرجة أنه إذا تم اكتشاف الأسطول فى طريقه إلى هاواي، فربما تم إلغاء العملية برمتها. وكان قصف ميناء فارغ مضيعة للوقت، ولكن كيف كان اليابانيون متأكدين بأنهم سيستطيعون السيطرة على المحجر فى الميناء، بدلا من البحر؟ كيف يجب أن تكون الطائرات مسلحة؟ كانت الطوربيدات هي الأسلحة الأمثل لإلحاق الضرر المميت ضد السفن الكبيرة والمحمية جيدا، ولكن ماذا لو كانت السفن الأمريكية محمية من قبل شبكات ضد الطوربيد؟ وكان بيرل هاربر معروفا بأنه ضحل نسبيا، وبعمق لا يزيد عن ثلاثين أو أربعين قدمًا.

وقام ضباط الأركان والدبلوماسيون بإجراء أعمال استخباراتية واسعة النطاق من خلال القنصلية فى هونولولو حتى عرفوا أن الأسطول كان دائما موجودًا تقريبا فى الميناء فى عطلة نهاية الأسبوع. وأكدت ملاحظات أخرى أن الأميركيين لم يستخدموا شبكات ضد الطوربيد لحماية السفن الحربية الراسية.

وطوال عام 1941، كانت الحرب بين اليابان والولايات المتحدة تلوح فى الأفق كأمر لا مفر منه. كانت الإمبراطورية اليابانية عطشى للموارد الطبيعية، والتي تقع خارج حدودها والمجال الحالي لنفوذها. وأوضح الأمريكيون أن أية محاولة للاستيلاء على تلك الموارد من المستعمرات الآسيوية فى بريطانيا، وفرنسا، وهولندا سوف تقابل بخطوة يابانية فى الهند الصينية الفرنسية (فيتنام حاليا)، حيث أمر الرئيس روزفلت بفرض حظر على الصلب وغيره من الصادرات إلى اليابان.

وهذا العمل الصارم ضمن عمليا أن الحرب ستندلع. ولكن كيف وأين ومتى يجب أن تبدأ؟ كانت المالايا، والفلبين، وجزر الهند الشرقية الهولندية ضمن الاحتمالات. ولكن مفهوم الهجوم الجوي المفاجئ كان لا يمكن التنبؤ به تماما بالنسبة للأمريكيين. وفي الواقع، كانت هناك تحذيرات صدرت من عدة جهات مختلفة، وزيادة فى استعجال السلام الوهمي فى عام 1941.

كان هناك الكثير من الأسباب للنظر فى احتمال وقوع هجوم مفاجأة لبدء الحرب. وهذا كان هو التكتيك الياباني المستخدم لإحداث تأثير جيد فى كل الحروب الحديثة التي شنتها- أبرزها عندما دمر أسطول الأدميرال توغو أسطول القيصر الروسي مع هجوم مباغت فى

بورت آرثر فى عام 1904. نيبون ذهب إلى الانتصار فى الحرب الروسية اليابانية، وهي المرة الأولى التي تهزم فيها دولة غير أوروبية قوة أوروبية فى العصر الحديث. (كضابط شاب، فقد الأدميرال ياماموتو إصبعين فى تلك الحرب).

ولم يكن ظهور الحرب على المطلق مفاجأة للقيادة العليا الأمريكية. ولبعض الوقت، كان الكود الدبلوماسي الياباني كلمة " بيربل " كتابا مفتوحا لأجهزة الاستخبارات الأمريكية. وعلى الرغم من أن هذا لم يترجم إلى فهم كامل لنوايا العدو، فقد كانت ميزة الاستخبارات ضخمة. وقبل أكثر من أسبوع من الهجوم، كان الرئيس فرانكلين روزفلت قد قرأ اعتراضا ترجم تفاصيل النوايا اليابانية، بما فى ذلك الأوامر لتدمير آلات التعليمات البرمجية فى القنصليات والسفارات فى جميع أنحاء العالم، وأعلن على الفور لموظفيه: "هذا يعني الحرب". ونقل الأدميرال إرنست كينج، قائد القوات البحرية، والجنرال جورج مارشال، من واشنطن العاصمة مخاوفهم إلى قادة كل منهما فى هاواي.

وكانت الرسائل محددة وتنذر بالخطر – رسالة واحدة من كينج تضمنت عبارة "هذا هو تحذير بالحرب". وعلى الرغم من أن هذه الرسائل لم تصغ كأوامر مباشرة، فربما كان يمكن أن تكون أكثر تحديدا مما كانت عليه، وكان رؤساء الفروع فى هاواي سيكونون أكثر يقظةً مما كانوا فى الواقع. ولسوء الحظ، فإن أيا من هذه العلامات التحذيرية أو التحذيرات لم يتردد صداها من خلال الرجلين الذين كانا مسئولين عن القوات العسكرية الأمريكية فى أواهو.

وكان الأدميرال هاسبند كيميل هو القائد العام للأسطول الأمريكي فى المحيط الهادئ منذ فبراير من عام 1941. وكان الجنرال والتر شورت هو قائد كل القوات البرية والجوية فى أواهو. وكان الرجلان يتمتعان بخبرة طويلة فى مجال عملهما. وفي هاواي، كانا يعملان معا فى كثير من الأحيان، ولكن عندما يتعلق الأمر بأي نوع من تبادل المعلومات الهامة وحتى الحاسمة ذات الصلة بمسؤولياتهم، فكانا يتكتمان مع بعضها البعض.

لم يكن شورت مهتما بشدة بوظيفته، ولم يتخذ أية خطوات لإعداد قواته للحرب. وقد فشل فى إعطاء أوامر باستطلاع جوي للمياه من قبل واشنطن. وكان تفسيره اللاحق لهذا الإهمال الفظيع بأنه لم يكن لديه ما يكفي من الطائرات للبحث فى كل الاتجاهات، حتى إنه لم يشعر أنه من المجدي الاستطلاع فى الغرب والشمال. وكانت تتوفر لديه أجهزة رادار، ولكنه لم يثق

أبدا فى التكنولوجيا الحديثة- لأكثر من عام كان البريطانيون قد أثبتوا أهمية الرادار فى الدفاع ضد الهجوم الجوي، مع نجاح مذهل. كان لدى شورت أكثر من مائة مقاتلة "بي40 " تحت قيادته.

وبينما كانت أعدادهم أقل بعدة أصفار إلى الشمال، كانوا لا يزالون المقاتلين الأكثر حداثة فى الترسانة الأمريكية. وهو لم يأمر أبدا بتنفيذ دوريات جوية روتينية على الجزيرة. وأدت أوامره الأساسية، فى الواقع، إلى نتائج عكسية، عندما أمر طائراته بالاصطفاف بالقرب من بعضها البعض لمنع تعرضها للتخريب من قبل عملاء العدو الذين كانوا من المفترض أنهم يختبئون بين السكان المدنيين فى هاواي. وعندما بدأ الهجوم، كان مقاتلو شورت فى أفضل حالاتهم، ومصطفين معا بشكل وثيق. وأيضا تحسبا لأعمال التخريب، تم تأمين الذخيرة المضادة الخاصة بالجيش بعيدا حتى إن الأمر استغرق ما يقرب من أربع ساعات لقواته لتكون على استعداد لإطلاق النار مرة أخرى.

وهو قد افترض أن الميناء كان محميًا من قِبَلِ الجيش، لكنه لم يبذلْ أي جهد للتأكد من أن الجيش يقوم بعمليات تفتيش جوي فى جميع أنحاء الجزيرة، أو استخدام الرادار على أي شيء أكثر من أساس تجريبي. (البحرية تستخدم الرادار على بعض سفنها وكان لديها المزيد من الخبرة مع التكنولوجيا الوليدة، ولكن الممارسة التقليدية أملت عليهم أنه من واجب الجيش، وليس القوات البحرية، حماية الميناء والسفن التي كانت ترسو هناك). وفي واشنطن، بدءا من الرئيس نزولا إلى سلاسل القيادة العسكرية، كانت هناك متابعة كبيرة للتحذيرات الأولية.

وقد أمر مارشال شورت، على سبيل المثال، أن يجرى استطلاع جوي مستمر من البحار حول الجزر، ولكنه لم يؤكد على تنفيذ أوامره. وقد أدت هذه العوامل إلى فشل ذريع فى التواصل بين الجيش الأمريكي والبحرية الأمريكية. واعتبر القادة فى كلا الجهازين أنه من الضروري الحفاظ على الهوة بين فروعهم والتي قد تضر بأمن البلاد. على سبيل المثال، كان الإبلاغ عن اعتراض رسائل الماجيك (الرسائل الهامة المستقاة من كود بيربل) إلى البيت الأبيض من مسؤولية الجيش في الأيام الأولى من الشهر، والقوات البحرية فى الأيام الأخيرة من الشهر!

ولكن لم يسمح لهم بتبادل المعلومات، "لأسباب أمنية". وعلاوة على ذلك، كان الرئيس روزفلت، وهو وزير سابق للبحرية، يحب سفنه وبحارته، وربما أعطاهم مزيدا من المصداقية،

وإيلاء اهتمام قليل جدا بالجيش فيما يخص الأمور غير المفيدة. وتعتبر المنافسات ليست غير شائعة داخل المؤسسات العسكرية الوطنية، وفي الواقع، يمكن القول أن التنافس الداخلي كان أكثر ضررا للمجهود الحربي الياباني مما كان عليه فى الأجهزة الأمريكية. وحتى فى يوم الهجوم كانت هناك فرص للرد على خطط العدو ونواياه مع بعض الفعالية على الأقل. وأحد أكثر الأمثلة إزعاجا هو مجال الرادار.

وكان الجيش قد تعرف على هذه التكنولوجيا الحديثة لتوه. وكان قد نصب محطة رادار صغيرة والمتنقلة بمسافة 230 قدمًا فوق مستوى سطح البحر فى أوبانا، فى شمال غرب أواهو. وبسبب القيود المفروضة على الموظفين لهذا الجهاز منخفض الأولوية، فقد تم تشغيله فقط بين الساعة 0400 و 0700. (وينبغي أن نتذكر أن الجنرال شورت أبدت لم يبد عمليا أية أهمية بالرادار، وعدم الاهتمام به تسرب حتما إلى أسفل من خلال الرتب). وفي 7 ديسمبر حدث أن طاقم محطة أوبانا كان ينتظر شاحنة نقل متأخرة لإحضار وجبة الإفطار.

ومع عدم وجود أي شيء آخر للقيام به، ترك هذان المجندان جهاز الرادار يعمل بعد الساعة السابعة صباحا. وقد كشفوا عن هروب جماعي للطائرات القادمة من الشمال الغربي، وبسرعة وبشكل عاجل أبلغوا هذا الخبر لقائدهم. ونفى هذا الملازم الشاب، الذي تم تعيينه منذ أربعة أيام فقط، التقرير وقال "لا تقلقوا بشأن ذلك". وقبل ساعة أو نحو ذلك، كانت المدمرة يو إس أس وارد (USS Ward)، والتي كانت فى دورية خارج بيرل هاربور، قد اعترضت وأطلقت النار على غواصة صغيرة كانت تحاول التسلل الى الميناء.

ثم غاصت الغواصة القزم وغرقت، ونقل كابتن الغواصة وارد على الفور هذا الخبر إلى مقر بيرل هاربور. ولم يصل هذا التقرير المنذر بالخطر إلى الأدميرال كيميل لعدة ساعات، فى الوقت الذي كان الهجوم الجوي يتم على قدم وساق. وعندما وصل، كان الهجوم قد تم بكفاءة لا ترحم، فى اثنتين من الموجات مع أكثر من 150 طائرة لكل منهما. وتم قصف وتدمير كل البوارج الأمريكية الثمانية. (وتبين أن اثنتين منها فقط قد فقدت إلى الأبد). وعلى متن السفن البحرية، على الأقل، كانت الذخيرة للبطاريات مضادة للطائرات متاحة للوصول إليها بسهولة.

وعلى الرغم من المفاجأة، ردت بعض البنادق بإطلاق النار فى غضون خمس دقائق. وعانت الطائرات المهاجمة من الموجة الثانية ضعف عدد الخسائر التي تكبدتها فى الموجة

الأولى. وبالطبع، كان يمكن أن يكون الأمر أسوأ من ذلك.

وكان من المعروف على نطاق واسع أن حاملات الطائرات الأمريكية كانت فى الميناء وقد دمرت ولا يمكن تعويض خسارتها. وعلاوة على ذلك، فقد تركت الأحواض الجافة "الصهاريج" والتي تحتوي على احتياطيات الوقود الرئيسية لأسطول المحيط الهادئ بدون أن تلمسها طائرات العدو. وفي الواقع، توسل العديد من الطيارين اليابانيين، بما فى ذلك قائد سلاح الطيران، القائد ميتسو فوشيدا، للأدميرال ناجومو، قائد المهمة، بأن يأذن لهم بشن ضربات جوية إضافية. وقرر ناجومو أن ما يكفي من الضرر قد تم القيام به، وأنه لا يريد أن يجازف بهجوم مضاد من قبل القوات الأمريكية. وفي الواقع، كان هناك القليل أمام البحرية للقيام به، لذلك كان حذر القائد الياباني نتيجة تجربته فى هذا اليوم الكارثي.

كانت السفن البحرية عاجزة عن المناورة لأنها علقت فى الميناء، ولكن فى النهاية، فإن هذه المسئولية قد أثبتت أنها نعمة. السفن التي غرقت فى الميناء يمكن استعادتها، فى حين إذا كانت قد نزلت فى المحيط فإنها ستفقد إلى الأبد. ومع ذلك، فإن حاميات الجيش تعطلت بشكل مأساوي تقريبا بسبب عدم وجود استعداد.

ولم يقتصر الأمر على ذخائرهم المحبوسة وطائراتهم التي تجلس كالبط، ولكن كانت هناك خنادق أو ملاجئ مضادة للغارات الجوية لحماية الحاميات من القنابل ومدافع رشاشة للتمشيط. فشل كل من الأدميرال كيميل والجنرال شورت فى معرفة هذه الحقيقة البديهية.

كانا رجلين ذوي خبرة طويلة فى مناصب هامة فى القيادة، ولكن على الرغم من الأدلة التي جمعت خلال الأشهر السبعة والعشرين من الحرب العالمية، فإنهما لم يكونا قادرين على فهم الطبيعة المتغيرة للصراع العسكري أو التفكير فى قدرات العدو الواقعية. كانا يعيشان بعقلية شكلتها الحروب السابقة، وتبنا فكرة التنافس الداخلي القديمة والتي لم تكلفهما وظائفهما فقط، ولكن حياة أكثر من ألفي من الرجال والنساء تحت قيادتهم.

(28)

" معركة ميدواي " ..

ليلة سقط الأدميرال !

لمدة ستة أشهر، كان لا يمكن إيقافهم تماما. احتشدوا ضد أكبر القوى فى العالم الغربي - مع بريطانيا الصناعية، والولايات المتحدة على رأس القائمة - وسيطرت القوات المسلحة التابعة للإمبراطورية اليابانية المتفشية عبر المحيط الهادئ على المستعمرات التابعة للقوى الأوروبية المحاصرة، فى حين صعدت البحرية الإمبراطورية اليابانية عبر البحار الجنوبية، وخطفوا البؤر الاستيطانية من الولايات المتحدة وبريطانيا، واحتفظت القوة الهولندية بثكناتها القليلة شمال أستراليا. وشعرت الهند وهاواي بغزو محتمل. وقد تم الرد على الهجمات اليابانية بشجاعة، ولكنها كانت غير منجدية فى نهاية المطاف.

وفي أماكن مختلفة مثل ماليزيا، وباتان، ورانغون، و جزيرة ويك، هُزم جنود الحلفاء فى نهاية المطاف. وفي سنغافورة وباتان، استسلمت جيوش جرارة، ووقع الآلاف من الرجال فى جحيم الأسر. وبالتأكيد، كان اليابانيون قد تعرضوا لنكسة صغيرة فى شهر مايو من عام 1942، فى معركة بحر المرجان، عندما اضطرت قوة بحرية كانت تعتزم السيطرة على قاعدة الحلفاء الأخيرة فى غينيا الجديدة إلى التراجع بعد معركة غير حاسمة. ولكن كان هذا انتصارا، بأي معنى من المعاني، لأن البحرية الإمبراطورية اليابانية فقدت فقط ناقلة صغيرة، فى حين أن البحرية الأمريكية ضحوا فى ليكسينغتون، بواحدة فقط من ناقلات الأسطول الثمينة الأربع فى منطقة المحيط الهادئ.

وعلاوة على ذلك، كانت حاملة الطائرات يوركتاون قد تضررت بشدة- كان اليابانيون على يقين من أن الناقلة الأولى، كيدو بوتاي، بقيادة الأدميرال شويشي ناجومو، قد خرجت من الخدمة. فى الحقيقة، كانت الانتكاسة الحقيقية الوحيدة للخطط اليابانية. وفي أبريل، كان الجنرال جيمي دوليتل قد قاد حملة جوية من ست عشرة قاذفة "بي 25" فى غارة جوية على الوطن الياباني وألقوا ما مجموعه 64 قنبلة من وزن 500 رطل.

ولكن وجودهم فى اليابان قد تسبب فى الذعر والفزع، وجلب العار للجيش الياباني، حيث سقطت تلك القنابل على أهداف فى طوكيو وعدد من المدن الأخرى. وفي حين أن الغارة لم تلحق بهم أية أضرار حقيقية، فقد تعرضت البحرية للإذلال، وأصروا على الانتقام بهجوم مضاد. وكان العقل المدبر للهجوم المضاد هذا هو نفس الأدميرال الذي أمر بشن هجوم على بيرل هاربور فى ديسمبر من عام 1941، والذي كان قد أشرف على عمليات معقدة وناجحة

فى كل أنحاء المحيط الهادي الواسع خلال الأشهر اللاحقة: الأدميرال إيسوروكويا ماموتو. كان الأدميرال ياماموتو يعرف أن الناقلات الأمريكية كانت تشكل التهديد الحقيقي والوحيد على البحرية الإمبراطورية اليابانية فى المحيط الهادئ، وثبت أنه كان على وشك وضع خطة من شأنها أن تجبر تلك الناقلات على الدخول فى المعركة، وإبادتها على يد الطيارين المخضرمين بقيادة كيدو بوتاي.

عرف ياماموتو أنه من أجل إجبار الأميركيين على المخاطرة بناقلاتهم الثمينة، فيجب عليه أن يهدد أحد الأهداف التي لا يمكن لعدوه التضحية بها. وتحقيقا لهذه الغاية، اختار جزيرة ميدواي أتول، وهي قاعدة تتألف من جزيرتين صغيرتين، ساند وإيسترن، وبحيرة، وكلها مخاطة بالشعاب المرجانية.

وعلى بعد نحو ألف ميل إلى الغرب والشمال من هاواي، كانت ميدواي المنشأة الأمريكية الوحيدة على بعد قاب قوسين أو أدنى من اليابانيين. وفقدان هذه الجزيرة المرجانية يؤدي إلى تهديد خطير لهاواي نفسها، وهو التهديد الذي لا يمكن أن تسمح به البحرية الأمريكية. وكان لدى ياماموتو الكثير من قوات البحرية تحت تصرفه - القوات المهاجمة النخبة - على الناقلات من جزر ماريانا، واكتسب التفوق الجوي على الهدف مع المقاتلات والقاذفات بقيادة كيدو بوتاي.

كان لديه أسطول من السفن الحربية السريعة التي كانت تسمح له بضرب دفاعات الجزيرة وتدميرها وتسويتها بالأرض قبل الهبوط. وللمرة الأولى، أرسلت المقاتلة كيدو بوتاي إلى المعركة بأقل من كامل قوتها. وكانت حاملتا الطائرات شوكاكو وزويكاكو ستعودان إلى اليابان لتجديدهما، وإصلاح الأضرار التي لحقت بهما فى المعركة، وتجديد جماعات الجو التي تكبدت خسائر فى بحر المرجان.

ومع سلسلة متصلة من الانتصارات فى السابق، فيبدو أنه قد تخلى عن الاستعدادات فى ميدواي لعملية عسكرية سليمة. وفي الواقع، فإن خطته كانت تتطلب تقييمًا شاملاً للمنطقة، وهو ما شارك فيه نحو سبعة فرق عمل منتشرة فى شمال المحيط الهادئ بالكامل. أذن ياماموتو بشن هجوم تضليلي ضد جزر ألوشيان فى الاسكا للاستيلاء على كيسكا وآتو، وأجزاء من التندرا بين المحيط الهادئ وبحر بيرينغ العاصف.

وعلى الرغم من أن هذه الجزر كانت ممتلكات أمريكية، فقد كان لها قيمة استراتيجية قليلة أو معدومة لكلا الجانبين. وبالنسبة للسفن الطافية، مع وجوب تعافي أسطول السفن الحربية الأمريكية بعد معركة بيرل هاربور، حصل اليابانيون على ميزة كبيرة..كيدو بوتاي، على الرغم من تركيزها على حاملات الطائرات، ضمت اثنتين من البوارج السريعة، والتي كانت أكثر قوة من البوارج الأمريكية الموضوعة فى البحر. وقد أدرجت عدة طرادات ثقيلة أيضا فى الأسطول، وكانت كل سفينة من هذه السفن معبأة أكثر من أي طراد تابع للحلفاء.

وكان لدى ياماموتو العديد من البوارج تحت تصرفه، لكنه قرر أن وضع أسطوله العظيم قيد الانتظار، بما فى ذلك البارجة ياماتو التي كانت الأفضل فى الأسطول، والعودة من منطقة العمل الرئيسية. وعلى الرغم من أنه كان يريد أن تقوم المدفعية على هذه السفن القوية بضرب أي سفن أمريكية تشاهدها، فقد نشر أسطوله فى الشرق. وفي حين أن العديد من السفن الحربية كانت بطيئة للغاية لمواكبة الناقلات، بما فى ذلك البارجة ياماتو نفسها، فقد تمكنت العديد من السفن من الإبحار مع الناقلة الأولى دون إبطاء البارجات.

ولكن الرقص يتطلب التنسيق بين كل راقصة على المسرح. إذا كان الأسطول الأمريكي قد اتبع الخطوات فى الرقص المخصص للمعركة، فإن المقاتلات اليابانية كانت ستحطمها بالتأكيد فى ميدواي.

وإذا فعل الأميركيون أي شيء آخر غير ما كان يتوقعه ياماموتو، فربما تعرض لكارثة غير مسبوقة. وفي وقت لاحق أثناء وبعد الحرب، بدأ اليابانيون فهم العقلية التي أدت بهم إلى الكارثة التي بدأت فى صيف عام 1942. ووصفوها بأنها " مرض الانتصار " ، وكانت تمثل الشعور بالثقة المفرطة، استنادا إلى سلسلة غير منقطعة من الانتصارات، ولكن أيضا التقليل من خصومهم. وفي النهاية، كان المرض قاتلا. داهمت حاملات الطائرات الأمريكية إنتربرايز، وهورنيت،، ويوركتاون المواقع اليابانية، فى حين أن السفن قد اكتسبت خبرة فى عمليات الأسطول، وحماية البارجات الحيوية.

وفي نفس الوقت، فإن المعلومات التي تم استخلاصها من شفرة البحرية اليابانية قد أفادتهم بشكل جيد ومدهش. ومع قيادة الأسطول الأميركي من قبل القائد جوزيف روشفور،

كانت قواطع الشفرة الأمريكية تعمل بجد للقضاء على التشفير المعقد التي تستخدمها القوات البحرية اليابانية. بحلول صيف عام 1942، ونجحوا فى التقاط ما يكفي من المعلومات لفك شفرة العديد من الرسائل الهامة. وعندما أصبح واضحا أن الهدف الياباني التالي والذي أطلق عليه اسم AF، قام الموظفون التابعون لروشفور بإذاعة رسالة (غير مشفرة) فى ميدواي تفيد بأن مكثف مياه البحر فى الجزيرة قد تعطل.

وبعد سماع التقرير، تجمعت كل هذه السفن إلى الشمال الشرقي من ميدواي أمام الغواصات اليابانية المخصصة لمراقبة بيرل.هاربور لتشكل خط اعتراض. وفي الوقت نفسه، عبأ نيميتز ميدواي بالعديد من الجنود والطائرات بقدر ما استطاع. وتم تركيب البطاريات الساحلية، والأسلاك الشائكة، ووضع الألغام حول المحيط بأكمله.

وأحداث الصباح الباكر من يوم 4 يونيو لم تفعل شيئا لتعزيز ثقته وربما يكون الأدميرال قد أجرى بعض التغييرات. ولكن كان هناك عيب رئيسي آخر فى خطة الأدميرال العظيم: هو ومقره كانوا على متن الناقلة ياماتو، على بعد مئات الأميال من باقي الناقلات والأساطيل اللازمة لمراقبة أجهزة الراديو السرية. لذلك لم يكن لدى ياماموتو أية وسيلة للسيطرة على الأحداث بمجرد أن بدأت فى التطور! وأصبح سير المعركة الآن فى أيدي ناجومو متبلد الحس والخيال.

وقبل الفجر، كانت كيدو بوتاي قد شوهدت من قبل المراقبين الأمريكيين فى الطائرة الكشفية. وبفضل الغطاء السحابي على فترات متقطعة، كانت الطائرة قادرة على تجنب المقاتلات اليابانية، وتقديم تقارير ثابتة إلى حد ما ودقيقة حول الناقلات اليابانية. وانطلقت القاذفات الأولى فى ميدواي فى نفس الوقت تقريبا عند بدء هجمات كيدو بوتاي الأولى ضد الجزيرة وظلوا يطلقون النار على أهداف كل منها.

ومن حسن الحظ أن كافة العمليات اليابانية تقريبا طوال فترة الحرب قد نفذت فى الساعات الأولى من ذلك اليوم المشؤوم. شملت قاذفات القنابل الأمريكية فى ميدواي الطائرات " اس.بي 2 يو " و " بي 26 " و " بي 17 " القديمة وطائرات النسف التي يقودها طيارو البحرية. وقد شنوا ما لا يقل عن سبع هجمات على أسطول الناقلات التابع للبحرية

الإمبراطورية اليابانية. وأظهر الطيارون شجاعة لا تصدق، وكثير منهم لم يعودوا، ولكنهم فشلوا فى تسديد ضربة واحدة ضد أسطول العدو. وفي هذه الأثناء، خربت طائرات الموجة الأولى ناجومو كل من جزيرة إيسترن وجزيرة ساند، وهما بقع صغيرة من الأرض والتي تقع عليها المنشآت فى ميدواي.

استقبلهم مقاتلو وطيارو البحرية بشجاعة مثل رفاقهم فى القاذفات. ولكن البحرية اليابانية تكبدت خسائر فادحة.

وكانت الطائرات لهذه الموجة الثانية مسلحة بالفعل وراسية على سطح الناقلات الأربعة فى الأسطول الياباني، ولكنها كانت تحمل الطوربيدات، والقنابل والأسلحة التي يعتزم استخدامها ضد حاملات الطائرات الأميركية متى ظهرت. ومن هنا قرر ناجومو شن ضربة ثانية وإعادة تحميل الجنود بالقنابل لهجوم بري، ولكنهم تكبدوا خسائر بشعة وأسقطت الطائرات الخمس عشرة المحملة بالطوربيد، مع تدمير سربين آخرين من الطائرات، وفشلوا فى تسجيل أية ضربة. وفي الساعة 10:20 صباحا، نجحت قوات ناجومو فى تجنب بعض الهجمات العشر دون أن يتعرضوا لأذى. وفي هذه الأثناء، كان الكشافة التابعون له قد رصدوا الناقلات الأمريكية، وكانت طواقمه مشغولة بإعادة تسليح الطائرات، مما جعلهم جاهزين لشن هجوم عاجل على الأهداف الأكثر أولوية.

وسرعان ما أصبح واضحًا أن حاملات الطائرات أكاجي، وسوريو وكاجا، التي غرقت تماما فى اللهب، قد فقدت. وكان مقامرة الأدميرال نيميتز قد عطلت أجهزة المراقبة تحت قيادة الأدميرال ياماموتو وجعلتها غير قابلة للإصلاح. ولكن تبقت ناقلة واحدة، هريو، والتي أطلقت عدة ضربات كافية لتشل يوركتاون بال قنابل والطوربيدات. ومع ذلك، سيطر الأمريكان على الأضرار. وبعد أن تركت الضربة الأولى يوركتاون محروقة ومدمرة، تم إصلاحها وإعادتها للخدمة لكنها لم تكن قادرة على تنفيذ العمليات الجوية عندما جاءت الطائرات من الضربة الثانية.

لذا كانت البحرية اليابانية على يقين بأن سفينة مختلفة هي التي هاجمت مرة أخرى حاملة الطائرات العاجزة، بدلا من البحث عن الناقلة إنتربرايز وهورنيت غير المتضررة فقط فى الأفق. وفي الوقت نفسه، شنت تلك السفن ضربات على الناقلة هريو حتى أغرقتها. وقبيل غروب الشمس فى يوم 4 يونيو، كانت جميع الناقلات اليابانية الأربعة قد غرقت أو تعطلت. هرب ياماموتو شرقا مع بوارجه الضخمة، فى حين انسحبت بقايا أسطول كيدو بوتاي فى حالة صدمة وعار. وربما يكون ياماموتو قد فهم بالفعل أنه فى تلك الدقائق الخمس انعكس زخم حرب المحيط الهادئ لمرة واحدة وإلى الأبد.

(29)

" معركة جوادالكنال " ..

سوء التقدير سبب الهزيمة !

لقد كانت انطلاقة لطيفة، باستثناء تلك النكسة الصغيرة فى ميدواي. وحتى الأميركيين حالفهم الحظ لمرة واحدة فقط! ولكن الآن يواجهك تحدٍّ خطير قبل القضاء على الحلفاء قبالة جزيرة غينيا الجديدة. كانت لديهم فقط بؤرة واحدة هناك، بورت مورسبي، على الساحل الجنوبي. أنت الآن فى أستراليا، وتقوم بترسيخ حدودك الوسطى الكبيرة فى آسيا. لا يوجد لديك وقت للانحرافات، والعروض الجانبية. لكن الآن، فى 7 أغسطس، جاء هذا الانحراف ليزعجك.

وقبل بضعة أشهر، استولت قواتك على جزر سوليمان ، عمليا من دون قتال. وبالنسبة للجزء الأكبر منها، فإنها تعتبر غابة متعفنة وعديمة الفائدة، ولكن فى أقصى الجنوب، فى تولاجي، قمت بإنشاء قاعدة للطائرات الألمانية . وقام رجالك ببناء مطار على جزيرة أكبر قريبة من جزيرة تولاجي. وهذا هو المطار الذي يبدو هدفا أمريكيا، فى مكان يسمى جوادالكانال. وخلال الهجوم على جوادالكانال ظهرت الكثير من المهمات العسكرية الأمريكية فى منطقة المحيط الهادئ خلال الحرب العالمية الثانية. وهذه هي المرة الأولى التي تقوم فيها قوة مشاة كبيرة – وكتيبة كاملة – بالهجوم فى الحرب. وكان هذا أول هجوم برمائي فى المسرح والذي بدأت منه تقريبا كل حملة لاحقة مع هجوم برمائي. وكانت هذه هي المرة الأولى التي سرقت فيها الأراضي التي كان يسيطر عليها اليابانيون.

وبدأت هذه العملية، التي يُطلق عليها الاسم الحركي "الصبار"، على عجل، بعد أن أظهرت صور الاستطلاع الجوي أن القاعدة اليابانية تشكل تهديدا كبيرا على الخطوط البحرية التي تربط بين أستراليا والساحل الغربي للولايات المتحدة. وكانت القاذفات المتمركزة هناك قادرة على إجبار القوافل بالذهاب إلى أقصى الجنوب أو مواجهة خطر هجوم جوي. لا يمكن أن يسمح لك هذا المجال بأن تكون جاهزا للعمل، ولكن كان هناك الكثير من النقاش حول كيفية التدخل فى خطط العدو.

أصبحت عملية الصبار تعرف باسم " عملية الأحذية " بالنسبة لمشاة البحرية، الذين قاتلوا بيأس للحفاظ على المطار وناقلات فليتشر، بما فى ذلك إنتربرايز، ووأسب، وساراتوجا. تم الهبوط الأولي بشكل جيد، وباستثناء بعض المقاومة عند تولاجي، تمت السيطرة على جميع الأهداف فى اليومين الأولين، دون أي تشويش من اليابانيين. وفي جوادالكانال، تألفت قوات

العدو أساسا من العاملين الذين تم تجنيدهم، ووضعوا هناك لبناء مطار، وكان لديهم حافز قليل جدًّا للقتال. وقبل 8 أغسطس، كانت مشاة البحرية بقيادة فاندجريفت قد أنشأت محيطًا دفاعيًّا حول المطار. وسرعان ما بدأ مهندسو البحرية فى العمل لاستكمال هذا المطار، والذي كان سيصبح جاهزا للعمل بحلول 20 أغسطس.

ومع ذلك لم تكن الأمور تسير على ما يرام تقريبا فى البحر أو فى الجو. وبمجرد أن علم بالغزو، شن الأدميرال اينوى فى رابول سلسلة من الغارات الجوية ضد السفن الأمريكية. وقد رأى فليتشر، الذي كان بصحبة اثنين من الناقلين الخرقاء، أنه فقد الكثير من المناضلين من أجل السلامة وسحب قواته فى ليلة 8 أغسطس.

وقبل ذلك بيوم، كان الأدميرال ميكاوا قد أبحر من رابول مع قوة الطرادات القوية. وفي الظلام، بعد وقت قصير من منتصف الليل فى صباح يوم 9 أغسطس، نهشت طراداته بوحشية مجموعتين من الطرادات الأمريكية والأسترالية التي كانت لا تزال منتشرة من قِبَل الحلفاء، حيث تم تقسيم قوة دفاعية إلى مجموعتين وفشلا فى التواصل مع بعضهم البعض طوال المعركة، وفاز ميكاوا بنصر تكتيكي كبير فى معركة جزيرة سافو. وأثبت اليابانيون تفوقهم فى المدفعية ليلا، وكانت طوربيدات "لونغ لانس" أكثر فتكا بكثير من الأسلحة الأمريكية قصيرة المدى والتي لا يمكن الاعتماد عليها. ونتيجة لهذا الاشتباك الكارثي، أذن الأدميرال غورملي بانسحاب القوات البحرية الأمريكية من المياه المحيطة بجوادالكانال.

شاهد مشاة البحرية وسائل النقل، التي كانت محمَّلة بالكثير من المواد الغذائية والذخائر وغيرها من اللوازم التي يحتاجونها للبقاء على قيد الحياة، تبحر بعيدا. وكانت مشاعر التخلي متفشية. ومع ذلك، من فاندجريفت ونزولا، كان هناك إصرار أقوى. فشل ميكاوا، من ناحية أخرى، فى متابعة انتصاره المذهل بعدة طرق حاسمة. أولا، بعد ساعات من تحقيق نصر مذهل فى جزيرة سافو، أهمل المواصلة، عندما كان يتبقى عدد قليل من الأميال لشحن قواته المدمرة لخضم المعركة عبر وسائل النقل الراسية. لم يكن يعلم أن الناقلات الأمريكية قد انسحبت، وكان يخشى هجوما جويا خلال النهار.

لذلك، تحول أسطوله واتجه إلى راباول. وكان القادة اليابانيون يعرفون أنه يجب إجبار الأمريكيين على التراجع إلى الوراء من المطار، لكنهم قللوا كثيرا من قوة القوات البرية المطلوبة

لهذه المهمة. وكان انتباههم لا يزال مركزًا على غينيا الجديدة، وقاموا بإرسال تعزيزات إلى هناك، وهبطت مفارز صغيرة ليلا إلى الشرق والغرب من محيط المارينز. وهذا الفشل فى عدم السيطرة بسرعة على البحر كلفهم المعركة. وتم تسمية المطار المؤسس حديثا باسم "مطار هندرسون"، على اسم طيار فى سلاح البحرية والذي قتل خلال معركة ميدواي.

في 20 أغسطس، وصلت أول أسراب من الطائرات البحرية، فى المقام الأول المقاتلات " إف 4 " والقاذفات أس.بي.دي ونتلس " . وكانت هذه المعدات الجوية التي يقودها الطيارون الذين يعيشون فى ظروف الغابة والتي تشبه إلى حد كبير الظروف التي يواجهها مشاة البحرية على الخطوط الأمامية، تشكل نواة "سلاح الجو"، وخلال الأشهر التالية فإنها أحدثت فرقا فى الكفاح من أجل الجزيرة. وبدعم المزيد من مشاة البحرية وعدد قليل من طياري الجيش الذين يقودون طائرات " بي 400 " التي عفا عليها الزمن، حكموا السماء أثناء النهار، حتى فى الوقت الذي سيطرت فيه البحرية الإمبراطورية اليابانية على البحر كل ليلة.

وكان الهجوم البري الأول ضد المفرزة قد شُن من الشرق، وضرب مشاة البحرية المصطفون على طول الساحل، فى فم نهر تينارو. وفي ليلة وحشية من الهجمات الأمامية، تحطمت مفرزة إيشكي تماما. وانسحبت الفلول إلى الشرق، مع انتحار الكولونيل للتكفير عن فشل هجومه. ولكن هذا الفشل لم يقنع القيادة اليابانية بأنهم واجهوا منافسا أكثر هؤلا مما كانوا يعتقدون. وبدلا من ذلك، استمروا ببساطة فى تعزيز الجزيرة بتعزيزات صغيرة فى القناة بين اثنين من السلاسل المتوازية فى جزر سليمان.

وظل الأدميرالات اليابانيون لا يبذلون جهدا لاستعادة السيطرة على الجزيرة. وبدلا من ذلك، هبطت القوات بأعداد صغيرة على متن المدمرات، أو على المدمرات التي تم تحويلها إلى وسائل نقل عالية السرعة. وكانوا يهبطون على الشاطئ ليلا، ويحتشدون ببطء تحت قيادة الجنرال كاواغوتشي، الذي كان مصمما على شن هجوم متعدد الجوانب. وما تبقى من شهر أغسطس حمل أنباء أخرى سيئة للبحرية الأمريكية. فى معركة جزر سليمان الشرقية (22-25 أغسطس)، اشتبكت القوتان، وفقدت البحرية الإمبراطورية اليابانية حاملة الطائرات الخفيفة ريوجو من أسطول المحيط الهادئ.

وقد أسفر هذا الاشتباك عن التعادل، ولكن فى 31 أغسطس، نسفت حاملة الطائرات

ساراتوجا بالطوربيد من قبل غواصة يابانية وخرجت من الخدمة لمدة ثلاثة أشهر. والأسوأ من ذلك، فى 15 سبتمبر، تم نسف حاملة الطائرات واسب بالطوربيد وأغرقت من قبل هجوم شنته غواصة أخرى. وفوق كل ذلك، بدأت الطائرات التابعة للقوات الجوية فى جعل المياه المحيطة بالجزيرة خطيرة جدا بالنسبة لليابانيين خلال ساعات النهار، كما أغرق الغواصون الناقلات الضعيفة وحتى السفينة الحربية التقليدية، وتكبد المقاتلون خسائر فادحة خلال رحلة وصولا إلى جوادالكانال من القاعدة اليابانية الكبرى فى رابول.

وعلى الأرض، تحرك الجنرال كاواغوتشي بشق الأنفس مع رجاله على التلال فى الغابات والأنهار المستنقعية ، لوضع قواته فى وضع يمكنهم من مهاجمة موقع هندرسون من الجانب الداخلي، إلى الجنوب. ومع زيادة التشديد على الدفاع عن الجانب الساحلي، كانت التلال أعلى الخط رقيقة، مع العديد من الثغرات البارزة. وكانت المعدات الثقيلة، مثل أسلحة، تتواجد معهم علي مسارات الغابة. ومع ذلك، صعدوا أعلي التل فى موجات محمومة، واندفعوا فى الخنادق البحرية بواسطة الحراب الثابتة.

استقبلهم وابل من نيران المدفعية، والرشاشات والأسلحة الصغيرة؛ وعلى مدار عدة أيام احتدمت المعركة، مع مجموعة من المهاجمين الذين اخترقوا خطوط البحرية، إلا أنه تم منعهم والقضاء عليهم قبل أن يتمكنوا من تهديد هذا المجال. وبعد أكثر من عشر هجمات ضد قمة التل، التي عرفت باسم "القمة الدامية" فى تاريخ مشاة البحرية الامريكية، أنهكت قوة مشاة كاواغوتشي.

تراجع الناجون عبر الغابة، وتعرضوا للجوع والمرض. وبعد هذا الفشل، بدأ اليابانيون أخيرا فى أخذ الأمر على محمل الجد. وصل الجيش السابع عشر، تحت قيادة الجنرال هاريوشي هياتوتاكي ، واحتشدوا فى كتيبتين، حوالي عشرين ألف رجل، بقصد شن هجوم كبير ومركز. ومع ذلك، فإن التضاريس الوعرة فى المناطق الداخلية من الجزيرة، والاتصالات فى البيئة البرية، جعلت الهجوم يتم ببراعة بدون تنسيق. وفي سلسلة من الهجمات المتفرقة فى 23-25 أكتوبر، كانت حياة الآلاف فى خطر.

وظل الصراع البحري مريرا. وفي 13-15 أكتوبر، هبطت البوارج، والطرادات، والمدمرات اليابانية لقصف المواقع البحرية والمطار بأسلحتهم الكبيرة. وتم تدمير العديد من الطائرات

على الأرض. ومع ذلك، خلال هذا الشهر، بدأ الأسطول الأميركي يستعيد زمام المبادرة، مع تحسينات في التكتيكات والقيادة. وتم استبدال الأدميرال وليام هالسي بالأدميرال غورميلي في 18 أكتوبر. ومن 26-27 أكتوبر، شارك الجانبان في معركة أخرى للناقلات، وهي معركة جزر سانتا كروز. وعلى الرغم من أن الأمريكيين قد فقدوا الناقلة هورنيت العظيمة، خسر اليابانيون أكثر من مائة طائرة، ولقي الطيارون حتفهم.

تحول المد للأصلح، وفي المعارك اللاحقة- معركة جوادالكانال ومعركة تاسافارونجا- بدأت تظهر المهارات الأمريكية في القتال الليلي. وبحلول شهر نوفمبر، وصلت فرقة المارينز الثانية لتعزيز الفرقة الأولى. كما وصلت وحدات الجيش، بدءا من فرقة المشاة 164 وانتهاء بالكتيبة الأمريكية بأكملها، أيضا.

وفي 9 ديسمبر، أنقذ الجنرال الكسندر باتش أخيرا فاندجريفت وفرقة مشاة البحرية الأولى. وبحلول نهاية العام كان هناك أكثر من خمسين ألفًا من القوات الأمريكية في الموقع. وهاجم الأميركيون بلا هوادة، مما دفع العدو إلى أقصى غرب الجزيرة. ومع الاعتراف بخسران المعركة، قام اليابانيون بإجلاء نحو ثلاثة عشر ألف جندي خلال الأسبوع الأول من شهر فبراير. وفي حين أن كلا الجانبين قد ارتكبوا الكثير من الأخطاء في معركة جوادالكانال، وأخطاء القيادة العليا اليابانية، بما في ذلك الأدميرال اينوى، والأدميرال ميكاوا، والأدميرال تاناكا، والجنرال كاواجوتشي والجنرال هياكوتاكي، كانت هذه الأخطاء خطيرة بما يكفي لتكلفهم المعركة. وهي تشمل:

- الفشل في الاستفادة من انسحاب البحرية الأمريكية خلال الشهر الأول من المعركة.
- عدم القدرة على التعرُّف على أهمية المعركة، حتى فات الأوان.
- تكتيكات التعزيز والهجوم الضعيفة التي بددت كل التفوق العسكري.

(30)

" معركة ستالينجراد " ..
كارثة الجنرال باولوس !

تخيل أنك الجنرال فريدريك فون باولوس. لقد وصلت إلى منصبك كقائد لجيش عظيم وذلك ليس بفضل مهاراتك التي لا تصدق، ولكن لأنك كنت على علاقة جيدة جدا مع العالم النازي. وفي قضيتك، كان هذا الأمر كافيا لترقيتك فى العمل مما شكل مساهماتك فى الحرب العالمية الثانية. وقد كنت تؤدي بشكل جيد فى منصبك.

وفي الواقع كانت الترتيبات المفصلة لعملية بارباروسا ، والغزو الكبير للاتحاد السوفيتي خلال صيف عام 1941، هو تحفتك الخاصة. والآن، فى عام 1942، كنت قد ارتقيت إلى ما بعد دور المخطط وقيادة الجيش السادس. هذا هو محرك جبار للحرب، ورأس الحربة الرئيسية فى الهجمات الضخمة فى صيف عام 1942 والتي شنت عبر مساحات شاسعة من السهول الروسية، وعبرت الأنهار الكبيرة لجني أكبر جائزة للحملة.

على بعد ستين ميلا فقط عن المدينة الكبيرة على نهر الفولغا، كان يقع مركز النقل والصناعة ذو القيمة الاستراتيجية الضخمة- وذو قيمة رمزية أكبر- لأنه سمي على اسم الرجل الذي كان يسيطر على الدولة السوفييتية. وهي مدينة ستالينغراد. وخلال السنة الأولى من الجرب النازية السوفيتية، تحرك الجيش الألماني إلى موسكو ولينينغراد، إلا أنه أحبط فى ضواحي هذه المدن الرئيسية. وفي عام 1942، ضرب هتلر الأراضي الغنية بالنفط فى القوقاز. وبحلول نهاية شهر يوليو من عام 1942، كان الألمان قد مزقوا بوحشية الجيش الأحمر أينما حاولوا الوقوف ضدهم.

وسقطت قلعة سيفاستوبول العظيمة وشبه جزيرة القرم كلها، وعبروا نهر دونتس وسرعان ما شقوا طريقهم عبر هذا الحاجز الهائل. ومن " دون " واصلت الدبابات الألمانية المسيرة، وكان " كليست " قائد فرقة الجيش " إيه " جنوبا. وكانت المراتب المتقدمة تصل فى الواقع على سفوح جبال القوقاز وشاطئ بحر قزوين. وقامت فرقة الجيش " بي " ، مع الجيش السادس بقيادة فون باولوس فى الصدارة، بعبور الدون باتجاه ستالينغراد، هذه المدينة الصناعية الكبيرة والتي كانت تسمى " تساريتسن " قبل أن يقوم الدكتاتور السوفيتي بتغيير اسمها كما كانت مفتاح السيطرة على نهر الفولغا. ولكن هتلر، كما فعل فى كثير من الأحيان، كان فقط يتلاعب بالخطة. وكان المكون الرئيسي الآخر للجيش بجانب الفرقة " بي " والجيش السادس هو جيش الدبابات الرابع.

اتجه هتلر جنوبا لمساعدة كليست، وهكذا ترك فون باولوس، وفي 23 أغسطس وصل إلى نهر الفولغا شمال ستالينغراد. ووصلت المزيد من الفرق، وبدلا من محاولة تطويق هدفه وقطع الدعم عنه، قام القائد العام بوضع هؤلاء الوافدين الجدد في مفرمة اللحم في المدينة. وشن هجماته من الشمال والغرب والجنوب، وعلى طول المحيط الكامل لمدينة ستالينغراد، وهي مدينة صغيرة كانت تمتد لأكثر من عشرة أميال صعودا ونزولا على الضفة الغربية لنهر الفولغا. وفي الوقت نفسه، حول جيشين سوفيتيين، تحت قيادة الجنرال فاسيلي تشيكوف، المدينة إلى حصن.

وحاصر الروس كل مبنى، وكل شارع وكل زقاق من المدينة الضخمة. وحولوا المصانع، وصوامع الحبوب، ومحطات القطارات إلى حصون، وعلى الرغم من أنهم كانوا يندفعون بشكل مطرد نحو العودة إلى ضفاف الفولغا، جعلوا الألمان يدفعون ثمن كل شبر من الأرض الدامية التي سيطروا عليها. وتم تحويل مصنع كبير للجرارات في الطرف الشمالي من المدينة إلى خط إنتاج لمعدات الحرب. والآن، حيث سقطت القذائف فوقه وحوله، واصل خط الإنتاج العمل، وضخ دبابات من طراز " تي 34 ". وتمت مساعدة المدافعين السوفييت بهجوم مدفعي هائل وراء الحاجز المنيع في الفولغا.

كان ستالين مصمما تماما أن المدينة، التي تحمل اسمه، لا ينبغي أن تسقط. وأمر بإرسال كل التعزيزات المتاحة لهذا القطاع من الجبهة. ولأن الألمان فشلوا في تطويق المدينة، ولم يبذلوا في الواقع أي جهد لعبور نهر الفولغا شمال أو جنوب ستالينغراد، فقد تم نقل هؤلاء الجنود الجدد عبر النهر بأعداد كبيرة. واستخدمهم تشيكوف لدعم المواقع المتداعية عبر جبهته، وخلال البرد من سبتمبر إلى أكتوبر، فقد واصلوا النضال الفتاك بلا هوادة.

وثمة تحرك آخر لستالين أثبت أنه كان حاسما: وضع قائده الألمع، المارشال غيورغي جوكوف-الرجل الذي أنقذ كلاً من لينينغراد وموسكو في العام السابق - في القيادة في ستالينغراد. وأمر جوكوف بتخطيط هجمة مرتدة، وأوعز إليه، تحت طائلة الموت، بالحفاظ على السرية المطلقة لتلك الخطط. وحتى تشيكوف، بعد أن ظل يدافع بشكل يائس عن المدينة، كان لا يعرف أن العملية الوشيكة تهدف إلى إنقاذه. وواصل فون باولوس هجومه بعلمه فقط، وإصرار بالغ. وفي عدد قليل من الأماكن، تدفقت قواته من خلال النهر، وفي كل مكان على

الأرض، بما فى ذلك جميع مراسي العوامات المهمة، حيث وصلت معظم التعزيزات السوفيتية. وعلى الرغم من أن تشيكوف طالب بالمزيد من الرجال، فقد تم جعل هذه التعزيزات محدودة من قبل جوكوف للحد الأدنى اللازم للحفاظ على الدفاع.

وتم سحب العديد من هؤلاء الرجال الجدد من مسرح سيبيريا، وكانوا مقاتلين أقوياء فى أي مكان فى الحرب. وأضافوا قوة دفاعية وصمدوا بعناد عندما بدأ شهر نوفمبر ولاح الشتاء الروسي فى الأفق. أما بالنسبة لبقية قوات جوكوف المتاحة، فقد كانت لديه خطط كبيرة.

احتشد مئات الآلاف من القوات الألمانية فى المدينة المتنازع عليها، ولكن كان لدى الجيش السادس اثنان من الأجنحة الطويلة والهشة المكونة من الجنود الرومانيين. وعلى الرغم من أن بلادهم أجبرت على الانضمام إلى الغزو المشؤوم لعدو رومانيا القديم "روسيا"، كانت هذه القوات مجهزة بشكل أقل بالأسلحة، وأقل حماسا بكثير من رفاقهم الألمان. وعلاوة على ذلك، فقد كانوا يسيطرون على أماكن طويلة جدا من الجبهة لأن الجيش السادس كان قد انتقل بعيدا لبقية الأراضي التي يسيطر عليها الألمان. وكان توقيت الهجوم بقيادة جوكوفيتزامن مع اثنين من العوامل الحاسمة، أحدهما استراتيجي حيث سلب البريطانيون الدار البيضاء، ووهران، والجزائر من فرنسا الفيشية، مما جذب انتباه هتلر بظهور تهديد جديد وواضح. وكانت أول ميزة تكتيكية هي الطقس البارد والمتجمد والذي جعل السهول الطينية صعبة وفتح المجال كله لعمليات سريعة بالدبابات. وبدأ الهجوم فى 19 نوفمبر، مع اثنين من "الجبهات" القوية (أي ما يعادل فرق الجيش السوفيتي) وضرب الجيش الروماني الثالث الذي كان يسيطر على خط نهر الدون إلى الغرب والشمال من ستالينغراد. وتحطمت الجبهة الجنوبية الغربية، تحت قيادة الجنرال نيكولاي فاتوتين، وكانت هناك عمليات كر وفر لعدة أميال فى اليوم الأول من الهجوم.

وهاجمت جبهة دون، تحت قيادة المارشال قنسطنطين روكوسوفسكي، بشكل أقرب إلى ستالينغراد، وحتى مقر قيادة فون باولوس. وبينهما، تحطم الرومانيون، وسرعان ما حاصرتهم خمس فرق، وتكبدوا هزيمة فادحة. وفي 20 نوفمبر، توجهت الفرقة الثانية من الفرق بقيادة جوكوف إلى الغرب والشمال من المنطقة جنوب المدينة المحاصرة. وضربت جبهة ستالينغراد، بقيادة الجنرال أندريه يريمينكو، الجيش الروماني الرابع وتوغلوا إلى عمق الجناح الخلفي.

وفي 23 نوفمبر، طوقوا قوات العدو بشكل كامل. ومع هذا الهجوم المضاد المفاجئ والحاسم، تغيرت معركة ستالينغراد من هجوم نازي إلى نضال من أجل البقاء على قيد الحياة. واشتدت برودة الشتاء الروسي وقاتل الجيش السادس للحفاظ على سيطرة السوفييت على الخليج، فى حين سعى الرجال لتدفئة أنفسهم، والبحث عن ما يكفي من الغذاء للحفاظ على أنفسهم على قيد الحياة. وتولى هتلر بنفسه قيادة الوضع، معلنا ستالينغراد "كحصن"، حيث تعهد غورينغ، القائد العام للقوات الجوية الألمانية، بأن سلاح الجوي الألماني سيزود الجيش حتى يستطيع النازيون استئناف الهجوم مرة أخرى. ومثل معظم وعود غورينغ، فإن هذا الوعد قد أثبت أنه أبعد من قدراته.

وكان الرد الألماني على المارشال جوكوف، القائد الذي أرسل لإنقاذ القطاعات المحاصرة، هو جمع قواته المدرعة الأقوى تحت قيادة الجنرال هيرمان هوث، وأمرهم بتنفيذ "عملية العاصفة الشتوية" ، والتي كانت تهدف إلى إغاثة القوات المحاصرة فى ستالينغراد. وهاجمت "مجموعة هوث" فى يوم 12 ديسمبر، وتوجهوا نحو ستالينغراد من الغرب إلى الجنوب، مما أصاب الجيش الخامس السوفيتي بصدمة. وكان عدد الأسلحة الروسية يفوق المدرعات، لكنها حققت تقدما مطردا، وقاومت تقدمهم حتى إنهم توغلوا لحوالي 35 ميلا بعيدا عن الجيش السادس المحاصر. واتصل مانشتاين بفون باولوس عن طريق الإذاعة وحثه على محاولة الخروج.

وإذا احتشدت القوتان الألمانيتان معا، فربما تمكنوا من الحفاظ على الفتحة مما كان سيسمح للجزء الأكبر من الجيش السادس بالخروج من الفخ القاتل فى ستالينغراد. ولكن فون باولوس كان لا يمكن أن يتحرك من دون إذن من هتلر، وعندما تم التشاور مع الفوهرر، أصر على بقاء قواته المحاصرة فى مكانها حتى لا يتخلوا عن أي شبر من الأرض التي استولوا عليها على الرغم من أن الأرض لم تكن تمثل فى ذلك الوقت شيئا أكثر من مجرد مكان ليموت فيه عشرات الآلاف من الألمان. وشن السوفييت هجوما مضادا على هوث عشية عيد الميلاد، مع جيش الدبابات الخامس، وجيش الحرس الثاني، جنبا إلى جنب مع الجيش الحادي والخمسين، وقاتلوا بشراسة عبر دون.

وتحدد مصير الجيش السادس. كان الجوع والصقيع يستشري بين الألمان المحاصرين، وأسقطهم التعب حتى إن الرجال كانوا بالكاد يمكنهم الوقوف، ولم يعودوا جنودا أكفاء كما

كانوا من قبل. ولكنهم لم يستسلموا. حاصرت الجيوش السوفيتية ستالينغراد من جميع الجهات، ولم تجد القوات الجائعة والمتجمدة أية قوة للمقاومة.

وبحلول يناير، جلب جوكوف المزيد من القوات، والآن سقط الالمان على كل شبر وشارع من الأرض الدامية الخراب. وفي 8 يناير1943، أعطى روكوسوفسكي الفرصة لفون باولوس للاستسلام، ولكن الجنرال الألماني، تلقى أمرًا مرة أخرى من هتلر بمواصلة المقاومة. وحاصر الروس القوات النازية فى اثنين من الجيوب تحت أنقاض ستالينغراد. وكان لدى هتلر بطاقة واحدة أخيرة للعب بها، وكانت نوعا من الجنون والتهكم ومكافأة رمزية. فى 30 يناير، قام بترقية فون باولوس إلى رتبة مارشال، وهي أعلى مرتبة فى التسلسل القيادي العسكري الألماني.

وبعد ذلك بيومين، استسلمت مجموعة أخرى من الألمان، فى الطرف الشمالي من المدينة. وكانت معركة ستالينغراد قد انتهت. وألقى السوفييت القبض على ما يقرب من 100.000 من الألمان، مع عدد مساو ممن ماتوا خلال المعركة. وكانت هذه الخسارة سيئة بما فيه الكفاية، ولكن بسبب الرمزية الرائعة فإن كل جانب قد تكبد خسائره الخاصة فى هذه المعركة، وكانت الهزيمة الحقيقية أكبر.

وكانت هذه نهاية هجوم ألمانيا ضد روسيا. ومن هنا فصاعدا، كان السوفييت يهاجمون، وكان الجيش الألماني يدافع ويتراجع، حتى المعركة النهائية. ويمكن تحميل الكثير من الكوارث فى ستالينغراد لأدولف هتلر نفسه. وعلى الرغم من ذلك، فإن القائد الميداني الجيد هو من يتفحص المعركة بشكل أكثر دقة ووضوح، إن لم يستطع الحصول على النصر، فإنه يخرج بالكثير من جيشه سليما على الأقل. ولكن بدلا من ذلك، فون باولوس:

- حاول أن يشق طريقه إلى المدينة على طول جبهتها العريضة، بدلا من محاولة تطويق وعزل النقطة القوية الحاسمة للسوفيت.
- قلل إلى حد كبير من قدرة الروس على الاحتفاظ بستالينغراد مهما كلفهم الأمر.
- وأخيرا، فشل فون باولوس فى محاولة الخروج عندما كانت قوة الإغاثة بقيادة مانشتاين تتمركز فقط على بعد بضع عشرات من الأميال. وفي الطاعة العمياء لأوامر سيده، الجنرال/ المارشال، كما فعل الكثيرون من الألمان الآخرين خلال هذه الحرب، حدد مصيره المشئوم بيده.

(31)

" معركة القصرين " ..

روميل يسقط فريدندال !

"معركة القصرين" ..

ظلت قوات المحور والحلفاء تتقاتل على قارة أفريقيا منذ عام 1940، وتركزت المعارك على طول الصحارى الساحلية لليبيا ومصر. وبعد سلسلة طويلة من النجاحات، ضربت الدبابات الألمانية بقيادة المارشال اروين روميل أفريقيا بينما ضرب الجيش الثامن بقيادة المارشال برنارد مونتغمري رومل (ثعلب الصحراء) مما جعله يتراجع، وقضى بشكل دائم على تهديد المحور لقناة السويس، واستولوا على الموانئ الليبية الرئيسية واحدا تلو الآخر: طبرق، وبنغازي وطرابلس.

وفي الوقت نفسه، شنت قوات الحلفاء أول عملية مجتمعة، وهي هبوط على ثلاثة أيام فى الأراضي الفرنسية الفيشية في غرب شمال أفريقيا. كانت الموانئ الرئيسية – كانت الحرب دائما حول الموانئ، على ساحل الصحراء –.توجد فى المغرب والجزائر الفرنسية. ولكن وجد أن الأهداف الحقيقية للعملية، الموانئ التونسية فى بنزرت وتونس، خطيرة جدا لشن هجوم مباشر. وبدلا من ذلك، فإنهم كانوا سيخترقونها من الجزائر العاصمة.

وكان القائد العام لـــ " عملية الشعلة " هو الجنرال دوايت أيزنهاور. وقد واجه العديد من التعقيدات، وليس أقلها الوضع السياسي المعقد بين مصالح فرنسا الحرة، وفرنسا الفيشية والمصالح البريطانية والأمريكية فى شمال غرب أفريقيا . وقضى آيك معظم وقته فى محاولة لتسوية هذه الفوضى مع بعض النجاح الملحوظ، للتأكد، فى حين غادر الحملة الفعلية لقادة الجيش. وكان التقدم فى تونس بطيئا. واستغرق الأمر وقتا طويلا من الجنرال البريطاني أندرسون، والجيش البريطاني الأول والفيلق الثاني الأمريكي فى شهر ديسمبر المتجمد لتحديد المواقع الدفاعية فى فصل الشتاء.

وفي أوائل عام 1943، كان روميل قد أكمل التراجع الطويل واحتل خط مارث ، وهي شبكة قديمة لكنها شبكة واسعة من التشكيلات التي أقامها الفرنسيون على الحدود التونسية الليبية قبل الحرب. وكان مونتغمري يتقدم ببطء، ولكن على الرغم من الوتيرة البطيئة، عرف روميل أن خصمه سيحصل فى نهاية المطاف على ما يكفي من القوة على الحدود لشن هجوم قوي.

وفي هذه الحالة، شكلت قوات الجنرال أندرسون فى غرب تونس تهديدا قاتلا بالنسبة لجيش الدبابات. وبطبيعة الحال، قرر رومل الهجوم. وكان يستهدف الفيلق الثاني الأمريكي، والطرف الجنوبي من موقع أندرسون. ولكنه لم يكن دمويا نسبيا، ومع تحقيق انتصار مثير،

كان يأمل أن يبث فى الجيش الأمريكي شعورًا كبيرًا بالنقص فى ساحة المعركة. ومع هذا الجهد، فلم يعقه كثيرا القائد الميداني المنافس له. وكان الميجور جنرال لويد فريدندال يزعق بصوت عال وقوي، أمام القائد العام للفيلق الثاني حول ما يريد، وأين ومتى يريد ذلك.

وعندما وصل إلى مقر قيادته، وجدت الكشافة التابعة له كهفًا يقع على مسافة بعيدة من الوادي البعيد، ووضع فريدندال عدة مئات من المهندسين لحفر مخبأ تحت الأرض. (في وقت لاحق، علق أيزنهاور أنه لم يسبق له أن لاحظ مقرًا رئيسيًا آخر لذلك عقد العزم على الحفر تحت الأرض). ويبدو أيضا أن فريدندال كان يريد السيطرة التكتيكية المباشرة على وحداته. وبالتأكيد، كان هذا هو الحال مع الفيلق الثاني فى تشكيل الدبابات الثقيلة.

كانت الفرقة المدرعة الأولى للجيش الأمريكي هي التشكيل المدرَّع الوحيد مما دل على التقدم الأميركي البطيء نحو آلة الحرب الحديثة. وشاركت الفرقة الأولى فى عملية الشعلة، وبسرعة تغلبت على المقاومة الحماسية لكن قصيرة الأمد لعدد قليل من قوات فرنسا الفيشية فى شمال أفريقيا والذين كانوا يميلون إلى المقاومة. وباعتباره تشكيلاً مدرعًا من الفيلق الثاني، شكل عنصرا أساسيا من الوجود الأمريكي فى الحرب حيث واجهت قوات الحلفاء القوات الألمانية بقيادة رومل وفون ارنهيم فى تونس. وكان قائد الفرقة، الميجور جنرال أورلاندو وارد، هادئا ويتحدث بلين ويحترمه رجاله، ولكن قائد كتيبته لم يكن كذلك. وبعد تجاوز سلسلة القيادة، أصدر فريدندال أوامر مباشرة إلى القادة التابعين لوارد، بالتحرك إلى مدينة سيدي بوزيد ، قبل بقية الفرقة والقوات.

وسيطرت عناصر المشاة على اثنين من التلال الهامة: جبل ليسودا وجبل كسايرا. وتركوا الدبابات والمدفعية فى السهول أسفلهم، ولكنها كانت بعيدة جدا عن بعضها البعض لتقديم الدعم المتبادل. وجال ايزنهاور مواقع الفيلق الثاني للمرة الأولى فى 13 فبراير 1943. وأبدى تخوفه من ضعف الوحدات والتي كانت تقف لعدة أيام ولم تتمكن بعد من وضع حقول الألغام أو استكمال الحفريات دفاعية كما كان منزعجًا من مفرزة فريدندال من واقع منصبه. ورأى وجوب استخدام المهندسين العاملين على الحفريات لتعزيز مواقعهم فى الخطوط الأمامية.

لكنه كان متأخرا جدا لفعل أي شيء بشأن أي مشكلة. وحاصرت اثنان من تشكيلات روميل، فرق البانزر العاشرة والحادية والعشرين القوات المشتركة فى فبراير 14. وهزموا بسرعة وحدات المدرعات المصابة بالدهشة، وحاصروا فرقة المشاة على اثنين من قمم التلال المعزولة. وجابت طيارات سلاح الجو الألماني، بما فى ذلك القاذفة ستوكا التي عفا عليها الزمن تقريبا، السماء بينما سيطرت قوات المحور على المدينة والسهول تحتها. وفي اليوم التالي، أمر فريدندال بشن هجمة مرتدة لفريق آخر من تشكيلات المدرعات.

وتوالى تقدم هذا التشكيل من الدبابات الثقيلة إلى الأمام، وتركهم الألمان حتى وقعوا فى فخ. وفي الثانية الأخيرة، أطلقت الدبابات وابلا من النار. وخلال الأربع والعشرين ساعة التالية، تخلت القوات الأميركية المتبقية عن اثنين من مواقعها على قمم التلال وحاولوا الفرار سيرا على الأقدام. وتم القبض على أكثر من نصفهم أو قتلوا.

وتقدم روميل نحو الممر الذي سميت المعركة باسمه. واخترق الفيلق الثاني، وكانت مواقع الحلفاء بأكملها مفتوحة أمامه. لكن نظيره فون ارنهيم أصر على أخذ فرقة البانزر العاشرة معه. وظل وضع الخلط بين القيادات والذي خلقه هتلر كما هو، ولم يكن لدى ثعلب الصحراء أي خيار سوى إطلاق الفرقة. ومع ذلك، شق طريقه من خلال ممر القصرين ضد المقاومة المتشنجة واندفع شمالا نحو تبسة. وكان مدعوما من قبل أربعة عشر مدفع هاوتزر من دائرة المشاة الأمريكية التاسعة، والبنادق التي تم الاستحواذ عليها على بعد مئات الأميال عبر المسارات الجبلية الموحلة. وبعد مراقبة ستار نيران المدفعية شخصيا عبر الطريق الذي سلكه مسبقا، وبعد أن خسر نصف قواته المدرعة أمام فون ارنهيم، أوقف ثعلب الصحراء الهجوم. وكانت قوات فريدندال فى حالة من الفوضى، والروح المعنوية المحبطة نتيجة الحرب الخاطفة. انسحب روميل مرة أخرى من خلال ممر القصرين، وترك أقل من عشرة من دباباته مدمرة فى ساحة المعركة، فى حين كان الفيلق الثاني يلعق جراحه فقط وظلوا ينتظرون قائدا جديدا. أطلق ايزنهاور النار على فريدندال، على الرغم من أن القائد الأعلى الغاضب لم يتمكن من السيطرة على مرؤوسه وتم إعادته إلى الولايات المتحدة محملا بالعار.

(32)

معركـة أوكينـاوا ..
الثقة المفرطة والسقوط فى الفخاخ!

تعتبر هي المعركة النهائية فى مسرح المحيط الهادئ فى الحرب العالمية الثانية، حيث اشتبكت قوات الحلفاء مع القوات اليابانية فى عمليات بحرية وجوية، والتي شملت العديد من هجمات الكاميكاز بمشاركة أكبر أسطول من القوة البرية والبحرية فى تاريخ الحرب فى المحيط الهادئ وأوروبا (حتى أكبر من غزو نورماندي فى العام السابق)، وبمشاركة أكثر من ألف وخمسمائة سفينة تحمل أكثر من نصف مليون جندي فى جزيرة أوكيناوا، التي لم يكن يزيد طولها عن ستين ميلا. وعلاوة على ذلك، كان هناك حوالي 183.000 جندي إضافي وأكثر من اثنتي عشرة طائرة متاحة عند الطلب، إذا لزم الأمر.

وقد تم تصميم استراتيجية الحلفاء بتركيز القوة الساحقة على هدف مركز لوضع حد للحرب من خلال إرسال رسالة بالحتمية وتأمين وسيلة سريعة وواضحة وحاسمة للفوز. وكان يعتقد أنه إذا تم تأمين جزيرة أوكيناوا، وهي المحور الأساسي فى جزر ريوكيو، فيمكن استخدام البر الرئيسي الياباني لغزو الحلفاء. وفي البداية، سارت الأمور وفقا لخطط الحلفاء.

وفي يوم الهبوط الأول، أطلقت السفن وابلا كثيفا من النيران بحيث قتل كل الجنود اليابانيين، وانتهت المعركة قبل أن تبدأ. ثم تم قصف الشواطئ وتمشيطها بواسطة الطائرات. وفي الواقع، فُقِدَ فقط 28 رجلا فى اليوم الأول وحده، قبالة الشاطئ وفي الغابات، بدون مقاومة تذكر، حتى إنهم سيطروا على اثنين من المطارات على الفور تقريبا.

استمر هذا التقدم وعدم سفك الدماء لمدة أسبوع. ثم تعرض الأسطول البحري لهجمات الكاميكاز على نطاق واسع. واستمرت هذه الهجمات لما يقرب من عشرة أسابيع. وفي الوقت نفسه، واصل الرجال على الشاطئ رحلتهم حتى وصلوا إلى الثلث الجنوبي من الجزيرة، حيث واجهوا أول مقاومة لهم، مما أدى إلى حالة حرب استمرت لما يقرب من مائة يوم، ونتيجة لذلك، تحول التفوق الأميركي غير المتوازن للقوة المسلحة إلى مفرمة لحم قبيحة وعلى ما يبدو القتال رجل لرجل بلا نهاية. وفي الواقع، أدى الغزو الأمريكي الأكبر إلى أكبر حملة دموية فى تاريخ البحرية الأمريكية.

ما الخطأ الذي حدث؟ نظريا، قوات الحلفاء وضعت خطة ضمنت لهم النصر منذ اليوم الأول، حتى إن الكولونيل هيروميتشي ياهارا، الذي ابتكر حرب خطط الدفاع، قال: "الحقيقة

هي أنه لم تكن لدينا فرصة للفوز فى أوكيناوا". ولهذا، توصل الجانبان تجريبيا إلى نفس الاستنتاج العام. ومع ذلك، كان لهذا الاستنتاج قصة أخرى مختلفة تماما.

وبالنسبة لقوات الحلفاء، كان ذلك يعني أن استسلام الشرفاء سرعان ما سيأتي. وبالنسبة لليابانيين ذلك فقد كان ذلك يعني العكس تماما. فيكتور ديفيز هانسون، فى تقريره الرائع "هدير المعركة"، لخص الأمر بهذه الطريقة: "كانت خططهم أيضا بسيطة جدا - قتل الكثيرين من الأميركيين، وتفجير أو إسقاط العديد من الطائرات، وإغراق الكثير من السفن بحيث تفقد الولايات المتحدة الأمل فى التعرض لمثل هذه المحنة مرة أخرى".

ولذلك، فإن الحرب الهمجية الشرسة حتى نهاية اليوم قد منعت الغزاة من محاولة اتباع نهج مماثل لليابان نفسها، وربما جعلهم أكثر تقبلا للسلام عن طريق التفاوض بدلا من الاستسلام غير المشروط. وهكذا، مرة واحدة يعترف المرء بأن الفوز أمر مستحيل، حيث إن المخاطر تتغير. والخسارة بشرف تصبح هي هدفًا ووسيلة للتفكير بأن الحلفاء كان يجب أن يتوقعوا ذلك، نظرا لتعرضهم السابق لهجمات الكاميكاز وأيضا التضاريس التي واجهوها.

كانت أوكيناوا أكبر من معظم الجزر السابقة التي سيطروا عليها من المحيط الهادئ إلى شواطئ اليابان، وكانوا عرضة لطقس لا يمكن التنبؤ به، والتكوينات الطبيعية التي من شأنها أن توفر غطاء لوصول "الغزاة". وعلاوة على ذلك، على الرغم من الأسلحة الثقيلة التي تفوق بها الحلفاء كثيرا على اليابانيين، والعدد الفعلي لقوات الحلفاء مقارنة بالقوات اليابانية على أرض الواقع، وبالتالي القتال رجل لرجل (ولا حتى بشأن الضرر الذي سببته القناصة الخفية والشراك الخداعية)، كان القتال واحدًا ونصفًا إلى رجل واحد، وهو بأي حال من الأحوال قوة ساحقة.

وفي الواقع، سمحت الثقة بالنفس من جانب قادة الحلفاء لأتباعهم بالسير فى الفخاخ التي وضعتها القيادة اليابانية الماكرة. ومن خلال سحب جميع القوات التي بلغ عددها 100،000 رجل إلى الثلث الجنوبي من الجزيرة، فقد مر الحلفاء بلا مبالاة عبر مساحات شاسعة من الأراضي المهجورة، ليجدوا أنفسهم محاطين بالقوة الوحشية للانتحاريين، بعيدا عن الشاطئ وعدم وجود أية فرصة لوصول تعزيزات فورية.

لقد قضى المدافعون أكثر من عام لإنشاء تحصيناتهم وفخاخهم، وجعل المناخ المحلي مستحيلا تقريبا للحصول على استطلاع جوي دقيق وواضح. وكان لدى قوات الحلفاء خطة أيضا، وكانوا غير راغبين فى التخلي عنها لمجرد أنها أثبتت عدم فعاليتها. وربما كان يمكن تحقيق أهدافها بشكل أسرع عن طريق الانسحاب الكامل بمجرد أن واجه المشاة مقاومة غير متوقعة، يليها القصف من كل من القوات الجوية والبحرية والذي لم يضعف مقاومتهم فقط، ولكن أيضا حرمهم من غطائهم ومنشآتهم.

ومع القصف البري والبحري، فإن عددًا قليلًا من الجرافات الجيدة قد أنقذت حياة عدد كبير من الأميركيين. وما كان ينبغي أن يكون فوزا سهلا أدى إلى ربع مليون حالة وفاة فى تسعين يوما فقط وهي التسعين يوما الأكثر دموية والأكثر وحشية فى الحرب. وعندما انتهى كل شيء، فقد تركنا اليابانيون وأطلقوا سراحنا، شريطة أن نضمن لهم فعل المثل كذلك.

وكان لهذا أيضا عواقب غير مقصودة. وكما أن الحلفاء لم يتوقعوا نتيجة فوزهم المؤكد، فإن اليابانيين لم يتوقعوا نتائج الدرس الذي قدموه خلال مقاومتهم الوحشية. وفي الواقع، فإن غزو اليابان كان مكلِّفا جدا للحلفاء وكان يجب تجنبه بأي ثمن. ومع ذلك، فلم يكن البديل هو الاستسلام عن طريق التفاوض، ولكن القصف الوحشي لهيروشيما وناجازاكي.

(33)

" معركة ديان بيان فو " ..
غطرسة الجنرال تهزمه !!

في نواحٍ كثيرة، فإن تاريخ السنوات الخمسين الماضية ليس فقط تاريخ الولايات المتحدة لكن الكثير من دول العالم كان نتيجة لمعارك لم يكن ينبغي أبدا خوضها. وعندما قام الفرنسيون باحتلال الهند الصينية الفرنسية مرة أخرى بعد الحرب العالمية الثانية، فقد شمل هذا فيتنام. وحيث كان هناك توقع من قبل الحكومة الفرنسية والسكان العائدين أن هذا يعني أنها ببساطة العودة إلى أعمالهم، حيث هزم اليابانيون، وغيرهم من الآسيويون، بسهولة القوات الفرنسية فى بلادهم، ولكن الفيتناميين لم يكونوا على استعداد لقبول الهيمنة واستغلال وطنهم عن طريق هؤلاء الفرنسيين أنفسهم.

ورأى الفرنسيون، مع القوة الجوية والأسلحة الحديثة، وقدامى المحاربين من ذوي الخبرة، والفيلق الأجنبي الفرنسي ، أنهم لن يواجهوا أية مشاكل جراء قمع أي تمرد سيئ التسليح ويفتقر إلى المزايا العسكرية. وبعد تسع سنوات، اتفق الجميع تقريبا، بما فى ذلك الحكومة فى باريس، بأنهم كانوا خاطئين. وقبل خوض معركة ديان بيان فو، كان مصير الهند الصينية الفرنسية قد تحدد بالفعل. ولكن هناك اثنين من العوامل التي منعت الفرنسيين من التنازل عن الرقابة والانسحاب. وكانت هناك ثلاثة عوامل فى الواقع، إذا أدرجنا كبرياء الغال.

كان العامل الأول هو أن الفيتناميين كانوا مدعومين من قبل الحكومات الشيوعية فى الصين وروسيا. وهذا يعني أنه فى عصر النظرية المكارثية ونظرية الدومينو شجعت كل القوى الغربية الكبرى الأخرى الفرنسيين على مواصلة محاولاتهم لقمع الفيتناميين الذين كانوا، بعد كل شيء، شيوعيين. وكانت الولايات المتحدة هي من بين أولئك الذين كانوا أكثر تأييدا أو طلبا. أما العامل الثاني هو الحفاظ على هنري نافار. وظل الجنرال نافار ينظر إلى الفيتناميين كفلاحين مسلحين بالكاد. وقرر أن ميزتهم الوحيدة كانت هي القدرة على الكر والفر. وكان نافار يعلم أيضا أن الحكومة فى باريس قد بدأت بالفعل محادثات الهدنة.

وكان عليه أن يفوز بسرعة أو لن تكون لديه فرصة للفوز على الإطلاق. لذلك قرر أنه يمكنه إجبار القائد العسكري الفيتنامي، فو نجوين جياب، على قتاله بنوع تقليدي أكثر من القتال، وهو الصراع حيث كان الفرنسيون يملكون القوة الجوية والمدفعية والمدرعات التي كانت ستسمح له بتدمير الفيتناميين أخيرا فى معركة حاسمة واحدة. وربما لاحظت هنا أننا نشهد، مرة أخرى، قائدًا يطارد الوهم بالكمال، والمعركة الحاسمة، وبذلك، إلقاء جيش آخر

فى كارثة. وكان السبيل الوحيد لجر الفيتناميين لمعركة من الطراز التقليدي هو خلق التحدي الذي لا يمكن أن يقاوموه، حتى مع محادثات السلام الوشيكة. وللقيام بذلك، بدأ نافار فى أواخر نوفمبر تعزيز وتحصين قاعدة قرب حدود لاوس فى الوادي الذي كان سابقا فقط قرية صغيرة وغير مهمة عسكريا فى ديان بيان فو. وكان الوادي نفسه محاطا تماما بجبال حادة وغابات كثيفة ومتصل بالموقع فى منتصف هذه التضاريس الصعبة مما يعني أن قواته ستواجه، فى معظم الأحيان، الفلاحين المسلحين بالبنادق، وسوف تستنزف قواهم وروحهم المعنوية من قبل الجهد الكبير اللازم فقط للوصول إلى ساحة المعركة.

وكونه يقع على بعد حوالي مائتي ميل إلى الغرب من هانوي، كان المنفذ الوحيد للفرنسيين إلى الوادي من خلال مهبط الطائرات الذي بناه الفرنسيون فى وسط قاعدتهم. وهبط الآلاف من الرجال، وجاهدوا لتجهيز القاعدة، ثم شنوا موجات من الهجمات البشرية والتي كان نافار واثقا من أنها ستتوالى. مرت أسابيع لم يحدث أي شيء باستثناء القناصة فى بعض الأحيان. ومرت أشهر حرفيا وفي حين احتلت الآلاف من الفيتناميين الجبال حول المخيم، لم تقع هجمات كبيرة. وبدلا من ذلك، استخدم جياب الحمالين والدراجات لجلب أطنان من الإمدادات والمدفعية الحديثة التي تم تقسيمها إلى أجزاء يمكن التحكم فيها.

وفي 13 مارس 1954، مع محادثات التسوية مع باريس والتي كانت تهدد بجعل المعركة لم يسبق لها مثيل، قرر جياب الهجوم. كما أنه أراد أيضا أن يحدث الحسم العسكري قبل الاتفاق على الشروط من قبل حكومته. ثم جعلت الأمطار والغيوم القوات الجوية الفرنسية عديمة الفائدة. ولم يتمكنوا من السفر حتى فى مستوى الإمدادات التي كانت ضرورية عند بدء القتال. وأصبحت هذه الأمطار الموسمية بركة كبيرة من الطين. وغرقت الدبابات حتى الهيكل، وأصبحت لا تزيد عن صناديق متحركة.

وحيث كان الفرنسيون يتوقعون أن الفيتناميين المسلحين تسليحا خفيفا سيذبحون من قِبَل مدفعيتهم ومدرعاتهم التي تعرضت للصدأ فى المناخ الرطب، وعندما هاجم جياب أخيرا، كان عدد البنادق الفيتنامية يفوق عدد المدفعية الفرنسية. وكانت المئات من البنادق، والتي كان كثير منها من أحدث الموديلات الروسية، قد حملت على الدراجات، وعلى ظهورهم وظهور الحمير عبر مئات الأميال من الغابة والتقوا على سفوح الجبال. وكان الرجال يحملون قذيفة

مدفعية واحدة لعدة أيام لإيصالها إلى حيث يمكن للبطارية إطلاق المئات من القذائف فى كل ساعة. وبعد أن حطمت المدفعية الفيتنامية العديد من الدفاعات الفرنسية، بدأت الهجمات الواسعة التي أرادها نافار فى النهاية. وبعيدا عن ذبحهم، نجح الفيتناميون فى اقتحام المواقع موقعًا تلو الآخر. ثم توقفت الهجمات، ودمرت المدفعية الفيتنامية مرة أخرى كل جزء من المعسكر الفرنسي فى الوادي تحتهم. وأطلق جياب مدافعه، والتي تم تعميرها بقذائف من قبل الجيش الثاني والتي حملها الآلاف من الفلاحين على ظهورهم، حرفيا ليلا ونهارا. وقد قلل نافار من عزم وقدرة الفيتناميين. لكنه كانت لديه معركته الخاصة وعقد العزم على خوضها، وعلى الرغم من تدمير مهبط الطائرات فى البداية، استمر مئات المتطوعين فى الفيلق الأجنبي الفرنسي فى الهبوط بالمظلات فى الوادي. ومعظمهم ماتوا فى الجو أو عندما سقطوا بين يدي الفيتناميين.

ولكن على الرغم من بطولاتهم وبسالتهم، فقد أنجزت هذه الكتائب القليل وراء زيادة عدد الأسرى الذين أخذهم الفيتناميون. وفي نهاية أبريل، بعد أكثر من شهر من بدء الهجوم بقيادة جياب، فإن منطقة ديان بيان فو التي بقيت تحت السيطرة الفرنسية اقتصرت على زاوية صغيرة من المعسكر السابق والتي بلغت مساحتها بضع مئات من الياردات على كل جانب. واستمرت الأمطار فى السقوط، كما كان هذا هو المعتاد فى تلك المنطقة فى ذلك الوقت من السنة، مما استبعد أي استخدام للقوة الجوية.

حوصر الفرنسيون. ومع ذلك، كانت المدفعية تضرب المدافعين ليلا ونهارا، وتوقفت فقط عندما هاجم مئات من الفيتناميين البائسين حيث ألقوا بأنفسهم على الأسلاك الشائكة، واستلقوا إلى الداخل للسماح للآخرين بالمرور على أجسامهم. تم إسقاط المزيد من الإمدادات من السماء الملبدة بالغيوم على رؤوسهم. وكانت الهجمة من قبل جياب فى أول مايو 1954 هي الأخيرة. تم القبض على القائد فى مركز القيادة فى المعسكر، واستسلم جميع الجنود والفيلق الفرنسي المنهك. استقر المؤتمر على شروط، وخلال أشهر غادرت قوات الاحتلال الفرنسية فيتنام، وبموجب الاتفاق، تم تقسيم المنطقة إلى بلدين جديدين: فيتنام الشمالية، تحت قيادة جياب والشيوعيين، وفيتنام الجنوبية، التي كان يسيطر عليها أولئك الذين يعتبرون أصدقاء للقوى الغربية. وهزيمة الفرنسيين فى ديان بيان فو كانت لا تزيد عن هزيمة جيش

أوروبي حديث لتأسيس دولتين جديدتين. وتلك الخسارة و "انتصار الشيوعية" أدى مباشرة إلى تورط الولايات المتحدة فى الدفاع الفاشل عن فيتنام الجنوبية. كما أنهم سارعوا بالتأكيد لتفكيك آخر بقايا النظام الاستعماري ما قبل الحرب العالمية الثانية فى جميع أنحاء العالم.

لقد خلق الإغريق كلمة "الغطرسة"، ولكنها تصف بشكل دقيق اعتقاد الجنرال نافار بأنه يمكن أن يقضي على الفيتناميين بكل سهولة. حتى إن الفرنسيين قد أخذوا زمام المبادرة وظلوا يتوقعون الفوز "الحاسم" فى المعركة. وبدلا من ذلك، ضمنوا هزيمتهم وأعطوا الفيتناميين ميزة كبيرة فى حيث أن نافار وضباطه ببساطة قد قللوا من قدر خصومهم. ومن أجل جر جياب إلى معركة تقليدية الطراز، وضع القائد الفرنسي قواته فى موقف حيث فقدوا كل مزاياهم.

وعندما تفقد نقاط القوة لديك وتستهين بقوة عدوك، كما يوضح هذا الكتاب، فسوف تخسر لا محالة، وبشكل كارثي فى كثير من الأحيان.

وقد هزم الفيلق الروماني نتيجة هذا الخطأ فى غابة تويتوبورغ وكارهاي، وواجهت هذه الكتائب الفرنسية فى ديان بيان فو نفس المصير، لنفس السبب، وبعد ما يقرب من ألفي سنة.

فهرس الكتاب

المؤلف فى سطور

بيل فاوست هو كاتب أمريكي ذائع الصيت ، حققت مؤلفاته أعلى المبيعات فى أمريكا وأوروبا وبقية العالم ، كما أنه فى الوقت عينه له أعمال روائية ، ومجموعات قصصية مستمدة من أحداث تاريخية .

ومن أشهر مؤلفات فاوست :

- 100 خطأ غيرت مجرى التاريخ (صدرت ترجمته بالفعل عن دار الكتاب العربي).
- كيف تخسر معركة ؟! (الكتاب الذى بين يديك).
- ماذا قلت أنت ؟ : أسوأ الأكاذيب والدعايات فى التاريخ . وصدرت ترجمته عن دار الكتاب العربي.
- تكرار التجارب المحكوم عليها بالفشل: دروس التاريخ التي فشلنا فى تعلمها . صدرت ترجمته بالفعل تحت عنوان : استنساخ الفشل (عن دار الكتاب العربى)
- ماذا فعلت أنت ؟ (تحت الطبع) .
- غرائب وعجائب المكتب البيضاوي !
- صيادون وقناصون

كَيْفَ تخسرُ معركَة

أخطاءُ الجنرالاتِ عِبْرَ التّاريخِ

في ساحات المعارك تتقابلُ الجيوشُ ، ويحتدمُ القتال ، ثم ينتهي الأمر بتذوق الفائز حلاوة النصر ، وتجرع الخاسر مرارة الهزيمة . وما إن تضع الحربُ أوزارها يبدأ الجميع مراجعة ما حدث ، وتحليل ما جرى ، للوقوف على أسباب انتصار طرف وهزيمة آخر. وهذا الكتاب لمؤلفه الشهير بيل فاوست يركز على تحليل أسباب الهزيمة في عدد من معارك التاريخ الكبرى ، ومن خلالها يبين لنا الكيفية التي يُمكن للقائد من خلالها فقدان سيطرة جيشه على الأمور في ساحة القتال ، فتكون الهزيمة بانتظاره .

ونكتشف أثناء قراءتنا لهذا الكتاب كيف يخطئ القادة العسكريون عند وضع خططهم وتكتيكاتهم وتحركاتهم، وتجاهلهم لتفصيلات مهمة وحاسمة ، وإغفالهم لمواطن القوة والضعف سواء في جيوشهم ، أو في جيوش العدو . كما سنرى أيضا كيف يلعب سوء التقدير ، أو الغطرسة ، أو الثقة المفرطة في النفس دورا خطيرا في المعارك باعتباره عاملا رئيسيًا في الهزيمة. وسنرى أيضا كيف أن غياب القدرة على استخلاص المعلومات اللازمة لإنجاح الخطط يؤدي إلى فشلها الذريع ، كما يؤدي تجاهل التحذيرات الاستخباراتية إلى كوارث عسكرية مؤلمة . ومن بين الأخطاء التي تجعلُ الجيوش تخسرُ معاركها – كم سنرى في الكتاب – استهانة القادة لآراء ونصائح ضباطهم ، وانفرادهم وحدهم بالقرارات . ونخلصُ من الكتاب أنَ القادة عندما يفتقرون الكفاءة والذكاء والحكمة عادة ما تكون الهزيمة بانتظار الجيوش التي يتولون قيادتها . هذا الكتاب محاولة جادة وهادفة لتقديم رؤية شاملة لضمان النصر من خلال معرفة أسباب الهزيمة .
























www.darketab.com darelkitab@yahoo.com

Design: Dar Alketab Alarabe
I.S.B.N. 978-977-376-971-3



1980
دار الكتاب العربي
دمشق – القاهرة